الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة التاسعة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٦هـ
كانون الثاني-شباط-آذار ٢٠٢٥م

٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤

كلمة الوعي

بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار في سوريا: بناء دولة قويّة؟ أم اندماج في منظومة إقليمية؟

المحور الأول: المحور العام ص ٥

المحور الثاني: الحكم بالإسلام، الوجوب والإمكانية والطريقة ص ١٣٢

المحور الثالث: قضية فلسطين ومستجداتها ص ٥٥

المحور الرابع: مكانة العلماء ودورهم المنشود ص ٧٧

المحور الخامس: الإعلام ودوره في عملية التغيير ص ٩٢

المحور السادس: المستقبل القريب ص ١٠٧

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

بين يدي العدد ٤

المحور الأول: (المحور العام)

- كلمة الوعي: بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار في سوريا: بناء دولة قويّة؟ أم اندماج في منظومة إقليمية؟ ٦
- الكذبة الكبرى حول الإسلام والعلمانية في بلاد المسلمين ١٣
- النظام السوري وهزيمة العلمانية وإنجاز عملية التغيير وإعادة الخلافة الراشدة ١٥
- هل تقيم الشيوعية دولتها وتعجز عن ذلك أمة الإسلام؟! ١٩
- نظرة على فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ١٠٤ لهدم الخلافة ٣٠
- مع القرآن الكريم: الإخلاص الخالص ٣٦
- رياض الجنة: ستظل مواقف الصدّيق نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع به ٤١
- أخبار المسلمين في العالم ٥١

المحور الثاني: (الحكم بالإسلام، الوجوب والإمكانية والطريقة)

- الحكم بالإسلام خيار الأمة الوحيد ٥٦
- التدرج في تطبيق أحكام الإسلام ٦١
- مفهوم النصرة وأهميتها لإقامة الدولة الإسلامية ٦٥

٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
السنة التاسعة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٦هـ
كانون الثاني-شباط-آذار ٢٠٢٥م

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	بر"لج$
أميركا	بر"لج$
كندا	بر"لج$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

المحتويات

المحور الثالث: (قضية فلسطين ومستجداتها)

- قضية فلسطين قضية المسلمين الجامعة ٧٨
- قضية فلسطين بين مخططات المستعمرين وتطلعات المسلمين ٨٢
- عملية طوفان الأقصى تدفع الأمة الإسلامية خطوات حاسمة نحو بناء دولة الإسلام ٨٥

المحور الرابع: (مكانة العلماء ودورهم المنشود)

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور العلماء ٩٣
- سلطة العلماء وحيوية الأمة الإسلامية ٩٧
- هل أدى العلماء دورهم المنشود في أحداث طوفان الأقصى وفي قضايا الأمة؟ ١٠٢

المحور الخامس:(الإعلام ودوره في عملية التغيير)

- نظرات تفصيلية حول الإعلام السياسي المعاصر ١٠٨
- الإعلام ودوره الخبيث ١٢٠
- مواجهة تحيز وسائل الإعلام الغربية ١٢٣

المحور السادس:(المستقبل القريب)

- تهاوي الرأسمالية واقتراب سقوطها ١٣٣
- لحظة الحقيقة إرهاصات موت الغرب وانبعاث الإسلام أمريكا ما بين صراع جيوستراتيجي مع الصين مستنزف وحرب حضارية مع الإسلام مفنية! ١٤١
- لحظة ... ١٥٥
- كلمةأخيرة: النصر ... يقينٌ واستحقاق ١٥٦
- غلاف أخير: الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق إزاء الوضع في بنغلاديش (الخلافة الإسلامية) ١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شاء الله تعالى أن تكون الأشهر القليلة الأخيرة أشهرا زاخرة بالمستجدات والأحداث النوعية على مستوى العالم عامة وعلى مستوى الأمة والمنطقة العربية خاصة، لتخلق واقعا جديدا وتفرض تحولات عصفت بالمنطقة برمتها ولا شك.

فأمريكا بقيادة ترامب تسعى لفرض نظام عالمي جديد، وتهيئ له أرضيته، وأشعلت من أجله الملفات في مناطق عدة، فغيرت تحالفات لها عمرها عقود، وأحدثت تغييرات على مستوى الداخل الأمريكي وأخرى طالت جيرانها في القارة الأمريكية وأحلافها في القارة العجوز، وتخطط لعلاقات جديدة وسياسات مستحدثة فيما يتعلق بالدب الروسي وحربه على أوكرانيا، والتهديد الصيني المتنامي، والمؤسسات والهيئة الدولية والأممية، مما وضع العالم على حافة مرحلة جديدة من العلاقات الدولية وموازين القوى.

وعلى الجانب الأخر، عصفت بالأمة الإسلامية أحداث دفعتها لتعيد حساباتها وجعلتها تغلي كغليان الماء في القدر، فكان طوفان الأقصى والحرب على غزة حدثا مليئا بالعبر والدروس؛ إذ جعلا الصراع يحتدم في منطقة الشرق الأوسط بشكل لم يكن متوقعا وتسارعت الأحداث ذات العلاقة: من فلسطين حيث الصبر الإيماني والصمود الأسطوري لأهل غزة حتى كسرت هيبة يهود وكبرياء أمريكا، إلى لبنان الذي قضي فيه على قوة حزب إيران العسكرية بأيام معدودات، إلى إيران التي خرجت من المنطقة تجر أذيال الخيبة في وقت قصير وقصير جدًّا، إلى سوريا التي قطع دابر نظامها قطعًا، وإلى الأردن التي بات نظامها يتحسس رأسه صباح مساء، وإلى مصر التي تكاد تنفجر في وجه النظام، وفي الوقت ذاته تعيش الأمة حراكا في الشام ترجو أن يتمخض عن تغيير يقود المنطقة نحو الإسلام، أو يكون باكورة استعادة الأمة لسلطانها.

وفي هذا المخاض العسير جدًا، ترجو الأمة الفرج من ربها وتحقق وعده بإقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ومقاتلة يهود وقتلهم، وعلت الأصوات وضجت بها المنابر منادية جيوش الأمة وضباطها وأركانها لنصرة دينهم وأمتهم وقضاياهم، وشخصت أبصار الأمة تنظر إلى علمائها ودعاتها متسائلة عن دورهم والأمانة التي ائتمنهم الله عليها. فكانت حقا أشهرا حبلى بالمتغيرات.

لهذا فقد حرصنا أن نعد هذا العدد الخاص ليغطي أبرز الأفكار والقضايا التي تنير بصيرة القراء وتجيب عن تساؤلات الكثيرين ممن يراقبون المستجدات والمتغيرات وينتظرون من يصدقهم القول والرأي.

فكان المحور العام الذي تناولنا فيه قضية الشام والحراك الدائر فيها وأطروحات العلمانية وصراعها مع الإسلام، ومدى قدرة المسلمين والمخلصين على تطبيق الشريعة، وأفردنا محورا خاصا لقضية الحكم بالإسلام، أحكاما وطريقة وإمكانية، ومحورا آخر لقضية فلسطين وغزة وانعكاسات طوفان الأقصى وحرب الإبادة على الأمة برمتها، ومحورا يسلط الضوء على مكانة العلماء ودورهم المنشود لنضعهم أمام مسؤولياتهم تجاه أمتهم ودينهم، وكذلك أفردنا محورا خاصة بالإعلام ولا سيما الإعلام الصاعد القائم على وسائل التواصل الاجتماعي، لما له من أهمية برزت بشكل جلي في الأحداث الأخيرة، وسلطنا الضوء على آليات لاستغلاله بما يخدم مشروع الأمة، ثم ختمنا العدد بمحور عن المستقبل المشرق الذي نراه قريبا، لنضع القارئ في صورة الإرهاصات والوقائع التي باتت تفرض نفسها وتجعل التغيير المنشود قاب قوسين أو أدنى.

نسأل الله أن يجزي كل من ساهم في إنتاج وإعداد هذا العدد الخاص خيرا، وأن يجعله سهم خير في مشروع النهضة والتغيير.

المحور الأول

- كلمة الوعي: بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار في سوريا: بناء دولة قويّة؟ أم اندماج في منظومة إقليمية؟ ٦
- الكذبة الكبرى حول الإسلام والعلمانية في بلاد المسلمين ١٣
- النظام السوري وهزيمة العلمانية وإنجاز عملية التغيير وإعادة الخلافة الراشدة ١٥
- هل تقيم الشيوعية دولتها وتعجز عن ذلك أمة الإسلام؟! ١٩
- نظرة على فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ١٠٤ لهدم الخلافة ٣٠
- مع القرآن الكريم: الإخلاص الخالص ٣٦
- رياض الجنة: ستظل مواقف الصدّيق نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع به ٤١
- أخبار المسلمين في العالم ٥١

بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار في سوريا:
بناء دولة قويّة؟ أم اندماج في منظومة إقليمية؟

أ. أحمد القصص-لبنان

منذ سقوط نظام الإجرام في سوريا كثر الكلام عن أولوية بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار، وأنّ هذه الأولوية مقدّمة على أيّ اعتبار آخر، وأنّ سوريا لن تقوم لها قائمة دون إعادة إعمارها وبناء اقتصادها وعودة أبنائها النازحين إليها. وما يُقلق في هذا الكلام المتكرّر منذ سقوط نظام الإجرام التسليم بأنّ بناء الاقتصاد وإعادة الإعمار لا يتأتّيان إلّا عبر الدعم المالي والاستثماري من الدول الكبرى والمنظّمات الدولية والدول العربية ولا سيّما الخليجية منها. وجُعلت هذه المسلّمات المفتَرضة من أهمّ التبريرات التي سُوّقت لإنشاء علاقات وُصفت بالمتينة والإستراتيجية مع كبرى الدول الغربية والأنظمة الإقليمية. وقد تلقّف كثير من المخلصين من أهل سوريا الذين غمرتهم الفرحة بسقوط نظام الإجرام هذه السرديات، وتعاملوا معها على أنّها قضايا بدهية لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، وأنّ هذا هو الطريق الوحيد لترميم الاقتصاد السوري وإعادة إعمار البلاد.

والحقيقة أنّ هذه السردية التي تسوَّق بشكل واسع في الإعلام والصحافة الدوليين والغربيين لا تعدو كونها وجهًا من وجوه الانقضاض على سوريا وأهلها وثورتها واقتصادها. فخطط إعادة الإعمار وبناء الاقتصاد التي يدور الكلام حولها ليست خططًا على قياس سوريا وأهلها واقتصادها وقرارها السياسي المستقلّ. وإنّما هي خطط تندرج في المشاريع الاقتصادية للشركات الرأسمالية العالمية والدول الغربية، وتؤدّي أنظمة إقليمية، وبخاصّة دول الخليج، دورًا أساسيًا فيها. ومن يتابع الأخبار السياسية الدولية والإقليمية، بما فيها الأخبار المتعلّقة بالاقتصاد العالمي والإقليمي، يعرف دون كبير جهد وعناء أنّ أحد أهمّ عناوين ما يجري في منطقة المشرق العربي - وسوريا جزء أساسي منها- هو الوظيفة الاقتصادية لهذه المنطقة في تحقيق أحد أهمّ الأهداف الإستراتيجية للولايات المتّحدة أوّلًا، وأوروبا ثانيًا، وكيان يهود ثالثًا.

وفي هذا السياق أتت الأحداث المفصلية الضخمة في المنطقة، من تحطيم قوّة حزب إيران في لبنان ووضعه تحت الوصاية الدولية الفعلية، وتحجيم نفوذ نظام طهران فيه، وطرده من سوريا، والحرب الإجرامية على غزة، والانفتاح على السلطة الجديدة في سوريا، بل ورعايتها. ويجري هذا كلّه بالتزامن مع دعاية واسعة عن مستقبل قريب واعد للمنطقة على الصعيد الاقتصادي والتنموي. فلبنان وسوريا موعودتان بإعادة إعمار سريعة ورساميل استثمارية ضخمة، وبالتالي بتكاثر فرص العمل وتراجع نسب البطالة وارتفاع متوسّط الدخل الفردي وتطوير البنى التحتية... فما مدى صدق هذا الكلام؟ وما الأساس الذي يستند عليه إن كان صحيحًا؟

هذا الكلام ليس مجرّد دعاية فارغة، بل هو بحدود العبارات السالف ذكرها صحيح ومرجّح حصوله. أو هو على الأقلّ بعض ما تتضمّنه خطّة أمريكا - ومعها أوروبا والأنظمة الإقليمية والكيان الغاصب - للمنطقة. فالمنطقة أصبح عنوانها الاستثمار الضخم والواعد منذ اكتشاف كمّيات الغاز الضخمة التي تكتنزها في مياهها الإقليمية، فضلًا عمّا تحويه من آبار للنفط وثروات معدنية. ويكمن مزيد من الأهمّية للثروة الغازية تحديدًا في كونها تحقّق هدفًا سياسيًا إستراتيجيًا ضخمًا للولايات المتّحدة وأوروبا في آن معًا. فهي مرشّحة لتكون البديل الوافي الوحيد للغاز الذي كانت تضخّه روسيا إلى دول الاتّحاد الأوروبي ويشكّل أهمّ ريع مالي لها، والذي انقطع منذ اندلاع الحرب الأوكرانية. فإذا وضعت الولايات المتّحدة يدها على استثمار آبار الغاز في شرق المتوسّط، أي في بلاد الشام، وزوّدت به أوروبا فإنّها تكون قد حقّقت أهدافًا إستراتيجية عدّة. أهمّها حرمان روسيا من ريع الغاز الذي تتطلّع إلى عودته، فتنهي أمريكا بذلك احتياج أوروبا لغاز روسيا، وبالتالي تضرب أحد أهمّ عوامل العلاقة الوثيقة بين الاتّحاد الأوروبي وروسيا، لترتمي أوروبا مجدّدا في حضن أمريكا التي تمسك بمفتاح الغاز في المنطقة من خلال الحكومات التابعة لها، إضافة إلى تدفّق ريع هذه الاستثمارات على الشركات الأمريكية العملاقة، فضلًا عمّا يرافق هذا كلّه من الريع الضخم من مشاريع إعادة الإعمار في سوريا ولبنان وغزّة، والذي سيكون معظمه من نصيب الشركات الأمريكية، مع تخصيص حصص لشركات أوروبية وخليجية وربما تركية.

وأخطر ما في الأمر أنّ كيان الاحتلال ستكون له الحصّة الأوفر بين دول المنطقة في هذه الورشة الكبيرة. وأخطر من هذا الخطر كلّه أنّ هذا المشروع الاقتصادي الضخم يأتي كلّه في سياق خطّة أمريكا السياسية للمنطقة، والتي تتمثّل في اتفاقيات أبراهام والتطبيع مع الكيان وتكريسه شريكًا أساسيًا وطبيعيًا لدول المنطقة. وهذا كلّه يوصلنا إلى أنّ ما يوعَد به أهل سوريا ولبنان من مستقبل اقتصادي واعد لم يفصَّل على قياس مصالحهم، وإنّما هي مشاريع أمريكية مفصّلة على قياس مصالحها وخطّتها للمنطقة، فضلًا عن مصلحة كيان يهود.

نعرف أنّ أوّل ما سيتبادر إلى أذهان كثير من القارئين أنّ كلامنا هذا يعني أنّ أهل سوريا ولبنان سينالون حظًّا وافرًا من هذه الورشة الاقتصادية العملاقة، إذ سوف تتدفّق أموال ضخمة على اقتصادهم عبر الاستثمارات، وسوف تتوفّر أعداد كبيرة من فرص العمل لهم، وسوف تُنشأ البنى التحتية والخدماتية في سوريا وتُطوَّر في لبنان، وسيعود بالتالي كثير من أهل سوريا النازحين إلى مدنهم وقراهم... فأين المشكلة في تلاقي المصالح بيننا وبين المشاريع الدولية؟

والجواب هو: نعم من المرجّح أن تحصل تلك الوفرة في المال وفرص العمل، والأرجح أنّه ستنشأ مشاريع لإعادة الإعمار وإنشاء البنى التحتية والخدمات وتطويرها، والمرجّح أن يشعر أهل البلدين بقدر من البحبوحة المالية مقارنة مع المرحلة الماضية، مرحلة الجحيم التي عاشها أهل

سوريا منذ بدء مجازر النظام بحقّهم، ومرحلة الانهيار الاقتصادي التي بدأت في لبنان منذ حوالي ستّ سنوات. ولكنّ هذا كلّه سوف يكون ممزوجًا بالسمّ الزعاف. ولن يكون سوى مرحلة عابرة من البحبوحة، خبرَتها من قبل دول وشعوب كبيرة تنعّمت سنوات وربما عقودًا بالبحبوحة، ولكنّها تحوّلت بعدها بلمح البصر إلى شعوب فقيرة ومتسوّلة. وما انهيار اقتصاديات النمور الآسيوية عنّا ببعيد.

إلّا أنّ ما هو أخطر من ذلك بكثير هو أنّ هذا النهوض الاقتصادي الذي يرتقبه الناس ويتشوّق له الكثير هو الاقتصاد الذي يؤدّي إلى مجموعة من أكبر الأخطار على هويّة أهل سوريا وسائر المنطقة، وعلى أمنهم بشتّى أشكاله، العسكري منها والغذائي والاجتماعي والعقدي والثقافي والتربوي... وعلى قرارهم السياسي، وعلى مستقبلهم الحضاري.

فحين تجعل دولةٌ اقتصادَها جزءًا من اقتصاد دولة كبرى أو منظومة اقتصادية كبيرة فهذا يعني أنّها رهنت مصيرها الاقتصادي باقتصاد غيرها، فإن سَلِم هذا الاقتصاد فقد يسلم اقتصادها، وإن انهار انهار معه، تمامًا كما تنهار الفروع التجارية بانهيار الشركة الأمّ. والأخطر أنّه حين تكون الدولة الكبيرة أو المنظومة الاقتصادية الكبيرة عدوّة لا أمان لها فإنّها تملك في أيّ لحظة أن تدمّر اقتصاد الدولة التي رهنت اقتصادها لها، فتكون بذلك عرضة لابتزازها الدائم. والأمثلة على ذلك في التاريخ المعاصر تكاد لا تحصى. وأقرب مثال إلى سوريا هو الدولة المجاورة لها لبنان. فبقرار سياسي أمريكي غايته إنهاء حكم حزب إيران في لبنان انهار اقتصاد لبنان بلمح البصر، وفقدت عملته خمسة وتسعين بالمائة من قيمتها، وتحوّل معظم أهله بين ليلة وضحاها إلى فقراء مفلسين معدمين. ولسان حال ساستها جميعا الآن: «لا أمل لنا بالنهوض من الهاوية التي سقطنا فيها إلّا بإرضاء النظام الدولي والارتماء في حضن أمريكا». ذلكم أنّها دولة جعلت مفتاح اقتصادها بيد أمريكا. ولا شكّ أنّ هذا من وجهة نظر الإسلام إثم عظيم، إذ يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا، والله حرّمه تحريمًا بينا فقال: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

وممّا يفضي إليه هذا الارتهان الاقتصادي أن تصبح الدولة مرتهنة في قرارها. فهي حتّى تحافظ على مكاسبها الاقتصادية التي يتحكّم بها الأجنبي، وهو عدوّ قطعًا، تحرص على إرضائه وعدم إسخاطه، فلا تردّ له طلبًا، ما يعني فقدان الدولة سيادتها واستقلالية قرارها. ولا يخفى على أحد كيف تخضع الأنظمة التي ورّطت نفسها في الديون واعتمدت على معونات الدول الكبرى لمطالب هذه الدول، بل لأوامرها. وهي أوامر تطال أخصّ خصوصيات هذه الدولة التي تتعلقّ بهويّتها ومناهج تعليمها ووسائل إعلامها وقوانينها وطريقة عيش شعبها ومقدّساته وحرماته وأمنه، فضلًا عن اقتصادها الذي هو عصب حياتها. ولننظر في هذه اللحظة إلى مصر والأردنّ

كيف يبتزّهما ترامب بقطع المساعدات عنهما وبضرب اقتصادهما إن لم تسيرا معه في خطّته لغزّة وعموم فلسطين المحتلّة.

والسؤال الذي سيطرحه الكثير إزاء كلامنا هذا هو:

كيف إذا لبلد منكوب مثل سوريا أن يخرج من كارثته الاقتصادية؟ إنّها بلد مدمّرة، ولا بنية تحتية فيها، ولا خدمات أساسية، ولا تتوفّر فيها أبسط أسباب الحياة العادية. فكيف ينهض اقتصادها ويعاد إعمارها إن لم تستعن بالأموال الاستثمارية الخارجية والمشاريع الدولية والإقليمية؟ ومن أين تأتي بالأموال اللازمة لذلك كلّه؟

والجواب على هذا السؤال هو أنّ هذا إنّما يحصل بتفعيل الطاقات والموارد الاقتصادية الذاتية لسوريا نفسها. وهي بلاد تملك من الإمكانيات ما يكفيها لتحقيق هذه الخطّة وفق ما يلزمها وليس وفق ما تهدف إليه الدول والمنظّمات (الداعمة). ولكن أوهام الواهمين والموهِمين هي التي تعمي الأبصار عن هذه الحقيقة، ويا للأسف.

إنّ قوام الاقتصاد الناجح والمجدي في أيّ دولة عنصران اثنان:

أوّلهما الثروة الطبيعية من مصادر الطاقة والمواد الأولية والأراضي الزراعية وثروة الأدمغة والكفايات العلمية التي تحسن استثمارها، وسوريا تملك جميع هذه الثروة.

وثانيهما نظام اقتصادي، أي تشريع للحركة المالية والعلاقات الاقتصادية، يُحسن توزيع الثروة بين الناس ويبيّن أنواع المِلكية من ملكية فردية وملكية عامّة وملكية دولة، ويبين للدولة مصادر واردات الخزانة العامّة وجِهات نفقاتها. وهذا العنصر الثاني هو أعظم ثروة يملكها أهل سوريا وسائر الأمّة الإسلامية كلّها، ألا وهو النظام الاقتصادي الإسلامي المفصّل والشامل الذي شرعه الله تعالى رحمة بالناس ومن أجل رفاهيتهم الاقتصادية، والذي لم يلتفت إليه ولم يسأل عنه أحد للأسف، لا من القائمين الجدد على حكم سوريا، ولا من الذين ينظّرون لاقتصادها وإعادة إعمارها، وإنّما يندفعون دون أيّ تفكير سياسي واعٍ إلى الارتماء في أحضان المجتمع الدولي والأنظمة الإقليمية ومؤتمر دافوس، ينشدون عنده العلاج والدواء، دون أن يدروا أنّه السمّ الزعاف. بل يسارع وزير خارجية سوريا دونّما تروّ إلى الإعلان بأنّ دولته ستعمد إلى خصخصة مِلكيّات عامّة، دون أن يلتفت إلى أنّ شرع الله تعالى جعلها مِلكيات عامّة وحرّم أن يتملّكها أفراد.

ولا يقولنّ قائل إنّ هذه التدابير هي تدابير مرحلية مؤقّتة ريثما تستطيع سوريا الوقوف على قدميها ثمّ تعمد بعد ذلك إلى اعتماد اقتصاد إسلامي واكتفاء ذاتي. فهذا كلام يستسخفه أبسط خبراء الاقتصاد. إذ إنّ رهن اقتصاد الدولة للاقتصاد العالمي ليس طريقًا إلى الاكتفاء الذاتي والتخطيط المستقل، بل هو سير في الاتّجاه المعاكس للاكتفاء الذاتي، وتوريط للبلاد في ورطة

يصعب الخروج منها. وقرار التحوّل عنها إذا اتّخِذ في يوم من الأيام يعني هدم ما بني والشروع في بناء جديد للاقتصاد. فالسيّد الخارجي المتحكّم في البنيان الاقتصادي برمّته هو الذي سيعمد إلى هدم ما بُني إن أراد، وذلك بقطع شرايين الاقتصاد المحلي عن الأوعية الخارجية التي اتّصل بها واستمدّ منها حياته وفق ترتيبه وتدبيره، ما يعني انهيارًا شاملًا يتطلّب تأسيسًا جديدًا لاقتصاد على أسس جديدة تجعل البلاد بمنأى عن الارتهان للاقتصاد العالمي. فهل يكون عاقلا من يبني ليهدم بعد حين!؟

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة حين أقام دولته في المدينة. فإنّه فور وصوله ﷺ ورؤيته اعتماد أهل المدينة على السوق الوحيد الذي يسيطر عليه يهود المدينة عمد إلى إنشاء سوق جديد للمسلمين يقطع به دابر تحكّم اليهود باقتصاد المسلمين.

ولا يتوهّمنّ متوهّم أنّ ما نقوله يعني قطع العلاقات الاقتصادية كلّيًا مع الخارج. لا، بكلّ تأكيد. ولكن شتّان بين علاقات خارجية تبادلية ندّية تنأى بالدولة عن الارتهان لاقتصاديات غيرها وبين جعل الدولة اقتصادها جزءًا من اقتصاد رأسمالي عالمي وإقليمي، فلا تملك من أمر قرارها شيئًا.

ولننتقل الآن إلى جانب آخر من الموضوع لا يقلّ أهمّية ولا خطورة عن الجوانب التي أوردتُها في سالف الكلام. ألا وهو الفرق بين اقتصاد السلم واقتصاد الحرب.

إنّ أعظم جريمة اقتصادية ترتكبها دولة في حالة حرب هي أن تعتمد اقتصادًا وإعمارًا خاصّا بالسلم والأمن المستدام. وشتّان بين هذا وذاك. وإنّ سوريا وسائر المنطقة هي أرض قتال ونزاع حربي، شاء من شاء وأبى من أبى. وإنّ كلّ من ينظر إلى سقوط حكم الفئة الطاغية في سوريا على أنّه نهاية حرب وبداية سلم مستدام هو واهم وساذج، إن لم نقل عميل متواطئ يدري ما يقول. فبلاد الشام بأقطارها الأربع سوريا وفلسطين ولبنان والأردنّ واقعة أجزاء منها تحت التهديد والاحتلال اليهودي، والاحتلال الأمريكي والاحتلال الروسي، ولو جزئيًا. وهذا كلّه يوجب شرعًا على أهل الشام ومَن حولهم القيام بفريضة الجهاد ضدّ الكفّار المحتلّين لأرضهم، دون أيّ اعتبار للحدود السياسية الباطلة التي أنشأها الكافر المستعمر وقسّم بها أرض الإسلام الواحدة فجعل بلاد الشام وحدها أربع دويلات. وإذا أمكن تصوّر خروج بعض الاحتلال بالتفاوض كالاحتلال الروسي مثلًا، فإنّ من المؤكّد أنّ احتلال كيان يهود لن يخرج دون قتال ميداني. وهذا معنى كون البلاد في حالة حرب حتمية، عاجلًا أو آجلًا. وعليه فإنّ الاقتصاد الذي يُبنى لا بدّ أن يكون اقتصاد دولة واقعة تحت تهديد عدوّها الجاثم على أرضها، وليس في جوارها فقط. وكلّ عارف بأبسط القواعد الحربية والسياسية يعرف الفرق بين اقتصاد الحرب واقتصاد السلم، وكذا الفرق بين الإعمار في حالة الحرب والإعمار في حالة السلم والأمن المستدام.

فمن أمثلة الفرق بين هذا وذاك أنّ الدولة الواقعة تحت تهديد عدوان العدوّ لا تُنشئ عمارة وبنية تحتية ذات تكلفة باهظة، ولا من النوع الذي يتمكّن العدوّ من تدميره بسهولة وتصعب إعادة إنشائه، كما تفعل الدول البعيدة عن خطر العدوان. فلا تنشىء وحدات سكنية ضمن أبراج ضخمة يسهل على العدو قصفها وتدميرها بصاروخ واحد كالتدمير الذي شاهده العالم بالنقل المباشر في بيروت وغزّة، وإنّما تبنيها على شكل وحدات منفصلة، بحيث تكون كلّ وحدة سكنية أو اثنتين أو أربع بالحدّ الأقصى في مبنى مستقلّ. وكذلك المنشآت الإدارية والمنشآت الرسمية.

والأسواق التجارية لا تُعتمد فيها المجمّعات الضخمة التي راجت في العقود الأخيرة. ولا تُنشأ معامل مركزية ضخمة لتوليد الطاقة يتمكّن العدوّ من تدميرها بضربة واحدة، وإنّما تُعتمد المولّدات الصغيرة الموزّعة على الأحياء التي لا تتكلّف مبالغ باهظة والتي لا تتعطل كلّها بتدمير جزء من شبكات التوصيل، فإذا دمّر العدوّ بعضًا منها سهل تبديلها بتكلفة صغيرة. ولا تُعتمد الجسور الضخمة التي تتكلّف مبالغ باهظة ويسهل قطع المواصلات بتدميرها وتصعب إعادة بنائها بالسرعة المطلوبة. والقاعدة نفسها تُعتمد في منصّات استخراج النفط ومعامل تكريره. ويراعى أيضًا في إنشاء المعامل الضخمة ولا سيّما الحربية منها أن تكون في أعماق الأرض والجبال حماية لها من قصف العدو. وبقية هذه القواعد يعرفها الخبراء والمهندسون المتخصّصون ولها أهلها، وأوردنا أمثلة قليلة منها. ولنا في لبنان الذي تعرّضت منشآته ومدنه وبناه التحتية للدمار مرّات عدّة في الحروب المتكرّرة التي شنّها عليه كيان الاحتلال. وفي كلّ مرّة يرى حكّامه أنفسهم معنيّين بالتنازل أمام هذه التهديدات درءًا للأخطار وطلبا للمساعدة في إعادة الإعمار، وهي مساعدات لا تأتي إلا وفق شروط تنتهك السيادة واستقلالية القرار وتنتهب أموال البلاد، حتّى وصل الأمر بلبنان حاليًا إلى الإذعان لوضعه فعليا تحت الوصاية الدولية التي يشارك فيها كيان الاحتلال نفسه.

ولا يخفى على متابع للسياسة الآن أنّ البنية الاقتصادية المرتقبة وإعادة الإعمار التي يخطّط لها (الداعمون) في سوريا لا تلتفت إلى كلّ هذه الاعتبارات، بل على العكس من ذلك. فخطط البناء والإعمار والاستثمار التي يخطّط لها الأمريكيون ومعهم الأنظمة الإقليمية وكيان يهود هي خطّة شاملة تتكامل فيها بنية الاقتصاد والاستثمار في المنطقة كلّها، بما فيها دولة الاحتلال، لتكون مكمّلة لعمليات السلام والتطبيع واتفاقيات أبراهام ودمج الكيان في المنطقة في نظام إقليمي جديد بدأت ترتسم ملامحه في السنوات الأخيرة.

وهكذا يتّضح أنّ انسياق السلطة الجديدة في سوريا مع خطط البناء والاستثمار المرسومة لها من الخارج يضعها أمام خيارين أحلاهما مرّ:

أمّا أوّلهما فهو أن تكون بنية سوريا الاقتصادية والمدنية الضخمة والتي أنشئت على قياس الاستثمارات العالمية والخليجية عرضة للتدمير الشامل في لحظة اندلاع حرب لا مفرّ منها عاجلًا أو آجلًا مع الأعداء المحتلّين، وهذه ستكون نكسة اقتصادية ومعاشية ومعنوية لأهل سوريا وبلاد الشام عمومًا متصَوَّرةً آثارُها منذ اللحظة الراهنة، لا سمح الله.

وأمّا ثانيهما - وهو الأخطر- فهو أن تؤثر هذه الدولة السلامة فتشتري سلامة بنيتها ومنشآتها المدنية وبقاءها في المنظومة الاقتصادية بالإعراض عن فريضة الجهاد في سبيل الله لتحرير أرض الشام المباركة، وبالانخراط في سلام أمريكا للمنطقة والتعايش مع كيان يهود الغاصب، سواء باعتراف وتطبيع رسميين أو باعتراف ضمني تحت عنوان اتفاق فكّ الاشتباك الموقّع سنة ١٩٧٤. وهذه لا سمح الله خيانة لله ولرسوله ولأهل الشام قاطبة سوريّيهم وفلسطينيّيهم ولبنانيّيهم، بل ولسائر الأمّة كلّها.

يا أهل الشام في سوريا ولبنان والأردنّ:

إنّ الخطب لجَلَل، وإنّ المرحلة لخطيرة. وإنّ تضحياتكم الهائلة التي بذلتموها طوال عقود من الزمان للتحرّر من المستعمرين والمحتلّين والطغاة عرضة لأن تُجهَض على مذبح المكائد الأمريكية والاستثمارات العالمية واليهودية واتفاقيات أبراهام التطبيعية. تُمهّد لها الطريقَ أعذارٌ واهية وفتاوى جاهلة وغفلة من الخاصّة والعامّة عمّا يحدق من خطر داهم على دينهم وأعراضهم وأرضهم وكرامتهم. فهل ثورةٌ خرجت من المساجد تكبّر وتهلّل، وتهتف «هي لله هي لله لا للسلطة ولا للجاه»، وتتحدّى الفئة الكافرة بهتاف «قائدنا للأبد سيّدنا محمّد»... ترضى بأن تُختم بانخراط في مشروع أمريكا الاستثماري والتطبيع مع كيان يهود؟!

يا أهل الشام تدبّروا مليّا في الآيات التالية من سورة الأنفال، وستجدون وكأنها أنزلت عليكم الآن، تخاطبهم في واقعكم ومسيرتكم التي قطعتموها منذ انطلاق ثورتكم المباركة إلى يومكم هذا، وهي حُسن الختام:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الكذبة الكبرى حول الإسلام والعلمانية في بلاد المسلمين

د. يحيى حسن - اليمن

من أكثر الأكاذيب المتداولة والرائجة في أروقة الفكر السياسي والإعلامي، تلك التي تحاول أن تلقي اللوم على الجماعات الإسلامية وأهل الدين بالتسبب بالفقر والجهل المنتشرين في بلاد المسلمين. هذه الأكذوبة التي يروج لها كثير من المثقفين والإعلاميين في سعي لتشويه صورة الإسلام وتبرير الواقع المظلم الذي نعيشه، إذ يصرّون على أن الحل يكمن في تطبيق النظام «العلماني» الذي يفصل الدين عن الدولة، معتمدين على خطابات تنشرها الجهات المستفيدة من بقاء الوضع على ما هو عليه.

لكن الحقيقة التي يتجاهلها العلمانيون، بل ويعملون على إخفائها، هي أن العالم العربي قد حكمته فعلاً نظم علمانية منذ ما يزيد على المائة عام، ابتداء بتركيا ومصر ومرورًا بسوريا ولبنان وتونس والمغرب والسودان واليمن والخليج... كل هذه الدويلات تبنت الدساتير العلمانية في إطار سياساتها الداخلية، حتى وإن كانت ترفع شعار الإسلام بشكل أو بآخر في وجه الجمهور. وهذا الازدواج في الخطاب هو ما يعزز هذه الكذبة الكبرى، أنظمة تسمي نفسها إسلامية في البلاد العربية، بينما الحقيقة هي أن الأنظمة العربية هي علمانية تمامًا، وهي تتحكم بمصير الأمة حتى اليوم.

فالحقيقة أنه لا يوجد دولة في العالم العربي أو الإسلامي تطبق الشريعة الإسلامية بشكل كامل في نظمها، حتى وإن كانت ترفع شعار «الإسلام هو الحل». هذه الدول، التي ظلت تدعي تبنيها دستورا إسلاميا، كانت في الواقع قد استبدلت بالشريعة الإسلامية أنظمة علمانية غربية لم تُسهم إلا في تعميق الفساد والفقر والجهل، بينما قام الحكام باستغلال ثروات الأمة لصالحهم وصالح الغرب الذي دعمهم في بقائهم في السلطة.

إن الذين يتهمون الإسلام بعدم القدرة على حكم الدول ويرددون أن العلمانية هي الحل، لا يدركون أن الإسلام لو طبق في أي دولة، لكان جلب لها العدل والرخاء. الإسلام لا يقتصر على عبادات الفرد فحسب، بل هو نظام حياة كامل يشمل السياسة والاقتصاد والاجتماع. فإذا كان حكام الدويلات في بلاد المسلمين قد فشلوا، فذلك ليس بسبب الإسلام، بل بسبب فسادهم الشخصي ورضوخهم لنظام استعماري يقيد

شعوبهم ويمتص خيرات بلادهم. فالواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم هو نتيجة مباشرة للنظام العلماني الذي قاد الأمة إلى التدهور في كل المجالات، سواء في التعليم أو الاقتصاد أو السياسة.

والدليل على ذلك، هو أنه لا توجد دولة إسلامية طبقت الشريعة الإسلامية منهجا كاملا للحكم وواجهت مشكلات كالتي نعاني منها اليوم. فالإسلام هو الدين الحق، وهو الذي يضمن حقوق الإنسان. فدولة الخلافة عندما طبقت الإسلام كانت تعيش في ازدهار وتقدم حقيقيين، وكانت تبسط الأمن والعدل.

إن القول بأن «الإسلام فشل في الحكم» هو قول باطل ومرفوض تمامًا. وإذا أردنا أن نرى حقيقة هذا الفشل فعلينا أن ننظر إلى الأنظمة العلمانية التي تحكم الدول العربية الآن، والتي في أغلب الأحيان تكون أداة لتحقيق مصالح شخصية وفئوية على حساب الشعوب. هذه الأنظمة لا تؤمن بمفهوم العدالة الذي جاء به الإسلام، ولا تعمل على تحقيق رفاهية الناس أو حماية حقوقهم. بل على العكس من ذلك، هي تفضل الاستبداد والفساد بدلا من بناء دولة عادلة قائمة على الشريعة الإسلامية.

وفي الختام، نقول لأولئك الذين يروجون لهذا الخطاب:

إنكم تكذبون على الأمة، فالإسلام بريء من كل الفشل الذي نعيشه اليوم. فالمسلمون لم يكونوا يوماً في حاجة للعلمانية أو الرأسمالية، بل هم يحتاجون العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كما هي في حقيقتها، بعيدًا من التلاعب السياسي والتخلي عن القيم التي جاء بها الإسلام. فالإسلام يجب أن يطبق على الناس، ومتى عدنا إليه بصدق وعزم ستكون الأمة الإسلامية على الطريق الصحيح نحو النهوض والازدهار.

وإلى كل من يروج لهذه الأكاذيب نقول:

هاتوا لنا دولة إسلامية طبقت الشريعة وفشلت في توفير العدالة والازدهار، وبرهنت أن الإسلام لا يصلح للحكم. سننتظر الإجابة، ولكن الحقيقة هي أن الإسلام، لو طبق تطبيقًا صحيحًا فإنه سيعيد الحق إلى نصابة وينشر الخير للعالم بعد أن ملئ جورا وظلماً. ولقد استمرت الدولة الإسلامية ثلاثة عشر قرناً من الزمن، ولا تخفى على أحد، وستعود قريباً إن شاء الله، خلافةً راشدة على منهاج النبوة، كما بشرنا بها رسول الله ﷺ، بعد الحكم الجبري الذي يحكمنا بالحديد والنار وبهذه الأفكار العلمانية المخالفة للفطرة الإنسانية.

نسأل الله أن يثبتنا على الحق وأن يكون ذلك قريباً. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام السوري وهزيمة العلمانية وإنجاز عملية التغيير وإعادة الخلافة الراشدة

أحمد معاز- سوريا

لقد شكّل سقوط النظام السوري البائد علامة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية، وأثبت أن معية الله مع المظلومين دائمة، وأن ثورات المسلمين لم تمت، وأن مشروع التغيير الذي نهض له أبناء الأمة لإعادة الإسلام إلى الحياة واستئناف تبليغ رسالته للعالم لم يتوقف، رغم التكالب المستمر لوقف تمدده وإطفاء جذوته في سياق التدافع الحضاري مع المبدأ الرأسمالي المادي الذي أهلك الحرث والنسل، ولا سيّما أن سوريا هي أحد بلدان بلاد الشام قلب العالم، وما يحدث فيها منذ سنوات من صراع يمثّل صراعا حضاريا بين الأمة الإسلامية الساعية لاستعادة دورها ودولتها وبين قوى الاستعمار العالمي الرأسمالي ودوله، وعلى رأسها الولايات المتحدة. ولا شك أن سقوط هذا النظام يمثّل خطوة مهمة على طريق التغيير الذي حصل بتدخل رباني أكرم الله به المسلمين المستضعفين في الشام، والذين تكالب عليهم القريب والبعيد والصديق المزعوم قبل العدو. وكان الثبات الأسطوري طوال أربع عشرة سنة علامة فارقة في الصراع، انتهت مرحلة مهمة منه بخروج إيران ونفوذها بشكل سريع ومذل لم يكن أحد يتصوره، وبهزيمة حزب إيران اللبناني وخروجه من ساحة الصراع العسكري. وهما، أي إيران وحزبها اللبناني، شكّلا رأس حربة وأداة مهمة في محاربة مشروع الأمة الإسلامية التي تسعى من خلاله لاستعادة سلطانها وإقامة دولتها.

إن إسقاط الأدوات العسكرية الأبرز في مواجهة ثورة الشام المباركة ستكون له تبعات عظيمة على المنطقة، خصوصا أن الثورة في سوريا كانت ثوابتها واضحة محددة في الدعوة لإسقاط النظام وإقامة الخلافة على أنقاضه، ما أقض مضجع العالم كله، فاستنفر جميع قواه للكيد لها وللوقوف في وجهها، واستعمل أقذر الأدوات لمحاربتها عسكريا، عبر الحشد الطائفي الذي كان له بالغ الأثر على الثورة. كما كان للنظام التركي الذي يسير سياسيا في الفلك الأمريكي دور كبير، وخاصة بعد السيطرة على قرار الثورة.

فالنظام التركي تدخّل في سوريا بتوجيهات ودفع من أمريكا للسيطرة على قرار الثورة، حتى لا تتفلت وتنقلب على الإرادة الدولية وقراراتها، ولحماية العلمانية من السقوط في الشام، بالمكر والخداع، بعد فشل الدور الإيراني العسكري.

وقد كان لمناطق خفض التصعيد ولمخرجات المؤتمرات الدولية الأثر الكبير على تراجع ثورة الشام، واستطاعت إيران وروسيا السيطرة على حلب عام ٢٠١٦م وما تبع ذلك لاحقا من انهيارات وتسليم مناطق في الغوطة وحمص ودرعا، وآخرها ريف حماة الشمالي وريف إدلب الشرقي أواخر عام ٢٠١٩م، وما رافق ذلك من جرائم ومجازر لم يعبّر سجن صيدنايا إلا عن جزء بسيط منها. وقد اعترف بوتين لاحقا بأنه ما كان لهم استعادة حلب لولا صديقه أردوغان الذي لم ينبس ببنت شفة، والواقع أصدق إنباء من الكتب والتصريحات، وقد بقي أردوغان لآخر لحظة حتى قبيل انطلاق معركة ردع العدوان يدعو بشارع لزيارة تركيا وتنفيذ القرار ٢٢٥٤ الذي يضمن الحفاظ على النظام العلماني في سوريا. وقد أبرزت معارك (ردع العدوان) تجذر الثورة في نفوس أبنائها الذي انطلقوا مجاهدين يدكون فلول النظام البائد المتهالكة، لتكون نهاية المعركة سقوط النظام البائد وزوال عقود من الظلم والطغيان والإجرام الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا.

ويقرر الكثيرون أن نتائج المعارك كانت أكبر مما خُطط له، وهذا من فضل الله عز وجل الذي بارك في بطولات المجاهدين الصادقين. وكما يظهر فإن النظام التركي حريص على استمرار علمانية الدولة في سوريا بعد سقوط النظام المجرم، من خلال التوجيهات والنصائح التي يقدمها للإدارة الجديدة في دمشق، وكل ذلك خشية من التوجه الإسلامي لمجاهدي ثورة الشام ومشروع الخلافة في سوريا الذي كان ولا يزال يُقلق دوائر القرار في أمريكا وتسعى للقضاء عليه بأي طريقة ممكنة، خصوصا بعد أن أصبحت له حاضنة شعبية واسعة في سوريا وفي أوساط الثوار والمجاهدين، ولذلك كان دفع النظام التركي عبر أدواته باتجاه منع نجاح المشروع والتضييق على حمَلة دعوته.

واليوم نرى سعي أمريكا صاحبة القرار لمحاولة تكرار ما يسمى النموذج التركي في سوريا، مع وهج إعلامي وتضليل كبير، وبترتيب أعظم مع الدول العربية وخصوصا الخليجية ومصر، وبدقة متناهية، مع سيل كبير من التبريرات كما هو الحال في تركيا، للسير بأهل الشام في طريق بعيد عن مصدر عزتهم وكرامتهم التي ينشدون والتي بذلوا لها شلال دماء لاستعادة حكم الله في الأرض ونيل رضوانه وتغيير مجرى التاريخ.

إن النموذج التركي التنموي الذي يتم تصديره منذ عقدين إلى الأمة الإسلامية ليكون خادما للمصالح الدولية والنظام العالمي هو ما تجري الآن محاولة استنساخه في سوريا، عبر نظام مدني ديمقراطي وشكل من أشكال العلمانية الناعمة، وعبر من تريد أمريكا تثبيتهم

في الحكم ممن ترضى عنهم، من أصحاب الأدوار المشبوهة، وممن يمتلكون القدرة على التقلب في المواقف وتغيير الولاءات والمخالفات الشرعية، والتسبب في ارتكاب الكثير من الجرائم بحق الثوار والمجاهدين، والدور الذي يمكن لعبه بعد تهاوي النظام الأسدي وهروب رأسه. لذلك يجري الضغط على إدارة المرحلة بما يحقق أهداف أمريكا في منع تحكيم الإسلام وقيام دولة الخلافة في سوريا، مع ما يرافق ذلك من مهاترات إعلامية ودبلوماسية بين النظام التركي والدول العربية التي تظهر بمظهر الصقور مرحليا لتحقيق أكبر قدر من التنازلات مقابل الاعتراف بالإدارة الحالية، وتقديم الدعم والقبول في مراحل لاحقة بإعادة سوريا إلى الجامعة العربية ولاحقا الأمم المتحدة.

إن كيد الدول الإقليمية والنظام الدولي لتأخير عودة الإسلام للحكم مرة أخرى سيرتد إلى نحورهم بإذن الله، لأننا نعلم يقينا أن النظام الرأسمالي يحمل بذور فنائه في الأساس الذي يقوم عليه. ولن تكون النتيجة الحتمية إلا السقوط المدوي. فالمسلمون اليوم ليسوا هم الذين كانوا قبل مائة عام، فالوعي هو عنوان هذه المرحلة، وهو الذي كلّف الغرب حرق أوراقه التي أعدها لعقود طويلة في سنوات قليلة. وكما فضح ثبات أهل الشام محور الدجل والمقاومة فإنه سيسقط ما دونه. فالهدم الذي تقوم به الثورات بعد هدم التيارات وصل لمراحل متقدمة، بعد تنامي وعي الأمة السياسي بشكل كبير، فلا يصمد أمامه متآمر هنا ومخادع هناك. فالتنمية التي لا تبنى على مبادئ صحيحة وأصل ثابت وأساس راسخ تقتلعها رياح التغيير بسهولة. ومظاهر التنمية التي يعتمدها من يسعون لاستنساخ النموذج التركي والتي تملأ صورها وبهرجتها كل مكان تكذبها الحقائق على الأرض، وسرعان ما ستنهار على رأس من بناها.

وفي غمرة التحليل السياسي وتشابك المتدخلين في الشأن السوري لن ننسى دور كيان يهود. ففي الوقت الذي ثارت الأمة لتغيير أوضاعها وللنهوض من جديد من تحت ركام الأنظمة العلمانية الجبرية التي حكمت بالحديد والنار طوال قرن أسود، تقود دول الخليج وعلى رأسها السعودية والإمارات مشروع التطبيع مع الكيان، وتسعى بكل طاقتها للترويج له ودمجه بالمنطقة، رغم أن الفشل هو مصيره بسبب العقلية اليهودية قبل رفض المسلمين الذين يرون أن قضية الأرض المباركة فلسطين قضية عقدية ثبّتها القرآن الكريم في وجدان الأمة لا يمكن تجاوزها. لكن هذه الدول -ومعها مصر والأردن- تسير في طريق التطبيع وتطمع بعد سقوط الأسد بضم سوريا لهذا المعسكر

الانبطاحي. والأمة بمجموعها ترفض وجود الكيان وتعده غدة سرطانية استعمارية تجب إزالتها، ويقابلها حكام العرب العملاء بالتطبيع، فيقع الكثير من المسلمين في براثن الدور الإيراني المشبوه الذي فضحته الثورة المباركة في الشام وأسقطته من وجدان الأمة، وكذلك عراه طوفان الأقصى مما كان يتستر به من شعارات كاذبة.

إن الدور الذي تقوم به الأنظمة العربية والنظام التركي لاستمرار علمانية الدولة في سوريا هو عنوان المرحلة القادمة في سوريا، تحت نظر أمريكا ومراقبة كيان يهود، في محاولة للقضاء على ثوابت ثورة الشام واحتوائها وتوجيهها نحو التصالح مع محيطها العربي من أجل الاستقرار، بذريعة إعادة بناء الدولة التي يريدونها جميعا أن تكون تابعة ومتناغمة مع مواقف الدول الإقليمية لرعاية وحماية الكيان واستقراره واستقرار النظام الدولي الظالم، في الوقت الذي يغلي مرجل الأمة الإسلامية لإنجاز عملية التغيير الحقيقي، التغيير الذي يطيح بحدود سايكس بيكو ويعيد جمع الأمة على ما يحبه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون، وهذا أحد الأهداف غير المباشرة لما يتم تسويقه في سوريا، لما له من تأثير نفسي كبير على الأمة التي فرحت من أقصاها إلى أقصاها بانتصار الثورة وإسقاط الطاغية، وتطمح بأن يكون أهل الشام ممن يصلحون ما أفسده الحكام العملاء، وتكون الشام منطلقا لتحرير الأمة الإسلامية من كابوس الأنظمة العلمانية والوطنية الجاهلية واستعادتها لدورها الحضاري، بما تمتلكه من مخزون وإرث كبير وتاريخ عريض في صد الحملات التي حاولت استئصال الإسلام، فكانت الدرع الحامي للأمة، فتقوم في كل مرة من تحت الركام وتقدم التضحيات وتعيد ضبط عقارب الساعة وتصلح مجرى التاريخ. ومن أصدق ما قيل في ذلك أن سوريا كانت دائما مفترق الحضارات وهي تقف الآن على مفترق التاريخ، فإما أن تنهض وتعيد الشريعة نبراسا لها فتنهض معها الأمة وتنخرط في معركة الوعي لتزيح عن كاهلها عقود الطغيان والحكم الجبري، وإما تكون محاولة فاشلة تضاف للمحاولات الفاشلة السابقة.

لكن الثابت هو أن الشام هي عقر دار الإسلام، وأن على أهل الشام وخصوصا المجاهدين الثبات على أمر الله ورفض الانصياع للرغبات والأهواء، ومتابعة البذل بوعي وإدراك لمآلات الأمور، حتى إعادة الشام عقر دار المؤمنين وإعادة غوطتها مربط خيول المجاهدين الذين تنتظرهم فلسطين وساحات المسجد الأقصى الذي لن يحرره ويستعيده إلا الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ولمثل ذلك فليعمل العاملون. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

هل تقيم الشيوعية دولتها وتعجز عن ذلك أمة الإسلام؟!

م. وسام الأطرش- تونس

ربما يعجز العقل السويّ والفطرة السليمة والجبلّة المستقيمة عن استيعاب مرور خمسة عشر شهرا بأيامها ولياليها دون أن تلقي الحرب أوزارها وتنهي آلة القتل جرائمها في حق الأبرياء من أهل غزة، مع ما تحمله كل لحظة من أهوال تشيب لها الولدان ويعجز عن وصفها اللسان، صارت أشبه بكابوس لا ينتهي، لتكتب كل مجزرة، وبأحرف من دم، بيان نعي جديد للأحياء المتخاذلين عن نصرة المستضعفين، وقد تعوّدت أعينهم على مشاهد الدماء والأشلاء دون أن تحرك لهم ساكنا، وبخاصة قادة الجيوش الجرارة المحيطة بالمنطقة وقد أراد وكلاء الاستعمار ولا يزالون أن تظل مسربلة بالخزي والعار. مع أن الله سبحانه يقول من فوق سبع سماوات: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾.

فهل نستصرخ بقيّةَ حياءٍ مِنْ بَقيّةِ إيمانٍ في قلوبهم أم نَرْثيهم وَهُم أحياء وأمثلهم طريقة مَن انسحب من الميدان بتواطؤ واضح فاضح، ولسان حاله يقول لإخوته في غزة: البحر أمامكم والعدو وراءكم؟ فأين هؤلاء مما فعله القائد صلاح الدّين؟

شريط ساحلي صغير لم يتجاوز طوله ٤٠ كم، تدور حوله رحى حرب عالمية على الإسلام، عقيدة ونظاما ومقدسات، استُعملت فيها أقوى الأسلحة والبوارج والطائرات ومنها المسيّرات المجهزة بأدق التقنيات، ونفذت خلالها أعنف الهجومات والغارات، وتجندت لها أعتى أجهزة المخابرات، لدعم جنود جيش «الحفاضات» وتقدمهم داخل الدبابات، وما قصف المساجد وتدنيس المنابر وحرق المصاحف وشتم النبي ﷺ في باحة المسجد الأقصى إلا حلقة من مسلسل صراع الحضارات، تجاوزت حدود الفاشية والنازية، لتكشف لنا هذه الحرب الحضارية الوجودية حقيقة العالم الرأسمالي «المتحضر» الذي نعيش فيه، وتضع الأمة بكل قواها، لا أمام واجبها الشرعي ومسؤوليتها التاريخية فحسب، وإنما أمام الأبعاد الحقيقية لصورتها وهيئتها وملامحها حين تنظر إلى نفسها في المرآة وقد بدا عليها العجز والوهن، فتدرك بكل مرارة وحسرة تلك الحالة الغثائية التي وصلت إليها نتيجة البعد عن أحكام الإسلام ونقض كل عراه، وفي مقدمتها الحكم، لتصبح أمة بلا هيبة ولا شوكة ولا سلطان، رضيت لجيوشها أن تغادر الساحات لترفع النفايات وتبيع الخضروات، وتدخر عدّتها وعتادها فقط للتدريبات، وحاشا لمن كرّمه الله بذروة سنام الإسلام أن يخضع لظلم الحكام اللئام، ويرضى

بالقعود. قال تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾. (البروج: ٥-٨)

فهل تليق هذه الحالة بخير أمة أخرجت للناس. روى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه: «**الْإِسْلَامُ وَالسُّلْطَانُ أَخَوَانِ تَوْأَمان، لَا يَصْلُحُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ، فَالْإِسْلَامُ أُسٌّ وَالسُّلْطَانِ حَارِسٌ، وَمَا لَا أُسَّ لَهُ مُنْهَدِمٌ، وَمَا لَا حَارِسَ لَهُ ضَائِعٌ**»؟ وكيف السبيل للنجاة وإنهاء هذه المأساة وكل مآسينا وقد حاوطت قوى الكفر أطرافنا وقيّدت أيدينا بقيود الأنظمة العميلة التي تنوب عنها في حماية كيان يهود وحراسة مصالحها في بلاد الإسلام بل وفي قطع أرزاقنا ورقابنا إن لزم الأمر، نكاية في الأمّة ودينها؟

التفكير الجدّي في التغيير الجذري

أهوال كبيرة تُردي الحليم حيرانا، وأسئلة كثيرة تراود أبناء الأمة بحثا عن شعاع خافت من الرجاء، وقد خيّمت أجواء الحرب وسادت رائحة الموت وكاد العجز أن يصبح قدرا مقدورا، لولا بقية من أمل لم يمت، بل ظل نبضا خفيفا في قلب الأمة المؤمنة بربها، ينتظر اللحظة المناسبة ليعيد الحياة إليها، حياة إسلامية يعانق فيها الإسلامُ السلطانَ بعد فراق، ويعود فيها للدين عزّه بعد نقض عراه، ويتأكد فيها للمرجفين والمتخاذلين أن الله ناصر عباده ولو بعد حين، وأن التغيير يأتي مع الإيمان والصبر، وأن العاقبة للمتقين. قال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾. هذا قول ربنا في سورة هود، التي قال عنها النبي ﷺ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**». ولذلك حينما تعصف رياح المحن ويشتد سواد الليالي، يأتي النور كالشمعة الهادئة، يبدد بعضاً من العتمة ويهمس في الأذن بأن نهاية كل ليل غاسق هو فجر صادق، وحاشا للمؤمن أن يستسلم لليأس، بل تجده على يقين بأنه يحمل في طياته بذور الأمل والتغيير، مهما اشتدت الكروب وتعاظمت المصائب. بل إنها أقوى ما تكون اشتداداً وامتداداً واسوداداً، أقرب ما تكون انقشاعاً وانفراجاً بإذن الله وعونه. قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ (الحجر، ٥٦). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف، ٨٧).

إذن، المسألة محسومة في ميزان العقيدة، وهو حسم إلهي لا ريب فيه يعاضده فيض الآيات والأحاديث حول النصر والتمكين وحتمية ظهور هذا الدين على الدين كلّه.

ورغم أن ما يبتغيه أعداء الأمة هو محاولة تأخير النصر وإحداث الهزيمة النفسية التي تشل التفكير وتعيق حركة النهضة الصحيحة، أي تعيق الارتقاء الفكري على أساس روحي نابع من الإيمان والعقيدة، إلا أن الهزة العنيفة

التي مرّت بها الأمة تزامنا مع أحداث الحرب على غزة، قد أوجدت فيها بلا شك إحساسا جماعيا مشتركا دافعا نحو التفكير في سبل التغيير الجذري والتحرر النهائي من ربقة الاستعمار، حتى لا تتكرر مآسي غزة، سواء في غزة أم في غيرها من بلاد الإسلام.

ولكن من نالوا قدرا أعلى من الإحساس، وتمركزت فيهم الفكرة الإسلامية بحيث لا يتحركون إلا حركة وعي وإدراك في اتجاه تجسيد المبدأ على أرض الواقع، مطالبون بإيقاظ وإلهام مَن حولهم بإثارة الفكر وتبصرة الفهم وإنارة طريق قطف ثمار العمل الجاد لاستئناف العيش بالإسلام، وتحرير المسجد الأقصى من رجس يهود، بعد هذا الامتحان العسير، بحيث يجد الأمل طريقه إلى صدور الناس ولا يجد المشككون والمرجفون طريقا للتشكيك في الفكرة الإسلامية أو في الطريقة التي هي من جنس الفكرة، لأن من يستهدف الثلة الواعية والحزب الرائد المتحمل لأعباء هذا التكليف من خلال النقد اللاذع وقصف الجبهات ودق الإسفين بين الحزب والقيادات المخلصة في الجيوش تماهيا مع ما يريده الكافر المستعمر، هو يستهدف في الحقيقة الأمة المكبلة والحيويّة التي بدأت تدب فيها ومسار النهضة الذي سيعقب وقوفها على قدميها وينقلها من قاع التخلف وضعف الأداء إلى قمة المجد والعلياء. ومع ذلك، فنحن على يقين بأن العون من الله والإحسان يأتي عند ذروة الشدة والامتحان.

في المقابل، وفي سياق التفكير الجدي في تغيير جذري انقلابي يخرجنا من هذا الواقع الأليم، قد يعجز المرء عن استيعاب حجم التلكؤ والقعود الذي يمنع بعض القوى الفاعلة والقادرة في الأمة من نصرة الإسلام والمسلمين، وفي مقدمتها جيوش المسلمين الرابضة في ثكناتها. من هنا كان من الضروري أن نبحث عن جرعة من الوعي تنتشلنا من واقع الانحطاط الذي خلّفه تطبيق الرأسمالية تحت سقف ديمقراطية مزعومة وداخل أقفاص وطنية ضيقة، تخنقنا إلى حد الموت، وتجعل منا جثثا هامدة تحت أنقاض المستوطنات الفكرية والتشريعية التي بناها الاستعمار في بلادنا. وهو ما دفعنا إلى طرح بعض الأسئلة الحارقة وربما المحيرة، ضمن خواطر تمت صياغتها على هامش الحرب في غزة وعلى وقع القصف الفكري الممنهج في سائر بلاد الإسلام، لنجيب بإذن الله عن سؤال صادم تم اختياره عن قصد: هل يُعقل أن تقود فكرة الشيوعية إلى ثورة أقامت نواة للاتحاد السوفياتي الذي ناكف وناطح الدولة الأولى في العالم لعقود، وأن يعجز المسلمون في المقابل عن تغيير واقعهم بإقامة دولة تقوم على أساس الفكرة الإسلامية وتواجه أمريكا وربيبتها في المنطقة؟

الثورة البلشفية، طريق إقامة الدولة الشيوعية

في بداية القرن الماضي، ظهر الفكر

الماركسي في روسيا الزراعية، فاستطاعت فكرة الشيوعية والاشتراكية، التي تبنتها الدولة، أن تُحوّلها إلى واحدة من القوى الرائدة خلال عشرين عاماً (من ١٩١٧ إلى ١٩٣٩). كان الأمر مجرد فكرة فلسفية أشرقت في ذهن الفيلسوف الألماني كارل ماركس، الذي عمل على تطوير فكرته الشيطانية بنزعة إلحادية ترى أن الكون بما فيه هو مادّة، وأن الذي يسيّرها هو التطور المادّي فحسب، نافيا كل صلة للكون والإنسان والحياة بفكرة وجود خالق خلقها. وأسس على ذلك فكره ونظريته في الاقتصاد ونظرته إلى المجتمع، حتى صارت عقيدة عقلية ينبثق منها نظام للحياة والمجتمع والدولة، بالرغم مما شابها من خور فكري وتلفيق مبدئي وتناقض منهجي بل ومن مخالفة للفطرة البشرية قبل أن يتجسد هذا المبدأ في دولة تقوم على أساسه وتحمله مشروعا حضاريا لسائر الأمم والشعوب.

عام ١٨٤٨ أصدر كارل ماركس مع ابن بلده ورفيق كفاحه فريدريك إنجلز «البيان الشيوعي»، وهو كتيب يحلل صراع الطبقات ومشكلات الرأسمالية، وقد عُدّ من أبرز المؤلفات وأكثرها مبيعا، ولعب دورا كبيرا في رسم النهج المبدئي للكتلة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي، والتي نافست الغرب لعقود طويلة في القرن الماضي. وتكمن أهميته التاريخية في أنه احتوى لأول مرة عرضا في منتهى «الوضوح والدقة العبقريين» حسب عبارة لينين للنظرية الماركسية أي نظرية الاشتراكية العلمية.

توفي ماركس سنة ١٨٨٣، ولم توجد في حياته دولة تقوم على فكرته، ورغم أن الأفكار الشيوعية بدأت بالانتشار منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث انتقل ماركس بدعوته إلى باريس وبروكسل ولندن، إلا أنه لم تحصل خلال هذا القرن أي ثورة على أساس هذه الأفكار ولم تُقدم أي جهة على تبني هذا المشروع، وبخاصة في البلاد الرأسمالية المتقدمة التي توقع ماركس أن تكون نواة لهذا المشروع، نظراً لتطور قواها الإنتاجية وتضخم طبقتها العاملة في ظل الأزمات الدورية للرأسمالية.

ومع ذلك، فإن الواقع التاريخي أظهر أن أول ثورة شيوعية ناجحة حدثت في بلد غير متوقع، حيث قامت في روسيا القيصرية ثورة سنة ١٩٠٥ وأخفقت، ثم قامت ثورة شباط ١٩١٧ وأخفقت، فنظم البلاشفة صفوفهم من جديد وبسرعة قياسية، ثم قامت ثورة تشرين الأول ١٩١٧ ونجحت بقيادة لينين، بما يعكسه ذلك من ثقة في الفكرة الشيوعية ترجمها الإصرار على المحاولة في هذه البقعة من العالم تحديدا. صحيح أنه كان لألمانيا دور في دعم لينين وحركته حتى تخرج روسيا من التحالف المشكل ضدها من بريطانيا وفرنسا في الحرب العالمية الأولى، ولذلك سرعان ما تحرك أنصار الثورة المضادة من المناهضين

للاشتراكية، بدعم بريطاني فرنسي، إلا أن النظام الجديد بقيادة الشيوعيين استطاع أن يقضي عليهم عام ١٩٢٠.

فما سر نجاح الثورة البلشفية التي قطعت على الغرب مشروع تفرد الحضارة الرأسمالية بقيادة البشرية وأقامت دولة صناعية منافسة للغرب استطاعت أن تطلق أول قمر صناعي في العالم شكّل صدمة لأمريكا، وذلك سنة ١٩٥٧؟

هذه الفكرة (الشيوعية)، رغم أنها عقيدة كفر، وكونها فكرة فلسفية إلحادية، استطاعت قيادة فئة من البشر ومكّنتهم ليس من الحكم فحسب بل ومزاحمة القوى الكبرى، وذلك لأربعة أسباب رئيسة جديرة بالاهتمام والاستحضار:

أولا: العقيدة

ذلك أن الفكرة الشيوعية استطاعت أن تكون من الناحية النظرية المبدئية فكرة كلّية عن الكون والإنسان والحياة، وأن تجيب (ولو بشكل خاطئ) عن أسئلة الوجود. فأعادت النظر إلى جزئيات الكون واختزلت العالم كله في المادة واعتبرت أنها أزلية قديمة، فمثّلت وجهة نظر معينة في الحياة وشكلت أرضية فكرية وفلسفية للدولة الشيوعية، وحتى العقل عرّفته أيضا بأنه انعكاس للمادة على الدماغ. ولذلك قال حزب التحرير في كتاب التفكير: «إن محاولة تعريف علماء الشيوعية للعقل، هو وحده الذي يمكن أن يستحق الذكر ويمكن أن يرتفع إلى مستوى النظر لأنها محاولة جدية، لم يفسدها عليهم إلا إصرارهم الخاطئ على إنكار أن لهذا الوجود خالقا».

ثانيا: القيادة الفكرية

تعتبر المادية الجدلية أحد المبادئ الأساسية في الفلسفة الشيوعية، وهي تفترض وجود تناقضات وصراعات في المجتمع نتيجة التباينات الطبقية والاقتصادية. ويُعتبر هذا التناقض والصراع محركاً للتطور الاجتماعي والتاريخي ولتغيير الهياكل الاقتصادية والاجتماعية نحو نظام أكثر عدالة، حيث تتعامل الفكرة الشيوعية مع هذه التناقضات بطريقة تجعلها تفهم الواقع وتؤدي إلى التغيير الاجتماعي. ولذلك فإن أسلوب الجدل الذي يثار في العموم، والذي يعتمد على إثارة المتناقضات في الحوارات العامة ووسائل الإعلام، يندرج تحت مفهوم المادية الجدلية في الفكر الشيوعي. وكان هذا الأسلوب وسيلة لإثارة الفكر وإحداث نوع من الارتقاء الفكري، وكان المبدأ الاشتراكي ومنه الشيوعي يحمل قيادة فكرية، هي المادية والتطور المادي، وعلى أساسها يحكم بأنظمته ويدعو لها ويحاول أن يطبقها في كل مكان.

ثالثا: الحزب السياسي المبدئي

لقد ظل الفكر الماركسي مجرد نظرية فلسفية إلى حين تلقفها الشاب فلاديمير لينين الذي ترك مهنة المحاماة وتفرغ للنشاط السياسي، ليُحدث نقلة نوعية في الفكر

الشيوعي ويستحدث بعد تطويره ما بات يعرف بـ«الماركسية اللينينية». حيث كانت له قدرة على استنطاق الواقع والتعامل مع متغيراته على ضوء الفكر الشيوعي وفلسفته من أجل إنضاج «البديل الثوري» ووضعه موضع التطبيق والتنفيذ، حسب معالم وتصورات دوّنها في كتبه. ولكنه في الآن ذاته كان يؤمن أن التغيير لا يكون عبر الأفراد وإنما عبر الصفة الكيانية للحزب، ومن أقواله المأثورة في هذا الصدد: «صوت رجل بمفرده لا يبلغ مسامع الشعب كلّه بل يضيع ويختنق في أقبية البوليس».

ولذلك كانت العلاقة بين الزعامات الفردية والهيكل الحزبي تفاعلية، فلينين وتروتسكي ومن معهما كانوا يعتمدون على دعم الحزب المنظم لنشر أفكارهم وتنفيذ خططهم. في الوقت نفسه، كانت القيادة الحزبية في الفروع تستمد شرعيتها وتأثيرها من الرؤية التي قدّمها قادتها، ومن قدرتهم على التخطيط الإستراتيجي. وكان للحزب فروع في كامل روسيا تقريبا.

ولذلك فإن نجاح البلاشفة في الثورة الروسية كان نتيجة للتفاعل بين القيادة الفردية الحازمة والمؤثرة مثل لينين والأجهزة والهياكل المنظمة للحزب البلشفي. حيث وفر التنظيم الحزبي البنية التحتية والدعم اللازمين، في حين شكلت الزعامات الفردية مصدر إلهام وقدمت الرؤية والقرارات الحاسمة المطلوبة لتحريك الجماهير وتوجيه الثورة وقيادتها.

ولذلك انتقد لينين في كتابه «الدولة والثورة» نهج الأحزاب الديمقراطية التي تؤمن بالإصلاح التدريجي ورأى أن التغيير لا يكون إلا بشكل انقلابي شامل.

لقد كان الحزب البلشفي حزبا مبدئيا يتميز بتنظيم شديد وهيكل قيادي قوي وانضباط حزبي صارم وقدرة على التواصل مع الأتباع والنشطاء والجماهير، حيث كان لديه هيكل هرمي محدد مع توزيع واضح للمهام والأدوار، ما ساعد في تنفيذ الإستراتيجيات بشكل فعال، كما طور البلاشفة شبكات سرية معقدة وخلايا ثورية لضمان التواصل الفعال بين الأعضاء، خاصة في ظل القمع الذي تعرضوا له على يد الحكومة القيصرية ثم الحكومة المؤقتة، ولم يكن حينها وجود للذكاء الاصطناعي ولا لوسائل التواصل الإلكتروني. وهكذا، ظل الحزب ممسكا بزمام الأمور مبدعا في خططه وأساليبه قادراً على التكيف مع الظروف المتغيرة واستغلال الفرص السياسية لصالحه، وكان جاهزا للاجتماع في الظروف الطارئة وقادرا على الفعل السياسي في اللحظات الحاسمة.

رابعا: كسب دعم الجيش

لا يخفى على كل متابع أن الشيوعية تنظّر لـ«العنف الثوري» وتَعُدّه شرطا ضروريا لنجاح الثورة، فكانت قوى الثورة تحاول تجييش فصائل مسلحة ضد أجهزة السلطة قصد إسقاطها، ولكن بعد فشل الثورة لأكثر من مرة، أدرك البلاشفة أنه لا مناص من الرهان

على ورقة الجيش والحصول على دعم ضباط الجيش القيصري وجنوده، خاصة وأن الكثير منهم كانوا مستائين من الوضع، وهكذا حصل تنسيق دقيق بين الحزب البلشفي والسوفيتات (مجالس العمال والجنود)، ما أعان على تنظيم الانتفاضة بشكل فعّال، وساعد كذلك في السيطرة على بتروغراد. ثم خلال الحرب الأهلية، أظهر الجيش الأحمر بقيادة تروتسكي، الذي كان في الأصل قوة من المتطوعين، مستوى عالياً من الانضباط والتنسيق، بعد استخدام الضباط السابقين في الجيش القيصري الذين كانوا ذوي خبرة عسكرية، على الرغم من معارضة بعض البلاشفة لذلك.

وهكذا، يمكن القول بشيء من التنسيب إن لهذه العوامل الأربعة مجتمعة دورا كبيرا في نجاح الثورة البلشفية وقيام الاتحاد السوفيتي على أنقاض روسيا القيصرية، رغم مخالفتها الواضحة لفطرة البشر.

ولكن إذا افترضنا وجود عامل خامس، فهو حتما تلك الغالبية المسحوقة من الناس والتي كانت تعاني البؤس والفقر والحرمان، وهذا ما جعل الرأي العام متقبلا لفكرة إسقاط الرأسمالية، ولو بالقوة.

في هذا الصدد، كان لحزب التحرير القول الفصل في حديثه عن القيادة الفكرية للشيوعية، حيث قال ملخّصا حقيقتها: «ومن هنا كانت القيادة الفكرية في الشيوعية مخفقة من ناحية فطرية، وإنما يُتحيّل لها بالمعدة، وتستهوي الجائعين، والخائفين، والبائسين، ويتمسك بها المنخفضون، والمخفقون في الحياة الحاقدون عليها، والمصابون بالشذوذ العقلي، حتى يقال إنهم من ذوي الفكر حين يتشدقون بالنظرية الديالكتيكية التي هي أظهر شيء فساداً وبطلاناً بشهادة الحس والعقل معاً. وتتوسل بالقوة لإخضاع الناس لمبدئها، ومن هنا كان الضغط والكبت، وكانت الثورات والقلاقل والتخريب والاضطراب من أهم وسائلها».

سنة التغيير تجري على حزب التحرير

ولكن هنا يبقى السؤال مطروحا، إذا كانت فكرة فلسفية شاذة (كالاشتراكية ومنها الشيوعية) استطاعت أن تصعد في سلم الأفكار إلى درجة أن تشكل هوية مجتمع بأكمله ويقوم على أساسها كيان دولة كبرى، فما الذي يعيق الأمة الإسلامية من إقامة دولة على أساس الفكرة الإسلامية ومناطحة المبدأ الرأسمالي المتهاوي، وهي الموعودة بالنصر والتمكين؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بد من التذكير بالنقاط التالية:

١. إن العقيدة الإسلامية، هي عقيدة عقلية ينبثق منها نظام، وهي فكرة كلّية عن الكون والإنسان والحياة، والقيادة في الإسلام قيادة فكرية، وهي التي تؤدي إلى نهضة صحيحة، أي إلى ارتقاء فكري على أساس روحي، بخلاف الشيوعية المناقضة لفطرة

الإنسان، ولذلك فهي قاعدة فكرية تبنى عليها جميع التصورات الجزئية في الحياة، وهي أساس النهضة، لأنها حلّت العقدة الكبرى لدى الإنسان بشكل يقنع العقل ويوافق الفطرة ويحقق الطمأنينة في القلب.

٢. إن الأحكام الشرعية هي معالجات لوقائع، وإن المطلوب لقيادة الناس هو بيان مدى انطباق الحكم على الواقع، وهذا يتطلب حسن تنزيل الأحكام على الوقائع، بشكل يبرز فيه الإسلام ومعالجاته بصفتها علاجا للواقع المُراد تغييره، وتبرز فيه صورة المجتمع الناهض على أساس الإسلام، فتعود ثقة الأمة بدينها وعقيدتها. كما يتطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما في ذلك أمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحث الناس على فعل التغيير، لأن تغيير الواقع منوط بالأمة بوصفها أمة، وليس حكرا على فرد أو جماعة. وهذا بخلاف إثارة التناقضات والصراعات للقيام بعملية التغيير كما هو الحال في الشيوعية.

٣. إن الطريقة الشرعية لاستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية، هي التكتل الحزبي المبدئي الذي يقوم على أساس الإسلام، اقتداء بطريقة رسول الله ﷺ في تغيير الواقع وجعله دار إسلام، ولذلك قام في الأمة حزب التحرير منذ سنة ١٩٥٣، على يدي مجدد هذا العصر الشيخ تقي الدّين النبهاني رحمه الله. وهذا الحزب السياسي المبدئي هو كلّ فكري شعوري، يريد أن يفرض نفسه على المجتمع، فيكون فاعلاً فيه، لا منفعلا به، ومؤثرا لا متأثرا، مهما عصفت به الأحداث واشتدت به الخطوب، ممسكا بزمام الأمور حريصا على إحداث الانقلاب الفكري والشعوري الشامل في المجتمع الذي يريد بناءه.

وقد كان الحزب واعيا منذ البداية على ضرورة أن يدخل المجتمع بوصفه كياناً فكرياً، تبرز فيه الصفة الكيانية وحدها بشكل واضح، وأن تكون الصفة الكيانية هي التي يجب أن تعمل وحدها، ولا يجوز فيها أي إشراك بأية صفة أخرى. بل رأى الحزب أن أي حالة يحصل فيها أي عمل حزبي على غير الصفة الكيانية، أو بإشراك صفة أخرى معها، فإن هذا العمل لا يقتصر على الإخفاق، بل يضعف الحزب في الصراع، ويضعف الصفة الكيانية.

٤. إن تجسد المشروع الإسلامي على أرض الواقع لا يكتمل إلا عند معانقة الرأي العام في الأمة لنصرة أهل القوة والمنعة، ولذلك كان طلب النصرة من قادة الجيوش أو قادة القبائل في بلاد المسلمين من أحكام الطريقة. وكان لا بد للإسلام من شوكة وسلطان ومن كيان تنفيذي يطبق أحكامه ويحمل دعوته، وهو الدولة التي يعمل الحزب على إقامتها تأسيا برسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد أثبتت الوقائع والتجارب السياسية قديما وحديثا أن قيام أي دولة في أي مكان من العالم يمر عبر الفئة القوية في ذلك المكان، فكانت سنة من سنن التغيير وليست عبقرية ابتدعتها الشيوعية.

هذه النقاط الأربع هي الأسس التي يقوم عليها حزب التحرير منذ تأسيسه، وهو يدعو الأمة بكل طاقاتها إلى العمل معه والالتفاف حوله من أجل إيجاد المشروع الإسلامي على أرض الواقع وتجسيده في دولة تطبقه وتحمل دعوته رسالة رحمة للعالمين، والطريقة التي تبناها الحزب في سيره تلتقي مع الشيوعية في أمور معيّنة، تعتبر سننا مجتمعية لإحداث عملية التغيير، منها إيجاد الرأي العام ومتابعته وصقله بالمفاهيم المبدئية من خلال تثقيف الناس أفرادا وجماعات. ولكنها تختلف معها مثلا في اللجوء إلى العنف وسيلةً لإحداث التغيير، من باب السير على خطا رسول الله ﷺ في إقامة الدولة.

وعليه، فإن المطلوب من الأمة اليوم، وقد سقطت أصنام الوطنية في أذهان الناس بعد مُصابها في غزة، ليس تحديد موعد النصر، فعلمه عند الله، وإنما اتخاذ أسبابه والسعي مع الساعين لتحقيقه مع تمام التوكل على الله سبحانه واليقين بتحقق وعده.

ولذلك فإن كل مؤشرات النصر وعلامات التهيئة الربانية لقرب تحققه ليست سوى مبشرات تطمئن القلوب الموقنة بحتمية تحقق هذا النصر. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾. وإن التحرك من قِبل الأمة في اتجاه إقامة دولة الإسلام، لا يكون بالسير دون قيادة سياسية توجه حراكها، سيرا ارتجاليا عشوائيا، وإنما تكون حصرا وقصرا بالالتفاف حول الحزب واحتضان دعوته لكسر الأصنام الوطنية وإقامة دولة الإسلام على أنقاضها، لتحرك الجيوش نحو تحرير الأرض المباركة من رجس يهود.

حزب التحرير وأخذ القيادة

والمطلوب من الحزب في عمله مع الأمة هو دوام الحرص على وجود قاعدة كبرى من جمهرة الأمة وسواد الناس للحزب في المجتمع، وهو ما يسمى عند بعض الناس بالقاعدة الشعبية، لأن الأمة هي **السند الطبيعي للسلطة** وهي الوسيلة الفعالة لإزالة السند غير الطبيعي الذي يسند السلطة ويبقيها جاثمة فوق صدور الناس، وهي الأداة المؤثرة التي تُضعف الوسائل التي تساعد على سند السلطة، ولذلك فإن الطريق العملي لتسلم السلطة تسلماً طبيعياً إنما هي إيجاد قاعدة كبرى من جمهرة الأمة وسواد الناس تكون الأداة المباشرة لتسلم السلطة والحصن الحصين الذي يصونها ويعلي من مكانتها.

إذ إن الحزب لا يعطي أفكاره وآراءه فحسب وإنما يعطي الآراء **ويلاحقها** ليكسب بها قوى، هي قوة الرأي العام وقوة الأفراد وقوة الشخصيات القوية، جماع العمل فيها، **الملاحقة**، أي ملاحقة ما بثه من أفكار وما أعطاه من آراء لتوجد فعلا. فهو يستهدف عن قصد وتعمد صناعة رأي عام منبثق من وعي

عام وكسب أشخاص للحزب وكسب الشخصيات القوية لتؤيده. وإن كسب تأييد الشخصيات القوية يمكّن طبيعيا من كسب جماهير الناس، وذلك كما حصل في المدينة فإن قيام أهل بيعة العقبة الأولى بحمل الدعوة مع مصعب كان له الأثر في كسب قادة أهل المدينة، وإن نجاح الدعوة في كسب قادة المدينة كسعد بن معاذ وأسيد بن حضير قد أدى إلى كسب جماهير أهل المدينة.

وبهذه الكيفية يقوم فعلا ببناء القاعدة الشعبية بالتوازي مع عملية أخرى هي العملية الصهرية، من خلال السعي لتوحيد الأفكار والآراء والمعتقدات عند الأمة توحيدا جماعيا إن لم يكن توحيدا إجماعيا.

ومن هنا كان لا بد أن يُبذل جهد غير عادي لإيجادها، وأن يكون واضحاً أنه ليس المقصود من بناء القاعدة الكبرى من جماهير الأمة وسواد الناس هو فقط إيجاد الرأي العام لأفكار الحزب وللحزب وجماهير مؤيدة له وسائرة وراءه فيُسرِع بعض الشباب إلى هذه العملية بإثارة المشاعر وتصوير مطالب الأمة قريبة التناول رابحة النتيجة ربحاً دنيوياً،

بل المقصود هو إيجاد قاعدة كبرى تستعد لحمل المسؤولية الثقيلة التي ستُلقى على عاتقها في مواجهة الأخطار ومصارعة القوى على المدى الطويل وبنفس طويل، فلا يجرؤ الغرب على تكرار سيناريو العراق وسوريا وأفغانستان والسودان وغزة في أي مكان من بلاد المسلمين، ولذلك لا بد من الاعتماد على إيجاد الوعي العام قبل الرأي العام والاعتماد على الفكر قبل الاعتماد على المشاعر وإيجاد الإدراك الواقعي والبُعد من الفروض النظرية والتخيلات.

بهذه القاعدة ستقام الدولة، ويكون الولاء لها، ويُواجَه أعداؤها وتُحمل دعوتها دولياً إلى العالم، بل بهذه القاعدة ستصارع الأمة الموقف الدولي والنظام الدولي. ولذلك لا بد أن تكون الأمة كلها أو في مجموعها هي القاعدة وأن يكون الرأي العام فيها منبثقاً من الوعي العام، مركَّزاً تمام التركيز على إيمان عقلي وتصديق يقيني عن دليل، وأن يكون تأييد الجماهير تأييداً يصل إلى حد الاستعداد للاستشهاد عن رضا واطمئنان وتشوق لجنّات النعيم ورضوان الله.

فإن الحزب لا يريد من الأمة أن تعطيه أصواتها في الانتخابات، وإنما يريدها أن تجاهد الكفار لإعلاء كلمة الله. وشتان بين غاية من يريد أخذ الأصوات للنجاح في أخذ الحكم، وبين غاية من يريد الجهاد في سبيل الله وخوض المعارك الحاسمة لرفع راية الإسلام.

فالمطلوب إذن حتى تقيم الأمة بقيادة الحزب دولتها الإسلامية، ثلاثة أمور لا بد من وجودها وحسن تصورها لبناء الدولة، وهي في الحقيقة ثلاثة أعمدة تقوم عليها الرؤية الإستراتيجية للحزب:

- رأي عام في المجتمع للفكرة الإسلامية التي يحملها حزب التحرير ويتبناها،

□ واحتضان الناس لهذه الفكرة الإسلامية وحمَلَتها، بما في ذلك الفئة القوية من الناس، حتى تنال شرف إقامة دولة على أساس هذه الفكرة وتسليم الحكم للحزب،مع توفر المقدرة لدى الحزب وجهازه التي تمكّنه من تصريف شؤون الحكم دون عناء أو بذل جهد، وهذا جاهز بفضل الله.

عندها يكون تسلّم الحكم طبيعيا بإذن الله بإعلان الخلافة الراشدة ويكون عملنا هو بناء دولة لا مجرد تسلّم حكم.

والأمثلة على ذلك كثيرة ولا تقف عند مقارنة الإسلام بالشيوعية. فالرسول ﷺ بنى دولة وتسلّم حكماً، ولينين بنى دولة وتسلّم حكماً، وماوتسي تونغ بنى دولة وتسلّم حكماً، ولكن ستالين تسلّم حكماً ولم يبنِ دولة، لأن الدولة كانت قد بنيت، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما تسلّما حكماً ولم يبنيا دولة لأن الرسول ﷺ قد بناها.

ولكن مصطفى كمال هدم دولة وتسلّم حكماً، وعبد الناصر تسلّم حكماً ولم يبن دولة، والبعثيون في الشام تسلّموا الحكم ولم يبنوا دولة، وتسلّموا الحكم في العراق أيضا وانهدم على رؤوسهم لأنهم لم يبنوا دولة.

وإذا تمكن الحزب من إيجاد هذه الأمور الثلاثة (أي الرأي العام، واحتضان الفئة القوية للفكرة، وقدرة الحزب على التسيير)، يتمكن بعدها من أن يأخذ الحكم - الذي هو عمل من أعمال بناء الدولة - فتوجد بذلك دولة الخلافة الراشدة التي تستطيع وقتئذ وبكل جدارة وإقدام وثبات أن تتوسع لتشمل جميع بلاد الإسلام، لتركز راية العُقاب على كل رابية وفي كل بناية ومرتفع أمام جحافل جيش الإسلام، ولتتحدى جميع دول الأرض وتصمد أمام تهديداتهم المنتظرة وتتقدم بفيالق جيشها تحت لواء الجهاد لتحطم كل ما يقف أمامها من حواجز مادية وتزيلها، لتنقل الشعوب الأخرى من ضلالة الكفر إلى هداية الإسلام، ولتعمل على تسلم مركز الدولة الأولى في العالم لتنتزع قيادة السفينة الإنسانية وتنقذها من الغرق الذي يقودها إليه أمثال بايدن وترامب، وتسوقها نحو شاطئ السلامة والأمان، لتدلها وتسير بها على طريق الجنة في الآخرة والعزة في الدنيا بإذن الله، بتفيؤ جميع هذه الشعوب ظلال حكم الإسلام والتمتع باعتناقه، وما ذلك على الله بعزيز.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرة على فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ١٠٤ لهدم الخلافة

إعداد: الأستاذة رولا إبراهيم

عضو المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

في الذكرى الرابعة بعد المائة لهدم الخلافة، والمصائبُ والكوارث التي تصيب المسلمين تتوالى واحدة تلو الأخرى، والمخاض العسير يشتدّ ألمُه، والجرح الغائر في قلب أمتنا يتزايد نزفه، ليتجلى بوضوح في كل يوم أن المسلمين قد خسروا مصدر عزتهم وكرامتهم وقوتهم بغياب دولة الخلافة الإسلامية، وأن العاملين الجادين بالطريق السياسي والفكري تأسياً بالرسول الكريم ﷺ لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، الذين عاهدوا الله وعاهدوا رسوله ﷺ وعاهدوا أمتهم أنهم لن يكلّوا ولن يملّوا ولن ييأسوا ولن يخونوا نهج النبوة حتى يظهرهم الله وينصرهم أو يهلكوا دونه، أحيا شباب حزب التحرير حول العالم هذه الذكرى الأليمة عبر نشاطات استثنائية تمثلت في الوقفات الاحتجاجية، والاتصالات المتميزة، والرسائل المصورة، والمؤتمرات، والبيانات، وغيرها.

فقد أطلق **المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير في هذه الذكرى الأليمة** حملة عالمية لتغطية شاملة لتلك الفعاليات، افتتحها المهندس صلاح الدين عضاضة مدير المكتب الإعلامي المركزي، بكلمة خاطب فيها هذا الجيل من الأمة بوجوب العمل الجاد لاستعادة خلافتنا وبناء دارها من جديد، وأكد أن حزب التحرير يحيي هذه الذكرى ليستنهض الأمة الإسلامية للعمل مع شبابه لمحو هذه المأساة وإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النّبوة، وعليه فإنّ المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير يستهل الذكرى الرابعة بعد المائة لهذه المأساة بحملة إعلامية عالمية بعنوان: «**الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، منقذة العالم والبشرية**».

وشارك القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي بكلمة جاء فيها: أن كل الكلمات لن تغني في إظهار الشقاء والتخلف والتمزق والتبعيّة العمياء للكافر المستعمر بعد غياب خلافتنا! ودعت المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم، وأنه لن يمسح دموعَ اليتامى ويستر عورات المسلمين من الدنس ولن يحرر المغتصب من أرضنا ويوحد بلادنا ويرفع رايتنا إلا خليفة المسلمين، وخاطبت الجيوش واستصرختهم بأن الأمة تصرخ بفمها الملآن: أين أنتم؟ متى ستكسرون تلك القيود الخانعة؟ فهلا نصرتموها براً بها؟ ووفاءً لدينكم؟ ومرضاة لربكم؟

ونظم **المكتب الإعلامي المركزي** عبر تلفزيون الواقية مؤتمراً إعلامياً عالمياً بعنوان: « ثوابت في الطريق نحو الخلافة». شارك فيه كوكبة من حاملي الدعوة لإقامة الخلافة، قدمه الشيخ عدنان مزيان.

كانت الكلمة الأولى للمهندس باهر صالح

بعنوان: «حتى تتبع ملتهم». وأبرز ما جاء فيها أن الغرب لن يقبل ولن يرضى بأقل من الرّدة والتنكر للإسلام، فهو قد يسكن قليلاً عندما يرى التنازلات والليونة، ولكنه سكون المكر والخديعة، إذ سيواصل عمله سراً وعلانية من أجل الوصول إلى مبتغاه. ويتلخص مبتغاه في بلاد المسلمين بأمرين: الأول ضمان عدم عودة الإسلام، والثاني ضمان بقائه مستعمراً لبلادنا ناهباً لثرواتنا.

أما الكلمة الثانية فكانت للأخت رنا مصطفى بعنوان: «الأقليات وحقوق المرأة». ومن أبرز ما جاء فيها: قد أدرك الغرب ما للمرأة من مكانة عظيمة ودور مهم في بناء الأسرة والمجتمع، فصوّب سهامه نحوها وعمَد إلى جرّ المرأة المسلمة إلى وحل حضارة السفور وثقافة الحريات والتحرر من أحكام الإسلام والتعري وإظهار المفاتن والزينة، فسنّ القوانين الوضعية بحجة حماية حقوق المرأة وتمكينها.

وفي الكلمة الثالثة للشيخ أحمد الصوفي بعنوان: «الدنية في الدين ومنهج التدرج» جاء فيها: أيها الإخوة هل تعلمون نحن عمّا نتكلم؟ نحن نتكلم عن نهج النّبوة الذي لن تكون هناك دولة ترضي الله بعد الملك الجبري الذي نحن فيه إلا أن تكون هذه الدولة على منهاج النّبوة كما بشّر الصادق المصدوق. ومنهاج النّبوة ليس فيه مشاركة لدساتير الكفر، منهاج النّبوة ليس فيه تحاكم إلى الطاغوت، ليس من منهاج النّبوة المداهنة ولا التدرج ولا الميوعة، ولا التنازل عن المبادئ، بل حكم بالإسلام كامل على أنقاضٍ لحكم زائل.

وفي الكلمة الرابعة للبروفيسور محمد الملكاوي بعنوان: «وحدها الخلافة هي الحلّ الجذريّ والطّاقة الكامنة» قال الملكاوي: إننا لن ننفك عن التأكيد على أبناء هذه الأمة وشبابها أن يشدوا على أيدينا وأن يسيروا على الدرب الذي رسمناه على بصيرة للعمل الجاد والكفاح المستمر من أجل إعادة بناء قوة الإسلام المتمثلة بخلافة على منهاج النّبوة، ليعود الحكم بما أنزل الله سيّد كل الأحكام، وليكون السلطان للأمة تبايع فيه خليفة عادلا ليحكم بالإسلام، وأن لا ينخدع بالتدرج من العلمانية إلى الإسلام، أو من الديمقراطية إلى الإسلام، أو من البعثية إلى الإسلام. فطريق الإسلام الحق، وهو النور، الأبلج لا يمكن أن ينبثق من ظلام الرأسمالية أو العلمانية أو الديمقراطية أو القومية أو أيّ من هذه الظلمات.

أما الكلمة الختامية فكانت لمدير المكتب الإعلامي المركزي المهندس صلاح الدين عضاضة، بعنوان: «على مشارف إقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النّبوة»، وجاء فيها: يا له من عامٍ منصرم خلاله غمر بلاد الشام طوفانان - طوفان الأقصى وتحرير سوريا من نظام الأسد- كانا كالفرس الجموح الذي يرفض أن يقف عند حدود، فأخذت الأمة الإسلامية بعنانهما وساقتهما بمشيئة الله إلى أبعد مما تصور أصحابهما، فقُلبت موازين وغُيرت مفاهيم، وبتنا في مرحلة جديدة من المشهد السياسي بعد مرحلة من الترقب، فقد أصبحت الأمة

في كل حركة لها تنطلق لتنقضّ على جلادها ومغتصب حقها، تحاول مستميتة أن تسترجع سلطانها وتثأر لجراحها، لهذا فإن كل تحرك صادقٍ مستقل تقوم به الأمة الإسلامية بقلب الموازين السياسية، وتجبر الغرب على إعادة رسم خططه، ويحفر في فكر الأمة الإسلامية سطراً جديداً للوعي السياسي والإخلاص لله سبحانه.

وقد نشر **المكتب الإعلامي المركزي** بهذه المناسبة بطاقات تشحذ الهمم، وتستصرخ أهل القوة والمنعة، وتنادي فيهم نخوة المعتصم وأنهم درع هذه الأمة فقال: يجب عليكم الاستعداد لدرء الأخطار الداخلية والخارجية عن المسلمين وبلادهم، فيجب وضع الخطط الداخلية والخارجية اللازمة لمعالجة الأخطار والاستعداد للحرب إن لزم الأمر، فيجب عليكم فهم الوضع الداخلي للبلاد والوضع الخارجي لمعالجة كافة الأخطار عن البلاد والعباد. وخاطب الأمة الكريمة فقال: إن حزب التحرير هو القائد المخلص الواعي والقادر على قيادة الأمة والدولة وحل كل المشكلات التي تولدت بسبب النظام الرأسمالي العفن وبسبب دول الاستعمار وأدواتهم من الخونة والعملاء، فيجب عليك فوراً إعطاء القيادة للحزب لكي يقودك نحو العز والمجد بإقامة الخلافة الراشدة وتوحيد البلاد والعباد.

وفي إندونيسيا: نظم حزب التحرير / إندونيسيا مسيرة ضخمة في العاصمة جاكرتا بعنوان: «بالخلافة والجهاد تحرر فلسطين»، شارك فيها أكثر من ثلاثين ألف مسلم ومسلمة،

طالبوا بتحريك جيوش المسلمين لنصرة المسلمين المستضعفين في الأرض المباركة فلسطين ولتحرير المسجد الأقصى المبارك وكل فلسطين المحتلة من نهرها إلى بحرها من رجس يهود القتلة المجرمين. كما وأكدوا أن إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة هي الكفيلة بتحرير البلاد الإسلامية جمعاء من نفوذ الكافر المستعمر بمختلف أشكاله.

وفي تركيا: نظم حزب التحرير / ولاية تركيا مؤتمر الخلافة السنوي بمشاركة واسعة في مركز نيني خاتون الثقافي بمنطقة إسنيورت بإسطنبول تحت عنوان: «**بناء المستقبل مع الخلافة من إسطنبول إلى القدس!**».

أدار المؤتمر وافتتحه عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير الأستاذ محمد أمين يلدريم، وحضره عدد من الشخصيات البارزة من مثل رئيس جمعية التضامن مع فلسطين محمد ميشينيش، والمؤلف وعالم اللاهوت الدكتور أحمد الطيب، ورئيس جمعية التضامن مع فلسطين محمد يوسف جول، وشارك في الندوة الدكتور عبد الرحيم شن وعالم الدين عبد الله إمام أوغلو كمتحدثين.

أما في بنغلادش، فقد نظّم حزب التحرير في ولاية بنغلادش مسيرة حاشدة يوم الجمعة السابع من آذار/مارس ٢٠٢٥م، للمطالبة بإقامة الخلافة على منهاج النبوة، شارك فيها الآلاف من محبي الإسلام من مختلف شرائح المجتمع بشكل عفوي، متجاهلين تهديدات عملاء أمريكا والهند، وفي ذلك الحشد دعا محبو الإسلام أبناءهم في الجيش إلى إعطاء النصرة

لقيادة حزب التحرير المخلصة، لإقامة الخلافة على منهاج النبوة.

وفي الأرض المباركة فلسطين: قدم القسم النسائي لحزب التحرير مجموعة من الكلمات جاءت بعناوين مختلفة، ونظمت كلمات عدة ودروس مساجد في مناطق مختلفة. وكذلك ألقيت خطب جمعة حول الذكرى الأليمة.

وقام المكتب الإعلامي لولاية الأردن: بإصدار بيانٍ صحفي بعنوان: ذكرى هدم الخلافة ليست للتباكي عليها، وإنما للتذكير بالعمل الجاد لإقامتها.

وفي كينيا: نفّذ حزب التحرير/ كينيا حملةً شعبيةً في شهر رجب ١٤٤٦هـ وقد شملت هذه الحملة التي انطلقت في مطلع الشهر أنشطةً واسعة النطاق؛ تخللتها محاضرات عامة وندوات ووقفات احتجاجية. وكان ذلك لتذكير الأمّة بالوضع المؤسف الذي تواجهه منذ هدم الخلافة في ٢٨ رجب 1342هـ الموافق ٣ آذار/ مارس ١٩٢٤م.

أما في ولاية لبنان: فقد عقد حزب التحرير/ ولاية لبنان في طرابلس الشام مؤتمرا، استضافته الرابطة الثقافية، بعنوان: «متغيرات بلاد الشام.. هواجسٌ ومبشرات». دار المؤتمر حول محاور عدّة وهي: «نظرة سياسية في ظل المتغيرات»، للمهندس صلاح الدين عضاضة مدير المكتب الإعلامي المركزي، و»مرحلة ما بعد سقوط الطغاة»، للأخ ناصر شيخ عبد الحي عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية سوريا، و»تحديات الكيانات الناشئة»، للأستاذ أحمد القصص عضو المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير، و»المتغيرات والدور التركي»، للأستاذ عبد الله إمام أوغلو رئيس لجنة الاتصالات المركزية لحزب التحرير في ولاية تركيا، و»رجب والأمة والعاملون لخلاصها»، للشيخ أحمد الصوفي عضو حزب التحرير في ولاية لبنان. وألقى البيانَ الختامي الشيخ الدكتور محمد إبراهيم رئيس المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية لبنان.

أمّا كندا: وتحت عنوان: «إزالة العقبات أمام قيام دولة الخلافة»، كان من المفترض عقد مؤتمر الخلافة السنوي في ١٨ من كانون الثاني/ يناير في مدينة ميسيسوجا المحاذية لمدينة تورنتو، بكندا، ولكن الحكومة الكندية بالتعاون مع أمريكا داست على قوانينها وقيمها التي لطالما تغنت بها، من مثل قانون حق الناس في تنظيم نشاطات فكرية أو ثقافية، وقيم الحرية، وحرية الرأي؛ وقامتا بشنّ حملة إعلامية وغوغائية لثني القائمين على عقد المؤتمر، من خلال تحريض مختلف المراكز والأماكن التي تُقام فيها مثل هذه النشاطات على عدم قبول إتمام أي حجز للقائمين على المؤتمر، وتخلّل هذه الحملة إصدار بيان مشترك من ديفيد جيه ماكجنتي وزير الأمن العام الكندي، وراشيل بنديان وزيرة مساعدة للأمن العام، تضمن العديد من المغالطات والكذب والتدليس لتبرير ممارساتهم التحريضية ضد حزب التحرير للحيلولة دون عقد المؤتمر، ورغم إلغاء المؤتمر بلغت الرسالة مقصدها، فأساليب الدعوة لم

تعد مقتصرة على اللقاءات الحية في الأماكن العامة، حيث يعيش شباب الحزب بين الناس طبيعيا، ويحملون الدعوة لهم وجاهة. كما أن وسائل التواصل الإلكتروني صارت منبراً يستطيع كل حامل دعوة اعتلاءه لإيصال رسالته للناس من خلاله، بل وأكثر من ذلك، فقد سخّر الله عدوّه إيلون ماسك لإثارة القضية، حيث يتابعه عشرات الملايين من الناس، وهو غير مدرك بأنه مسخّر لها لا عليها.

وفي ولاية باكستان: أنتج المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية باكستان سلسلة مرئية جديدة بعنوان «أمة واحدة.. خلافة واحدة».

وفي ولاية السودان: عقد حزب التحرير/ ولاية السودان منتداه الدوري؛ منتدى قضايا الأمة،

والذي جاء في هذا الشهر، أي شهر رجب الفرد، إحياء لذكرى هدم الخلافة وبمناسبة مرور ١٠٤ سنوات على هدمها في رجب 1342هـ، تحت عنوان: «الخلافة مشروع الأمة للتغيير بل هي تاج الفروض»، وقاموا بتنظيم سلسلة كلمات مرئية استنهاضاً للمسلمين وإحياءً لهذه الذكرى الأليمة.

وفي ولاية تونس: نظم حزب التحرير/ ولاية تونس، مسيرة جماهيرية في العاصمة تحت عنوان: «وتستمر الثورة للتحرر من الاستعمار وإقامة الخلافة على منهاج النبوة»، وألقيت فيها كلمة عن الخلافة وثورة المسلمين على الاستعمار، ورفعت اليافطات والرايات التي تعبر عن المناسبة والغاية من المسيرة.

كما قام أعضاء المكتب المركزي من الإخوة والأخوات بكتابة العشرات من المقالات والتعليقات الإخبارية في صفحات المكتب وجريدة الراية ومجلة الوعي، مذكرين الأمة بهذه الفاجعة العظيمة إحياءً لذكرى هدم دولة الخلافة التي تحل في الثامن والعشرين من رجب، وذلك لتذكير المسلمين بالخلافة، ووجوب العمل لها، وحرمة القعود عن هذا الفرض العظيم، واستنهاضاً لهمم المسلمين واستنصاراً لأهل القوة منهم.

ونقل عدد من الصُحف والوكالات الإخبارية كثيرا من الأخبار الخاصة بهذه الحملة، وخاصة فيما يخص إلغاء المؤتمر الذي كان مقرراً عقده في كندا.

هذا وقد أصدر المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير أسطوانة جديدة (DVD) بست لغات بعنوان: «**فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ١٠٤ على هدم دولة الخلافة ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م**» من إعداد دائرة الإصدارات والأرشيف في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير. والحمد لله رب العالمين. ■

الإخلاص الخالص

خليفة محمد-الأردن

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [سورة الكهف/١٠٩-١١٠].

يقول ابن عباس في سبب نزول الآية الأولى كما نقله القرطبيّ في تفسيره: «قالت اليهود لما قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء/٨٥] قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فنزلت: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ الآية. ويتابعُ القرطبيّ بقوله: وقيل: قالت اليهود: إنك أوتيت الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم زعمت أنك لا علم لك بالروح؟! فقال الله - تعالى - قل: وإن أوتيت القرآن وأوتيتم التوراة فهي بالنسبة إلى كلمات الله - تعالى - قليلة»، فالآيةُ كما السورةِ نزلت جواباً لأسئلة أعطاها يهود المدينة إلى كفار قريش ليسألوها للرسول صلى الله عليه وسلم ليتأكدوا من أنّه نبيّ مرسل، وهي: عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من شأنهم، فإنهم قد كان لهم شأنٌ عجيب، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وهو ذو القرنين، وعن الروح ما هو؟ فنزل جواب السؤالين الأولين في سورة الكهف، وجواب السؤال الثالث في سورة الإسراء. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية موضوعها سعة علم الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن عاشور عن علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات في هذه السورة الكريمة: «لما ابتدئت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفيٌّ من أحوال الأمم؛ حُوّلَ

الكلامُ إلى الإيذان بأنّ كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائي وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول وأنْ لا قِبَلَ له بعلمها؛ علَّمه اللهُ إياها، وأخبرَ عنها أصدقَ خبر، وبيّنها بأقصى ما تقبله أفهامهم وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها، وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يُعْلَمُ منه سعةُ علم الله تعالى، وسعةُ ما يجري على وَفْقِ علمه من الوحي إذا أراد إبلاغَ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها»، وهذا؛ أي: ردّ العَجُز على الصدر من فنون البلاغة، وفيه ربط آخر السورة بأولها.

قلنا إنّ موضوع هذه الآية هو علم الله سبحانه وتعالى، العلم المحيط المطلق الذي لا نهاية له، وقد ابتدأت الآية الكريمة بفعل الأمر (قُلْ) مخاطَباً بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تأكيد على مهمّة الرسول في تبليغ وحي الله سبحانه وتعالى إلى الناس، ثم جاء التصوير البديع الذي صوّر سعة علم الله تعالى بأنْ لو كان البحر مداداً؛ أي حبراً تُكتب به كلمات الله، سُمّي مِداداً لإمدادِه الكاتب؛ لنَفِدَ البحرُ؛ أي: انتهى وفَرُغ؛ قبل تنتهي كلماتُ الله، وليس هذا فحسب، بل لو أُتيَ بمثل البحر عدداً ووزناً لنَفِدَ دونَ أنْ تنفَدَ كلماتُ الله، وفي الكلام حذف تقديره «مداداً لكتابة كلمات الله».

وكلماتُ الله كما يقول الشيخ الشعراوي: «هي (كن) وكلّ مرادات الله في كونه، ما علمنا منه وما سنعلم، وما لم نعلم إلا حين تقوم الساعة»، فمع أنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنّه وضعَ علمَه الخاصَّ بالسموات والأرض في اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الحج/٧٠]، فأخبر سبحانه أنّه يعلم ما في السماء والأرض، وأخبر أنّ علمَه ذلك في كتاب، وهو يسير عليه سبحانه. أخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنّ أوّلَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**».

فمع ذلك فإنّ علم الله المطلق أكبر وأوسع من علمه الخاص بالسموات والأرض، وأنّ كلماتِه المعبّرةَ عن علمِه المطلَق لا تكفي بحارُ الأرض لو كانت حبراً لكتابة كلماته، ويؤكّد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة لقمان/٢٧]، فلو أنّ أشجار الأرض منذ أنْ خلق اللهُ الأرضَ وإلى أنْ يرثَها سبحانه

وتعالى صُنعت منها أقلام للكتابة، وكان الحبر الذي يُكتَب به هو ماءُ البحر، ويمدّه من بعده سبعة أبحُر؛ لنفِدَ ذلك الحبر ولم تنفَدْ كلمات الله، فعلمُ الله عز وجلّ لا يحيطُ به شيء ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [سورة البقرة/٢٥٥].

أمّا الآية الثانية فقد قال الطبريّ في تفسيرها: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّ مَعْبُودَكُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ، فَمَنْ يَخَافُ رَبَّهُ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيُرَاقِبُهُ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَيَرْجُو ثَوَابَهُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَلْيُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلْيُفْرِدْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ».

وقد بُدئت هذه الآية بما بُدئت به سابقتُها، بفعل الأمر ﴿قُل﴾ خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم وأمراً له أنْ يقول: إنّما أنا بشرٌ مثلُكم، وقد تكرّر هذا الأمر كثيراً في القرآن الكريم، تأكيداً على بشريّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبشريّة الرسل والأنبياء قبله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [سورة يوسف/١٠٩]، فالبشر يرسلُ الله سبحانه وتعالى إليهم بشراً مثلهم ومنهم، ولا يرسلُ إليهم ملائكة -كما طلب الكفّار- في غير موضع من القرآن الكريم، ولو كان في الأرض ملائكة وأراد الله أن يرسلَ إليهم رسلاً لأرسل إليهم ملائكة، قال عز وجلّ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ [سورة الإسراء/٩٥]، ولعلّ من الحكمة في ذلك أنْ يُكلَّفَ الرسولُ بما يُكَلَّفُ به الناسُ الذين أرسل إليهم، فيصبح الرسول قدوة وأسوة لقومه، مبلّغاً إياهم رسالةَ الله تعالى بقوله وفعله، وأكّد القرآن الكريم هذه اللفتة بقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ﴾ [سورة الأحزاب/٢١].

وبيّنت الآيةُ وظيفةَ الرسول بأنّه مبلّغٌ وحي الله تعالى إليه، وأنّ أول ما يُوحى إلى الرسول أنّما إلهنا إله واحد، وبهذا جاء الرسل والأنبياء كلهم؛ الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية، وقد تكرّر في القرآن الكريم بيان وظيفة الرسول بأنّها البلاغ المبين، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة النور/٥٤]. ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية موافقة لفطرة الإنسان ومقنعة لعقله، توافق غريزة التديّن عند الإنسان، التي تدفعه للإحساس بالعجز الطبيعي والنقص والمحدودية والاحتياج، ولا

يُشبَع هذا الإحساس إلا بالإيمان بالله الخالق المدبر، وتقنع عقله لوقوع حواسّه على احتياجه واحتياج الأشياء حوله إلى الخالق المدبّر، فهذا الخلق البديع، وذاك النظام العجيب الذي يسير عليه الكون حول الإنسان في كل صغيرة وكبيرة يقتضي وجود الخالق، ويقتضي وجود المنظّم الذي يخضع له الكون، فجاءت دعوة الرسل بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية مقنعة لعقل الإنسان وموافقة لفطرته، تملأ عقله قناعة وإيماناً، وفطرته طمأنينة ورضا.

أمّا الجزء الأخير من الآية الثانية الذي هو ختام السورة، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ فقد تضمّن معانيَ عدة، أولها الإيمان باليوم الآخر، المعبّر عنه في هذه الآية بـ ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ لأنّ لقاء الله تعالى يكون في اليوم الآخر، وهو بعضٌ ممّا يقتضيه الإيمان باليوم الآخر، ولقاءُ الله ممّا حبّبه الله تعالى لعباده المؤمنين كما روى البخاريّ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ**»، وكان هذا من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الطبرانيّ في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان مَقامي بَيْنَ كتِفَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فكان إذا سلَّم قال: **اللَّهمَّ اجعَلْ خيرَ عُمُري آخِرَه اللَّهمَّ اجعَلْ خواتيمَ عمَلي رِضوانَكَ اللَّهمَّ اجعَلْ خيرَ أيَّامي يومَ ألقاكَ**».

لكنّ محبّة لقاء الله تعالى ورجاءه تقتضي أمرين متلازمين، أولهما: العمل الصالح، وثانيهما: عدم إشراك أحدٍ مع الله تعالى في العبادة. أمّا العمل الصالح فهو ما أمر اللهُ سبحانه القيامَ به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيان العمل الصالح من مهمة الأنبياء والرسل، روى النسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّهُ لمْ يكنْ نَبِيٌّ قَبلي إلاَّ كان حَقًّا عليهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على ما يَعْلَمُهُ خيرًا لهُمْ ويُنْذِرَهُمْ ما يَعْلَمُهُ شَرًّا لهُمْ**»، فلم يُترك تحديد العمل الصالح للإنسان، لأنّ حكم الإنسانِ على الأشياء وعلى الأفعال عرضةٌ للاختلاف والتفاوت والتناقض والتأثر بالبيئة، فهو يحكُم على ما يحبّه وعلى ما ينفعه أنّه خير له، ويحكم على ما يكرهه وعلى ما يضرّه أنّه شرٌّ له، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى خطأ هذه المقاييس البشرية حين فرض القتال فقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة/٢١٦]، فحقيقة العمل الصالح هو ما جاء الأنبياء والرسل لتحديده وبيانه، وبعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصبح تحديد العمل الصالح مرهوناً بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم، لأنّ رسالته نسخت الرسالات السابقة.

وأمّا الأمرُ الأخير في هذه الآية وهو ما ختمت به السورة الكريمة فهو عدم إشراك أحدٍ مع الله تعالى في العبادة، بمعنى ألّا نعبدَ الله سبحانه، لكنّ العبادة المقصودة هي الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى، وليست العبادات بمفهومها الخاص، التي تنظّم العلاقة بين العبد وخالقه فحسب، روى الطبراني في الكبير والترمذي والبيهقي في السنن الكبرى أنّ عديّ بن حاتم قدمَ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو نصرانيٌّ فسمعه يقرأُ هذه الآيةَ :

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ٣١﴾ [سورة التوبة/٣١] قال: فقلتُ له: إنَّا لسنا نعبدُهم ، قال: «**أليسَ يحرمونَ ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمونَه، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحلُّونَه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم**»، فعبادة الله تعالى وحده تعني إفراده بالتوحيد وإفراده بالتحليل والتحريم، وتعني طاعته المطلقة في كلّ ما أمر به وكلّ ما نهى عنه.

كما أنّ عبادة الله تعالى وحده تقتضي من العبد المؤمن الإخلاص الخالص، إخلاص العبادة لله سبحانه وحده، دون أن تشوبَها شائبة من رياء أو سُمعة، روى مسلمٌ في صحيحه عن عبد الله بن جندب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللَّهُ به، ومَن يُرائِي يُرائِي اللَّهُ بهِ**»، وروى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قالَ اللهُ تعالَى: أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ**»، وعليه فإنّ من كان يحبُّ ويرجو لقاء الله تعالى فليؤمن بالله وحده ربّاً وخالقاً ومدبراً، لا يستعين إلا به، ولا يتوكّل إلا عليه، ولا يرجو غيره، وليلتزم العمل الصالح كما أمر الله سبحانه وتعالى، أي فليجعل الحلال والحرام مقياسه في هذه الحياة الدنيا.

ونختم بلفت النظر والاهتمام إلى مسألة مهمة أشار إليها الجزء الأخير من الآية الثانية، خاتمة سورة الكهف، وهذه المسألة هي حلُّ العقدة الكبرى عند الإنسان الحلّ الصحيح، فقد أجابت عن الأسئلة الثلاثة التي تثيرها غريزة التديّن عند الإنسان، وهي: من أين جئت؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ فالله تعالى هو خالقنا ومدبّر أمرنا وأمر الكون كله، وخلقنا لعبادته والتزام أوامره واجتناب نواهيه، ورجوعنا إليه سبحانه وتعالى في اليوم الآخر للحساب والثواب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن نكون ممن يرجو لقاء الله تعالى ويحبّه لنفوز برضاه والجنة، ونسأله أن يبرم للمسلمين أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعته ويذلُّ فيه أهل معصيته. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

ستظل مواقف الصدّيق نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع به

ماهر الدبعي- اليمن

اسمه ولقبه وصفاته:

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَبدُ اللهِ بنُ أَبي قُحَافةَ عُثْمَان بن عَامِر التَّيمي القُرَشيّ (٥٠ ق.هـ - ١٣هـ / ٥٧٣م - ٦٣٤م). وقد لقب أبو بكر بـ (الصِّديق، الصاحب، العتيق، الأتقى، الأوَّاه)، فكل لقب له قصة تبين فضائل أبي بكر؛ ولكن لقبَ الصِّديق التصق باسمه لما لهذه الصفة من فضل؛ إذ كانت في وقت التكذيب والصد عن سبيل الله عز وجل من المشركين.

وقد اشتهر أبو بكر في الجاهلية بصفات عدة، منها العلم بالأنساب، وأخبار العرب، فقد رُوي أن النبي ﷺ قال: «**فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا**» صحيح مسلم.

وقد كان أبو بكر تاجراً، قال ابن كثير: «وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته»، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم... ومنهم من وصفه بأن أهل مكة كانوا يحبُّون مجالسته فهو حسن العشرة، ذو عقل وحلم، ليِّن، كريم، وصادق، وذو حياء وعزة ووقار.

وأبو بكر لم يقم بما قام به أهل الجاهلية من السجود للأصنام وشرب الخمر وقتل الأولاد خوفاً من الفقر، ولم يجتمع في مجالس قومه إلَّا في الأخلاق الحميدة والفضائل.

إن سيرة أبي بكر الصِّديِّق رضي الله عنه مليئة بالمواقف والبطولات ومفعمة بعبق الإيمان، فشخصيته تلفُّها الصفات الحميدة وتزينها مكارم الأخلاق، وكان له السابقة في الإيمان والدعوة إلى الله عز وجل والدفاع عن رسول الله ﷺ والإنفاق في إعزاز الدين، وكان أول من أوذي في الله عزَّ وجلَّ، فهو صاحب رسول الله ﷺ، ورفيقه في حلِّه وترحاله، وهو أعلم الناس به وأمينُ سره وأحبُّ الناس إليه من الرجال، وصاحب المواقف الحاسمة في الملمات والنوازل، أول خليفة في الإسلام، وناصر الدين والمدافع عن عقيدته وأحكامه، والمجاهد في سبيل الله عز وجل، ومن وفقه الله عز وجل لجمع كتابه.

كان رضي الله عنه تقيّاً محبّبا شجاعاً رحيماً ليناً حازماً ذا لبٍّ وبصيرة، ولو أردنا جمع صفاته لقلنا إنه لم تكن فضيلة أو مكرمة إلا وكان له حظٌّ منها، ولا عملٌ صالحٌ إلا حرص على أن يسبق

إليه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» رواه مسلم.

مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه تظل نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع بكلمة الله مهما كانت التحديات. أبو بكر الصديق هو القدوة التي يجب أن نتعلم منها الصبر والقيادة الحكيمة في الظروف الصعبة والصدق في الدعوة والعمل من أجل إعلاء كلمة الله.

إسلامه وسابقته:

عندما بعث النبي ﷺ دعا صديقه أبا بكر رضي الله عنه، فلم يتردَّد ولم يتشكَّك ولم يتأخَّر في الاستجابة لرسول الله ﷺ، فكان أول الرجال الأحرار إيماناً، وعلي رضي الله عنه من الغلمان، وعندما أسلم أبو بكر سُرَّ النبيُّ عليه الصلاة والسلام سروراً كبيراً.

عن ابن كثير أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي، عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ، وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: «يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها»، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي رَسُولُ اللهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ**»، فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر».

وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ممتدحاً إيمان أبي بكر فيما رواه ابن إسحاق، فقال: «**مَا دَعَوْتُ أَحَداً إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، مَا عَكَمَ مِنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ**»، (عكم بمعنى تلبث كما ذكره ابن هشام). كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ**». أخرجه البخاري.

فكان إيمانه رضي الله عنه لو وزن بإيمان أهل الأرض لوزنهم، فقد أخرج أحمد: خرج إلينا رسولُ اللهِ ذاتَ يومٍ فقال: «**رَأَيْتُ آنِفاً كَأَنِّي أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ، فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ فَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ، وَأَمَّا الْمَوَازِينُ فَهِيَ الَّتِي تَزِنُونَ بِهَا، فَوُضِعْتُ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ فَرَجَحْتُ بِهِمْ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَرَجَحَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ، ثُمَّ رُفِعَتْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَأَيْنَ نَحْنُ؟ قَالَ: حَيْثُ جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**». وأخرجه ابن شيبة والطبراني.

دعوته للإسلام ومواقفه فيها:

وكان أبو بكر رضي الله عنه حاملاً لدعوة الإسلام من طراز فريد، وظهر ذلك في الكثير من الأعمال والمواقف.

فقد دعا إلى الله عز وجل فأسلم على يديه العديد من الصحابة: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، كما دعا أبو بكر أسرته وعائلته، فأسلمت بناته أسماء وعائشة، وابنه عبد الله، وزوجته أم رومان، وخادمه عامر بن فهيرة.

وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي ألحَّ على رسول الله ﷺ بالجهر بالكتلة المؤمنة في تحدٍّ وصدعٍ بالحق في مكة، روى ابن كثير في البداية والنهاية عن عائشة رضي الله عنها قالت: فإنه لما اجتمع أصحاب النبي محمد ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على النبي في الظهور، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ**»، فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر الرسول، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً والرسول جالس، فكان أولَ خطيب دعا إلى الإسلام، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فوُطئ أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر، حتى ما يُعرف وجهُه من أنفه، وجاءت بنو تيم يتعادون، فأجْلَت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشُكُّون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة (والد أبي بكر) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: «ما فعل رسول الله ﷺ؟»، فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير: «انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه»، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: «ما فعل رسول الله ﷺ؟»، فقالت: «والله ما لي علم بصاحبك»، فقال: «اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه»، فخرجت حتى جاءت أم جميل (وكانت تخفي إسلامها)، فقالت: «إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله»، فقالت: «ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟»، قالت: «نعم»، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت: «والله إن قوماً نالوا منك لأهلُ فسق وكفر، إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم»، قال: «فما فعل رسول الله ﷺ؟» قالت: «هذه أمك تسمع»، قال: «فلا شيء عليك منها»، قالت: «سالمٌ صالحٌ»، قال: «أين هو؟»، قالت: «في دار الأرقم»، قال: «فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ»، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على الرسول محمد، فأكبَّ عليه الرسولُ فقبَّله، وأكبَّ

عليه المسلمون، ورقَّ له الرسولُ محمدٌ ﷺ رقَّةً شديدةً، فقال أبو بكر: «بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار»، فدعا لها النبي ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت.

وعندما علم أبو بكر بتعذيب بلال بن رباح -وكان عبداً لأمية بن خلف- قصد موقع التعذيب، وفاوض أمية واشتراه منه وأعتقه لوجه الله تعالى، وفعل الشيء نفسه مع عدد من العبيد والإماء الذين أسلموا فاشتراهم وأعتقهم، منهم: عامر بن فهيرة، وأم عبيس (أو أم عميس)، وزنيرة، كما أعتق النهدية وبنتها، وابتاع لبينة جارية بني مؤمل وكانت مسلمة فأعتقها أيضاً.

الهجرة وصحبة الرسول ﷺ

لقد طمع الصديق بصحبة النبي ﷺ، وتجهز لذلك، قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال؛ فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسول الله: «**لَا تَعْجَلْ، لَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لَكَ صَاحِباً**»، فقد طمع بأن يكون رسول الله إنما يعني نفسه حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وعندما أذن الله لنبيه بالهجرة، خرج ﷺ من بيته سالـماً من بين من اجتمعوا، لقتله وذهب إلى بيت أبي بكر، وتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها ما حدث: «كان لا يخطئ رسولُ الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: «ما جاء رسولُ الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث»، فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ**»، قال: «يا رسول الله إنما هما ابنتاي. وما ذاك فداك أبي وأمي؟»، قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ**»، فقال أبو بكر: «الصحبة يا رسول الله؟»، قال: «**الصُّحْبَةَ**»، قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي». (البداية والنهاية، ابن كثير) واحتمل ماله كله وكانت خمسة آلاف أو ستة آلاف كما روت أسماء بنت أبي بكر.

وخرج مع رسول الله ﷺ إلى غار ثور، واضعاً ماله ونفسه فداء لرسول الله ﷺ، وكان حريصاً أن لا يصيبه ﷺ أذًى أو مكروه.

قال محمد بن سيرين: «ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه، فكأنهم فضلوا عمر على أبي

بكر رضي الله عنهما قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ، وَسَاعَةً خَلْفِي؟**» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ لَأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟**» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر»، حديث صحيح.

واقتفى المشركون أثر النبي ﷺ حتى وصلوا إلى جبل ثور، ووصلوا إلى الغار، ولكن لطف الله عز وجل وتأييده لنبيه ﷺ جعلتهم يرتدون على أدبارهم خائبين، فعن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قلت للنَّبيِّ ﷺ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**» البخاري.

وأنزل الله عز وجل في ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال، ثم انطلقا وقد هدأ الطَّلب حتى وصلا المدينة المنورة.

صاحب رسول ﷺ ووزيره وسهم في كنانته:

كان أبو بكر الصديق لا يفارق رسول الله ﷺ في حلِّه وترحاله، فكان وزيره ومستشاره وأنيسه وأحب الناس إليه، ولم يتخلف رضي الله عنه عن غزوة معه، وبذل كل ماله في غزوة تبوك ولم يُبقِ لأهله شيئاً من المال فاشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله سبحانه، فكان رضي الله عنه يسابق في الخيرات، حتى أتعب منافسيه وسلموا أنهم لن يسبقوه أبداً.

وكان رضي الله عنه من أعظم الناس حبّاً لرسول الله ﷺ، ومن أكثر الناس معرفة به. فعن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: «**إنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ**». فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقالَ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فَعَجِبْنا له، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ؛ يُخْبِرُ رَسولُ اللهِ ﷺ عن

عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقولُ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فَكانَ رَسولُ اللّهِ ﷺ هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به. وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسلام، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ**» البخاري [الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها بابٌ].

أبو بكر رجل اللحظة والمواقف الصعبة والحاسمة

لقد ظهر ذلك في مناسبات عدة أهمها موت رسول الله ﷺ، وأيضاً في التصدي للمرتدين ومانعي الزكاة والإصرار على قتالهم، ما أدى إلى حفظ الدولة وحفظ العقيدة وأحكام الإسلام:

موت رسول الله ﷺ:

كان وقع موت رسول الله ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم عظيماً، فهم في حالة من الصدمة ومن الذهول والاضطراب، فمنهم من لم يستطع الكلام، ومنهم من أقعد لا يستطيع القيام، ومنهم من أنكر موته. فعلم أبو بكر رضي الله عنه بخبر موت رسول الله ﷺ، وكان غائباً كما جاء في صحيح البخاري: (أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مَاتَ وأَبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ، - قَالَ إسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يقولُ: واللهِ ما مَاتَ رَسولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: وقَالَ عُمَرُ: واللهِ ما كانَ يَقَعُ في نَفْسِي إلَّا ذَاكَ، ولَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أيْدِيَ رِجَالٍ وأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فَكَشَفَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، طِبْتَ حَيّاً ومَيِّتاً، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أبَداً، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أيُّها الحَالِفُ، علَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ فإنَّ مُحَمَّداً قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللّهَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، قَالَ: (فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ...).

بيعة سقيفة بني ساعدة:

ما إن علم الناس بموت رسول الله ﷺ حتى اجتمع الأنصار لبيعة سعد بن عبادة خليفة لرسول الله ﷺ فعلم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بما اجتمع الأنصار من أجله، فقدموا إلى السقيفة ليوقفوا ما عزم الأنصار عليه، وأثبتوا لهم بالحجة أحقية المهاجرين من قريش، وأحقية أبي بكر بالخلافة، فبايع من كان بالسقيفة أبا بكر رضي الله عنه، وقبل بتولي الخلافة توحيداً للمسلمين وجمعاً لكلمتهم.

فقد خطب أبو بكر معتذراً من قبول الخلافة فقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا

ليلةً قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أنّ أقوى الناس عليها مكاني». (أخرجه الحاكم بإسناد صحيح)

فكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه إرساء للخلافة من بعد رسول الله ﷺ، وترسيخاً لطريقة نصب الخليفة أنها البيعة، وترسيخاً لنظام سياسي للمسلمين (الخلافة الراشدة) من بعد النبي ﷺ، فقد قاد ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه باقتدار، بصفته أول خليفة للمسلمين.

أبو بكر خليفة للمسلمين:

كانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة شهور، فمع أنها مدةٌ قصيرةٌ ولكنَّها كانت حافلة بالإنجازات والأعمال الجليلة من ترسيخ دعائم الحكم، والقضاء على الارتداد والتمرد والعمل على نشر الدعوة الإسلامية في بلاد فارس والروم، وكان ذلك في آن واحد، فكانت الفتوحات ونشر الدعوة الإسلامية.

خطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة:

كانت خطبة أبي بكر الصديق الأولى عند توليه الخلافة ترسم السياسة الداخلية والعلاقة بين الرعية والحاكم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وتبين موقع الخليفة من الرعية وحقه عليها وحق الرعية على الخليفة، وترسم السياسة الخارجية القائمة على حمل الدعوة من طريق الجهاد. فعلى قِصَرها رسمت هذه الخطبة أسس الدولة ومنهاجها، فقد قال رضي الله عنه: «أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله» ذكره ابن الأثير بإسناد صحيح.

إدارة شؤون الدولة:

لقد أدار أبو بكر شؤون الدولة باقتدار وبحرفية منقطعة النظير وببصيرة نافذة، فقد حرص على عدم تغيير الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ، وحافظ على هيكل الحكم كما كان في زمن الرسول ﷺ وأصر على إنفاذ بعث أسامة بالرغم من الأخطار التي كانت تعصف بالدولة، وواجه التمرد من مانعي الزكاة والمرتدين في آن واحد معاً، مع أن الدولة تعاني من قلة الجند في أعمال سياسية فذة صادرة من رجل دولة من طراز فريد.

بعث جيش أسامة بن زيد وحروب الردة:

بعد أن اختاره الصحابة خليفةً لهم، كانت إدارة أبي بكر الصديق للدولة مليئة بالتحديات. ففي ظل الظروف الصعبة، استطاع أن يحفظ وحدة الأمة الإسلامية ويُقوي الدولة.

حروب الردة:

بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض الناس عن الإسلام في بعض المناطق العربية. لكن أبا بكر الصديق قرر أن يقف في وجه هذه الردة بكل حزم، وأصر على أن يحارب المرتدين. هذه الحرب كانت شجاعة وحاسمة، وأثبت فيها أبو بكر صدق ولائه لدين الله ورسوله ﷺ.

أصدر أبو بكر أمراً لجيش أسامة الذي أعدَّه رسول الله ﷺ لحرب الروم «ألا يبقى بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف» (البداية والنهاية). وكان قد اعترض بعض الصحابة على أبي بكر في إنفاذ الجيش، وأن يبقى لمواجهة الردة والتمرُّد فقالوا: «إن هؤلاء جلُّ المسلمين، والعربُ على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين» (البداية والنهاية) فقال أبو بكر: «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته» (تاريخ الطبري)

فأمضى الجيش وأوصاه، فوصل إلى بلاد الروم وحقق انتصارات عظيمة عززت الهيبة لدولة الإسلام، وكان خروج الجيش في هذا الظرف العصيب أوجد المهابة عند المتمردين والمرتدين في الدولة الإسلامية.

ورفض أبو بكر اعتراض الصحابة رضي الله عنهم -ومنهم عمر بن الخطاب- على محاربة مانعي الزكاة للدولة وهم معترفون بوجوبها، فكان ثاقب النظر ومتفتح البصيرة، فلم يقبل بذلك واعتبره تمرداً وخروجاً على الدولة، ونقصاناً في الدين، وقال قولته المشهورة: «أينقص الدين وأنا حي؟!».

وقال أيضاً: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها» البخاري. وفي رواية «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»، فقال عمر بن الخطاب: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق» مسلم.

وقاتل أبو بكر المرتدين بنفسه، وخرج على رأس الجيش، فعرض الصحابة عليه أن يبقى في المدينة لإدارة شؤون الدولة ويولي غيره القيادة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته، فقال: «إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد، شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً»»، فرجع. (البداية والنهاية،

ابن كثير).

وقد نصر الله المسلمين في حروب الردة، واستشهد عددٌ كبيرٌ من الصحابة فيها، وكان بينهم كُتّاب الوحي الذين يحفظون القرآن الكريم ويكتبون منه عدداً من آياته وسوره، فأمر رضي الله عنه زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم مما كُتب وما حُفظ، بعد أن شرح الله صدره لهذا الأمر، وتمكّن زيد رضي الله عنه من جمعه في مصحف واحد قبل وفاة أبي بكر؛ ليكون ذلك في ميزان حسناته.

جمع القرآن:

أبو بكر الصديق كان من أول من قرر جمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي ﷺ، خوفاً من أن يُفقد جزء من القرآن بسبب استشهاد الكثير من حفاظ القرآن في المعارك. وقد أتم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جمع القرآن في مصحف واحد، وهو الخطوة الأولى لحفظ كتاب الله للأجيال القادمة.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان رجل الإيمان والتضحية والصدق في زمن كان فيه التحدي أكبر من أي وقت مضى. قدم الكثير من المواقف المشرفة التي جعلته أعظم خليفة في تاريخ الأمة، وأحد أعظم الشخصيات التي سطر التاريخ أسماءهم في صفحات النبل والبطولة. لقد كان أبو بكر مثالاً للصحابي الذي لا يتردد في التضحية بنفسه وماله ووقته من أجل نصرة الإسلام.

توجيه الجيوش إلى بلاد الشام والعراق:

اغتنم أبو بكر رضي الله عنه فرصة أن الفرس والروم كانوا على خلاف، فقام بإرسال الفاتحين شرقاً وغرباً بالوقت نفسه، فأرسل إلى منطقة الفرس خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة، وانتصروا وفتحوا عدداً من المدن العراقية؛ كالأنبار، ودومة الجندل، والفراض، وفتحوا الحيرة، كما أرسل إلى منطقة الروم في بلاد الشام جيوشاً بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وأرسل دعماً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم جميعا، وكانت البلاد المُستهدفة هي الأردن وفلسطين ودمشق وحمص، وقد وقعت معركة اليرموك بين الروم والمسلمين، وانضم خالد بن الوليد إليهم لدعمهم، وخلال المعركة وصل المسلمين نبأُ وفاة خليفة المسلمين الأول، فتولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة من بعده.

استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب:

لقد استشعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخطر على الدولة الإسلامية وهي تخوض حروباً مع أعظم دولتين في آن واحد، فحتى لا يختلف المسلمون من بعده، وبعد مشورة مع الصحابة رشح لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتتم مبايعته بعد وفاته من المسلمين، وكتب بذلك كتاباً وقرأه على الناس حرصاً منه رضي الله عنه على الدولة في هذه المرحلة الحساسة.

تخوف الصحابة من استخلاف عمر:

لقد ذكر ابن الأثير ذلك التخوُّف، فقد «دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر بعد أن علم بأنه ولَّى عمر من بعده، فقال له: «استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك؟! فانتفض أبو بكر وأمسك بكتفه وهزه وقال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفني؟! (أي هل تظن أنك أكثر ورعاً مني، فتخوفني بالله؟!) إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك».

وحرص الصديق ورعاً منه أن لا يكون قد تكسَّب من منصب الخلافة بدرهم أو متاع، فقال فيما ترويه أم المؤمنين عائشة: «انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي»، فنظرنا فإذا عبد نوبي (منطقة النوبة) كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح (البعير الذي يُستقى عليه) كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر، وقال: «رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً» ذكره ابن الجوزي وذكره غيره بإسناد صحيح.

وفاة أبي بكر الصديق:

تروي أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ الصدّيق رضي الله عنه مات متأثّراً بمرضه بعدما اغتسل في ليلةٍ شديدة البرد، فأصيب على إثرها بالحمّى، ولم يستطع أن يخرج للصلاة خمسة عشر يوماً، وقد أوصى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بإمامة الناس لصلاة الجماعة نيابةً عنه، إلى أن توفي في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، الموافق الثالث والعشرين من شهر آب من عام ستمائةٍ وأربعة وثلاثين ميلادية (الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني).

وكانت آخر كلماته قبل وفاته «رب توفَّني مسلماً، وألحقني بالصالحين» قالها، ولفظ أنفاسه الأخيرة، رحمه الله ورضي عنه.

وضجَّت المدينة لخبر وفاة الصدّيق رضي الله عنه، ولم ترَ المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يوماً أكثر باكياً وباكية من ذلك المساء، وحزن الصحابة رضوان الله عليهم حزناً شديداً على فراقه، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً باكياً مسترجعاً، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر، فقال: «رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلفَ رسول الله ﷺ وأنيسه، ومستراحه وثقته، وموضع سره ومشاورته» إلى أن قال: «والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك»، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، وقالوا: «صدقت». (التبصرة لابن الجوزي).■

الإمارات تضغط على إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، لنسف خطة ما بعد الحرب على قطاع غزة

كشف مسؤولون أمريكيون ومصريون لموقع «**ميدل إيست آي**» البريطاني، أن الإمارات تضغط على إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، لنسف خطة ما بعد الحرب على قطاع غزة، والتي صاغتها مصر وأقرتها جامعة الدول العربية.

وأشار الموقع في تقرير ترجمته «**عربي٢١**»، إلى أن «ذلك يعكس تزايد التنافس العربي على من يتخذ القرارات في مستقبل حكم قطاع غزة وإعادة إعماره، بالإضافة إلى اختلاف الآراء حول مدى النفوذ الذي ينبغي أن تحتفظ به حركة حماس هناك».

وذكر أن «الضغط الإماراتي يشكل معضلة للقاهرة؛ لأن كلا من الإمارات ومصر تدعم بشكل عام نفس الوسيط الفلسطيني المؤثر في غزة، وهو محمد دحلان، المسؤول السابق في حركة فتح". ونقل الموقع عن مسؤول أمريكي، أنه «لا يمكن أن تكون الإمارات الدولة الوحيدة التي عارضت خطة جامعة الدول العربية عند الاتفاق عليها، لكنها تعارضها بشدة مع إدارة ترامب».

وتابع: «تستغل الإمارات نفوذها غير المسبوق في البيت الأبيض، لانتقاد الخطة، باعتبارها غير قابلة للتنفيذ، واتهام القاهرة بمنح حماس نفوذا كبيرا».

وقال مسؤول أمريكي ومصري مطلع على الأمر لموقع «ميدل إيست آي»، إن «سفير الإمارات العربية المتحدة القوي لدى الولايات المتحدة، يوسف العتيبة، يضغط على الدائرة المقربة من ترامب والمشرعين الأمريكيين، لإجبار مصر على قبول الفلسطينيين النازحين إليها بشكل قسري.

الوعي: لقد وصلت خيانة حكام المسلمين لا سيما حكام الإمارات إلى أبعد مما كان يتخيله أي إنسان، وها هم العملاء يعملون ضد مصالح بعضهم البعض لتحقيق رغبات أسيادهم، بل ويبددون أموال الأمة للحصول على رضاهم، كل هذه الجهود وكل هذه الأموال سيبذلونها في الدنيا، ثم يهزمون في الدنيا، وتكون عليهم حسرة في الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾

الآثار النفسية العميقة لحرب يهود على غزة على جنود الاحتلال

كشف مؤتمر «المنعة النفسية» الذي عقده «الائتلاف الإسرائيلي للصدمة» عن معطيات «مقلقة» تُظهر الآثار النفسية العميقة للحرب على «الجيش الإسرائيلي». ووفقًا للمعطيات التي عُرضت خلال المؤتمر، زاد عدد المتوجهين إلى مراكز الرعاية النفسية أربعة أضعاف، بينما قفزت أنشطة هذه المراكز عشرة أضعاف.

وكتب مراسل الشؤون الاجتماعية والصحة في موقع «والا الإسرائيلي»، أفيحاي حاييم، أن مراكز الرعاية النفسية أصبحت عنصرًا رئيسيًا في النظام الصحي «الإسرائيلي»، خاصة مع تزايد الأحداث الأمنية واستمرار القتال، مما يتطلب توسيع الخدمات وتعزيز القوة البشرية في هذا المجال.

وعرضت المسؤولة في «الائتلاف الإسرائيلي للصدمة»، كارين كابيتكا هوبرمان، أرقاما منذ اندلاع حرب الإبادة الجماعية على غزة، تمثلت في زيادة بنسبة ٨٠٠ بالمئة في عدد المرشدين والمعالجين النفسيين، وتقديم ٢٩٠ ألف ساعة من العلاج في الوحدات العيادية، ومشاركة ٨ آلاف و٩٠٠ شخص في ورشات علاجية، و٧٢ ألف مشارك في إجراءات مجتمعية. كما أظهرت البيانات أن ٢٨ بالمئة من سكان ما يُسمى بـ«غلاف غزة» يتلقون علاجًا نفسيًا، بينما بلغ عدد «الإسرائيليين» الذين يتلقون العلاج في أطر مختلفة ٣٤ ألفا و٨٣ شخصًا.

الوعي: هذا ما حصل بجيش يهود وهو يقاتل بعدة وعتاد عظيمين ثلة من الشباب المسلم، فكيف به لو واجه جيشا واحدًا من جيوش المسلمين؟ بل كيف لو قامت الخلافة الإسلامية وأعلنت النفير والجهاد؟! ربما لن يضطر الجيش الإسلامي حينها أن يطلق على يهود الرصاص لأنهم سينهزمون بإذن الله تعالى بمجرد إعلان الحرب.

كيان يهود وبضوء أخضر من أمريكا يستأنف الحرب على غزة

قالت صحيفة «الغارديان» البريطانية، في افتتاحيتها، إن انتهاك دولة الاحتلال«الإسرائيلي» لاتّفاق وقف إطلاق النار في غزة، هو تدمير للأمل وللأرواح.

وأوضحت الافتتاحية، «أنّ بقاء رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، مرهون بحرب لا نهاية لها، وبتكلفة باهظة على الفلسطينيين والأسرى». مضيفة

أنّ ما حدث يوم الثلاثاء كان أحد أكثر الأيام دموية منذ الأشهر الأولى من الصراع. وفي تعليقها على مزاعم دولة الاحتلال بأنّها كانت تهاجم «أهدافا إرهابية»، قالت الصحيفة: «لكن السلطات الصحية في غزة تقول إن ١٧٤ طفلا و٨٩ امرأة كانوا من بين أكثر من ٤٠٠ قتيل".

وتابعت: «تشير أوامر الإخلاء التي أصدرها الجيش إلى أن هجوما بريا متجددا قد يكون في طريقه للفلسطينيين المصابين بصدمات نفسية والنازحين بشكل متكرر. وحذّر نتنياهو من أنها «البداية فقط»، كما أن عائلات الأسرى الإسرائيليين المتبقين تشعر بالرعب والخوف وتهاجم الحكومة لاختيارها التخلّي عنهم».

الوعي: لا نملك أبلغ مما ورد في بيان حزب التحرير حيث كان مما قاله مخاطبًا الجيوش: «أليس فيكم رجل رشيد يقود الجيش ويكسر القيد الذي صنعه الحكام الرويبضات بعدم قتال يهود، ومن ثم ينطلق جند الإسلام فيحقق هؤلاء الجند ما أنبأنا به الصادق المصدوق.. أخرج البخاري في صحيحه «تُقَاتِلُكُمْ الْيهِ هود فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ..» وأخرج مسلم في صحيحه «لَتُقَاتِلُنَّ الْيهِ هود فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ..» ومن ثم تقتلعون كيان يهود من الأرض المباركة، وعندها تعود الأرض المباركة إلى دار الإسلام، كما فتحها عمر وحررها صلاح الدين وحفظها عبد الحميد ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾؟!»

اعتقالات وقمع للمظاهرات، ماذا يحدث في تركيا؟

في ١٩ مارس ٢٠٢٥، اعتُقل رئيس بلدية إسطنبول، أكرم إمام أوغلو، من قبل السلطات التركية بتهم تتعلق بالفساد ومساعدة منظمة إرهابية. جاء هذا الاعتقال قبل أيام من ترشيحه المتوقع كمرشح رئاسي لحزب الشعب الجمهوري في الانتخابات المقررة لعام ٢٠٢٨. يُعتبر إمام أوغلو من أبرز الشخصيات المعارضة للرئيس رجب طيب أردوغان، وكان متوقعًا ترشيحه من قبل حزب الشعب الجمهوري للانتخابات الرئاسية المقبلة في عام ٢٠٢٨.

تزامن اعتقاله مع إلغاء جامعة إسطنبول لشهادته الجامعية، مما قد يمنعه دستوريًا من الترشح للرئاسة، حيث يشترط الدستور التركي حصول المرشح على شهادة جامعية، هذا وشملت حملة الاعتقالات بالإضافة إلى إمام أوغلو أكثر من ١٠٠ شخص، بينهم مساعدون له ورؤساء بلديات مناطق في إسطنبول.

وقد أثارت هذه الاعتقالات موجة من الاحتجاجات في إسطنبول ومدن تركية أخرى، حيث

وصفها حزب الشعب الجمهوري بأنها «انقلاب مدني» ضد الديمقراطية.

ردًا على ذلك، فرضت السلطات حظرًا على المظاهرات والتجمعات في إسطنبول لمدة أربعة أيام، مع تعزيز الوجود الأمني في المدينة. كما أُفيد بتقييد الوصول إلى منصات التواصل الاجتماعي مثل إكس وإنستغرام.

الوعي: لقد حكم أردوغان تركيا بالعلمانية أكثر من عقدين، فلا نصر الإسلام والمسلمين ولا حاز رضا العلمانيين والكماليين، وإذا ما انطفأ بريقه واستنفد طاقته فإنه سيفقد دعم أسياده له وليس بعيدا أن يخلعوا كما خلعوا غيره في دول أخرى، ولا يبالون به، لذلك يحاول أردوغان تحييد أي معارضة قد تشكل تهديدًا لكرسيه ونفوذه... هذه هي الديمقراطية بأبهى صورها!

لماذا يكرر كيان يهود غاراته على سوريا؟ وماذا يستهدف؟

كثف سلاح جو يهود الغارات والهجمات على منطقة درعا جنوب سوريا، وصرح المتحدث باسم جيش الاحتلال بأنه تم استهداف مواقع عسكرية تحتوي على أسلحة ومعدات عسكرية للنظام السوري السابق، والتي تحاول تنظيمات مسلحة موالية للنظام الجديد استخدامها حاليا.

واستهدفت الهجمات مواقع عسكرية في ريف درعا، ومخازن أسلحة وذخيرة، والفوج ١٧٥ والمساكن العسكرية واللواء ١٢، في مدينة إزرع، بالإضافة إلى اللواء ١٥ في مدينة إنخل بريف درعا الشمالي، وطالت الغارات مواقع عسكرية موالية للنظام السوري الجديد.

كما أن الهجمات استهدفت اللواء ١٣٢ لجيش نظام الرئيس المخلوع بشار الأسد، وموقعا عسكريا سيطرت عليه المليشيات الإيرانية في المنطقة، كما شملت الغارات مواقع في الكسوة بريف العاصمة دمشق، ومواقع عسكرية في تل المانع بمحيط مدينة الكسوة في ريف دمشق.

ولتبرير الهجمات الجوية على سوريا، أكدت هيئة الأركان العامة لجيش يهود في بيان أن «وجود هذه الأسلحة في جنوب سوريا يشكل تهديدا لدولة إسرائيل، وعليه لن تسمح المؤسسة العسكرية بوجود تهديد عسكري بالقرب من المنطقة العازلة وعلى طول خط وقف إطلاق النار، وستعمل ضده»، وفق ما أفادت القناة ١٣ «الإسرائيلية».

الوعي: ألا يوجب هذا الاعتداء إعلان الجهاد ضد كيان يهود، فوق ما هو حاصل من حرب إبادة ضد المسلمين في غزة؟ لماذا لا يتحرك مجاهدو الشام لتوجيه ضربات ضد كيان يهود، ألا يشكل تهديدا لأمن سوري

المحور الثاني

الحكم بالإسلام، الوجوب والإمكانية والطريقة

- الحكم بالإسلام خيار الأمة الوحيد ٥٦
- التدرج في تطبيق أحكام الإسلام ٦١
- مفهوم النصرة وأهميتها لإقامة الدولة الإسلامية ٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكم بالإسلام خيار الأمة الوحيد

م. باهر صالح- فلسطين

في مناسبة ذكرى هدم الخلافة الإسلامية، لا بد لنا أن نتعرض إلى قضية في صلب الذكرى والمناسبة، وهي قضية الحكم بالإسلام، من حيث الوجوب والضوابط والتحديات، لا سيما أن الأمة هذه الأيام تخوض حراكا سياسيا وفكريا وثوريا في الشام يتعلق بهذه المسألة بالذات.

فكما هو واضح منذ أن تمكن الثوار وبفضل الله من هزيمة الطاغية السفاح بشار أسد وخروجه هاربا مذؤوما مدحورا، وأهلنا في الشام ومعهم الأمة الإسلامية كلها يعيشون حراكا ونقاشا متواصلين حول شكل النظام البديل المطلوب.

والشيء البدهي والمتوقع وحتى من قبل انهيار بشار ونظامه أن الثوار وأهل الشام في أغلبيتهم العظمى سيتجهون نحو الإسلام حصرا، فهم من رفعوا شعار الإسلام من بدايات الثورة، وسطروا شعارات وهتافات صارت أيقونة في العالم الإسلامي، كعبارات، «هي لله هي لله لا للسلطة لا للجاه»، و»قائدنا للأبد سيدنا محمد»، و»إسلامية إسلامية غصب عنك أوباما»، و»لن نركع إلا لله»، وغيرها..

فكانت بحق أنقى ثورة عرفتها البلاد الإسلامية، ولذلك تكالبت عليها كل قوى الغرب والاستعمار، واستجلبت أمريكا لقمعها أحلافها وأعداءها، لتمد بشار بأسباب البقاء والإجرام والوحشية لعله يتمكن من قمع الثورة وإنهائها، وهو ما مكن بشارا من الصمود طيلة الثلاثة عشر عاما الماضية.

فإسلامية الثورة السورية كانت واضحة بارزة منذ البداية، ولذلك بمجرد انهيار نظام أسد، توقع الكل، العدو والصديق والقريب والبعيد، أن يذهب الثوار باتجاه تطبيق الإسلام وإقامة دولة إسلامية.

ولذلك هرول الغرب ووزراؤه ومبعوثوه وعملاؤه إلى الشام للقاء قائد الإدارة العامة السورية، وكلهم جاء إما مشجعا على علمانية الدولة وإما محذرا ومهددا من أسلمة الدولة، تحت ذرائع الأقليات وحقوق المرأة والإنسان وتحقيق العدالة.

وبدأوا يذرفون الدموع على الإنسان السوري والمرأة السورية والطفل السوري والطوائف السورية، وهم أنفسهم من كانوا من قبل أولياء لبشار ووفروا له الغطاء طيلة ثلاثة عشر عاما من المجازر والوحشية، بالكيماوي والبراميل المتفجرة، حتى هجر نصف أهل الشام وقتل ما يقارب مليونين ذبحا وتقطيعا وتفجيرا.

الشيء الأكيد في هذه المسألة، مسألة الحكم بالإسلام من عدمه، أن الغرب إنما يتذرع

بشعارات ومظلوميات لجعلها مدخلا لسمومه واشتراطاته لا أكثر، فهو لن يقبل من الثوار وأهل الشام بأقل من العلمانية وترك الإسلام.

وهذه حقيقة قرآنية أولا، لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾. فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا خبر اليقين أن هؤلاء لن يرضوا مهما قدمنا لهم التنازلات أو التقاربات حتى نترك ديننا ونتبع ملتهم.

أما ثانيا، فالتاريخ القديم والحديث يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها. وحتى لا نتبعد كثيرا، لننظر إلى آخر نموذجين من محاولة الأسلمة الناعمة، أو لنقل بدون التصادم مع الغرب؛ نموذجي تونس ومصر.

فحركة النهضة في تونس، تلك الحركة الإسلامية التي تلونت وتطاوعت وأبدت أعلى درجات الليونة والمسايرة مع العلمانية ومطالب الغرب، حتى وصل الحال بهم أن يناقشوا مسألة الضرائب على الخمور في البرلمان ويرفعوا الجلسة لصلاة الظهر ثم يكملوا النقاش بعد الصلاة، وهذا كمثال وعينة فقط، لأن قضية الإسلام والعلمانية أعمق بكثير من هذه المسألة، ولكنها مؤشر على مدى الليونة التي أبدوها تجاه الكفر والعلمانية ومطالب الاستعمار، فماذا كان بعد ذلك؟!

صبر عليهم الغرب بضع سنوات ريثما سكن الشارع وتمكن من احتواء الجماهير والغضب العارم، ثم ألقى بهم خارج المشهد كله، بل ولاحقهم بالسجن والمطاردة، فلم يجدوا لهم بواكي عليهم.

وكذلك الأمر في مصر، إذ قبل الغرب بالإسلاميين ليكونوا في الحكم، ثم بدأوا مسيرة التطويع والتماهي والمسايرة، وحاول الإخوان بقيادة محمد مرسي أن لا يغضبوا أحدا، حتى فلول النظام السابق، فأبقوا على نظام الحكم العلماني في البلاد، وهيكلية الدولة الرأسمالية، والعلاقات مع الغرب المستعمر، وظنوا أنهم أمسكوا العصا من المنتصف، لكنهم سرعان ما انقلبوا عليهم، فقتلوهم في الميادين وألقوا بهم في السجون وطاردوا عناصرهم وقيادتهم في الشوارع والبيوت وحتى عبر الدول، فذهبوا بلا بواكي عليهم.

فإذاً الغرب لن يقبل ولن يرضى بأقل من الردة والتنكر للإسلام، فهو قد يسكن قليلا عندما يرى التنازلات والليونة ولكنه سكون المكر والخديعة، إذ سيواصل عمله سرا وعلانية من أجل الوصول إلى مبتغاه.

ويتلخص مبتغاه في بلاد المسلمين بأمرين؛ الأول ضمان عدم عودة الإسلام، والثاني ضمان بقائه مستعمرا لبلادنا ناهبا لثرواتنا.

فعقلية الغرب عقلية استعمارية، وهو عندما يروج لفكره وحضارته البالية في بلادنا إنما يسعى لذلك لأنها الطريق إلى القبول به مستعمرا ووصيا علينا وعلى بلادنا.

فلو تصورنا مثلا أن الثوار قبلوا كما باقي حكام المسلمين بعلمانية الدولة وتبنى

الديمقراطية والرأسمالية، فإن الغرب لن يرضى بذلك فقط، بل سيشترط بناء الدولة على نحو يبقيه مستعمرا لبلادنا، أي أن تبقى بلادنا تابعة لهم، ينهبون ثرواتها ويتحكمون بقراراتها، فنكون خدما لهم وأداة لمخططاتهم.

فها هو النموذج الأردوغاني في تركيا، فعلى الرغم من أن أردوغان علماني شرس ينظر للعلمانية ويدافع عنها، وحافظ على بقاء تركيا جمهورية علمانية وبنى مؤسسات الدولة على أساس ذلك، ومع ذلك لم تكتف منه أمريكا بذلك، بل جعلته عرابها في المنطقة، يخدم مشاريعها ويروج لمخططاتها فيرسل جنود المسلمين ليقاتلوا حيث تريدهم أمريكا تحت إمرتها في حلف شمال الأطلسي ويحتضن قاعدة انجرلك الأمريكية في حاضرة الخلافة العثمانية، ويساهم في تطويع الإسلاميين والحركات والفصائل وتركيعهم إلى ما تحب أمريكا وترضى، تاركا أهلنا في تركيا يكابدون العيش ويكتوون بنار الاستعمار والرأسمالية والعلمانية، يعانون الفقر والقهر، حتى وصل بهم الحال إلى أن الرجل والمرأة والابن والبنت في الأسرة الواحدة يعملون ولساعات طوال ليتمكنوا من تحمل تكاليف الحياة.

وكذا الأمر، أقل سوءا أو أكثر في باقي بلاد المسلمين، في مصر والأردن والعراق والجزائر وتونس والمغرب وليبيا وإندونيسيا وماليزيا وآسيا الوسطى وغيرها، وكلها جعلوها أنظمة حكم علمانية وأفقروا أهلها، وتركوها مرتعا للاستعمار ومصالحه.

فالعنوان العريض أن الغرب لن يرضى بغير استعماره لنا وجعلنا بلادا علمانية تحارب الإسلام وتتنكر لحضارة الأمة وهويتها.

فيجب أن نتيقن بأن الأمة التي تكتوي بنار الحكام العملاء منذ أكثر من مائة عام إنما تكتوي بنار الغرب المستعمر نفسه، فالحكام ما هم إلا أدواته التي مكنها من رقابنا. فالحكام المجرمون، الدكتاتوريون منهم والديمقراطيون، إنما هم صنيعة الاستعمار وخدامه الأوفياء.

والبديل الذي فيه نجاة المسلمين والأمة، هو الإسلام الصرف الصافي، ولا شيء غير الإسلام.

فالإسلام هو الذي يمكنه أن يُعز المسلمين وأن يحفظ لهم كرامتهم وبلادهم واستقلالهم، وهو من يصون الحرمات ويحفظ الأقليات، وهو من يحقق العدل والطمأنينة في المجتمع.

فهو نفسه الإسلام الذي حوّل العرب في الجاهلية من أقوام متناحرين مبعثرين تابعين للروم والفرس وغيرهم إلى سادة الدنيا وحكامها، فأخضعوا فارس والروم، وخاطب خليفتهم ملكَ الروم بنقفور كلب الروم، وخاطب خليفتُهم السحاب أن أمطري حيث شئت فإن خراجك عائد لبيت مال المسلمين.

فالإسلام الذي أعز أهل الجاهلية والبادية قادر على أن يعزنا اليوم ويعيدنا إلى اقتعاد منازل القيادة والعزة والكرامة.

والإسلام هو الضامن الوحيد لتحقيق العدل في الرعية، مسلمين وغير مسلمين، فأحكام الإسلام تحفظ للناس كرامتهم وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، دون تفريق بين عربي وعجمي، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين أسود

وأبيض.

ولقد جعل الإسلام للرعايا من غير المسلمين حقوقا لا تقل عن حقوق المسلمين، فجعل رسول الله ﷺ من آذى ذميا كمن آذى مسلما، وترك أهل الأديان وما يعبدون وما يعتقدون، فلا إكراه في الدين، وجعلهم سواسية في التقاضي والتحاكم أمام الدولة والقانون، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من الإنصاف والانتصاف.

وهذا ليس تنظيرا بل هو واقع عاشه أهل الذمة حقيقة في تاريخ الدولة الإسلامية، إلى درجة أن أحسوا من تلقاء أنفسهم بوجوب وقوفهم مع المسلمين ضد أبناء ملتهم، فحاربوا معهم الصليبين عندما غزوا بلاد المسلمين، والمنصف منهم قد شهد بأنهم قد عاشوا حياة كريمة في ظل دولة الإسلام لم يعيشوا مثلها في ظل الأنظمة الكفرية العلمانية هذه الأيام.

فهذه حقيقة الإسلام ونظامه، نظام عدل ورحمة ونور، جاء ليخرج العباد، كل العباد، من الضيق والضنك والعذاب إلى السعة والطمأنينة والعدل.

والإسلام هو القادر على قطع دابر الاستعمار وقلع نفوذه من بلادنا، فالإسلام هو القادر على توحيد الأمة في دولة واحدة، أمة المليارين، إذ لا تنقاد الأمة لغير الإسلام، ولا يمكن أن يوحدها غير الإسلام، والأمة إذ ما اتّحدت فهي أمة ملياية تملك من الجيوش ما تقهر به كل دول العالم، ومن الثروات ما تغني به كل رعاياها، ومن الرجال ما تحكم بهم العالم. وهذا ما يخشاه الغرب ويستميت في الحيلولة دون حصوله.

ونحن عندما نتحدث عن الإسلام، نتحدث عن ذلك النظام الفريد في الحكم، في شكله وبنيته وقواعده.

فالحديث ليس عن أسلمة مظاهر الحكم أو الدولة، بل الإسلام عقيدة ونظام، مبدأ كامل ينظم حياة الإنسان من المعتقد إلى العلاقات الخارجية والحكم والسياسة.

فللإسلام نظام حكم فريد، لا يتشابه ولا يتداخل مع الأنظمة الديمقراطية أو الرأسمالية أو الجمهورية أو الملكية أو القومية أو الوطنية أو الاتحادية أو أي شكل من أشكال الحكم المعهودة والمنتشرة حاليا او التي كانت من ذي قبل.

فهو نظام وحدة قائم على قواعد راسخة لا تبديل فيها ولا تغيير، قواعد ربانية ليست خاضعة لأهواء البشر وعقولهم.

ونظام الحكم في الإسلام يقوم على أربع قواعد لا يوجد إلا بها، وإذا ذهب شيء منها ذهب الحكم الإسلامي، أي سلطان الإسلام، وهي: السيادة للشرع لا للشعب.. والسلطان للأمة.. ونصب خليفة واحد فرض على المسلمين.. وللخليفة وحده حق تبني الأحكام الشرعية، فهو الذي يسن الدستور وسائر القوانين.

وهذه قواعد بالطبع أخذت بالاستقراء من الأدلة الشرعية الكثيرة التي لا يتسع المقام لشرحها هنا.

وإذا ما اكتملت هذه القواعد الأربع نكون قد اجتزنا العقبة الأولى والكبرى في موضوع الحكم بالإسلام، ثم نكمل إلى باقي الأركان والتفاصيل التي تتناول كل شيء في الدولة،

من أجهزة الدولة في الإدارة والحكم إلى النظام الاقتصادي والاجتماعي وسياسة التعليم والإعلام، والعلاقات العامة وإدارة مصالح الرعية ومجلس الأمة ومجالس الشورى. وهي كلها موجودة في الإسلام وجاهزة للتطبيق عند وجود الإرادة.

وهذه المسألة أي الحكم بالإسلام ليست مسألة اختيارية لنا نحن المسلمين، بل هي مفروضة علينا من رب العالمين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

فالحكم بالإسلام مسألة محسومة عندنا شرعا، لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وغيرها الكثير من الآيات التي تُلزمنا الحكمَ بما أنزل الله، أي بالإسلام.

وشكل نظام الحكم في الإسلام الذي سطره لنا الحبيب ﷺ هو الخلافة التي هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهي عينها الإمامة.

والخلافة، أي نظام الحكم الإسلامي، يقتضي ألا يكون في الدولة شيء غير أحكام الإسلام، لا في العلاقات الدولية ولا الخارجية ولا رعاية الرعايا ولا أي تفصيل في الدولة إلا وفق أحكام الإسلام.

هذا هو وحده الذي يحقق رضا الله أولا، وما نعمل في هذه الحياة الدنيا إلا ابتغاء رضاه. وهو ما يحقق لنا النصر والتمكين والعزة ثانيا.

وأختم بالقول: إن مسألة الحكم بالإسلام يجب أن تكون مسألة مصيرية نتخذ حيالها إجراء الحياة أو الموت، غير خاضعة للمساومة ولا المقايضة، فلا نلتفت إلى تخويفات الغرب من عاقبة تبني الإسلام والحكم به، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾، ولا نركن إلى أوليائه الظالمين من الحكام والعملاء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

ولقد حذرنا الله من أن نلين أمام رغبة الكفار فقال: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾.

وعندما نعزم أمرنا بالاستجابة لأمر الله بالحكم بالإسلام أي بنظام الخلافة، فحينها سينصرنا الله وما النصر إلا من عنده، وستجتمع الأمة عليها اجتماع الأوس والخزرج على رسول الله ﷺ، فنعود أمة عزيزة قوية لا تطأ موطئا إلا ويكتب لنا الله فيها الغلبة والتمكين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

التدرج في تطبيق أحكام الإسلام

فارس منصور-العراق

إن فكرة التدرج في تطبيق الإسلام تعد من الأفكار الخطيرة على الإسلام لأنها تثبط عزيمة العاملين للإسلام وتبعدهم عن الثوابت الشرعية في المواقف والأعمال، إذ إن الدعوة إلى التدرج في تطبيق الإسلام تعني أن هذه الدول القائمة حاليا في بلاد المسلمين هي دول إسلامية بحاجة إلى إصلاح فقط، في حين أنها في واقع الحال دول تطبق أنظمة كفر يجب أن تُقلع من جذورها بدل الدعوة إلى التدرج في تطبيق الإسلام الذي يطيل في عمرها، ولا يخفى علينا أنّ المناداة بالتدرج قد جاءت كردة فعل أمام ما يلمسه الدعاة من صعوبة تطبيق كل أحكام الإسلام في ظل سيطرة الغرب الكافر وعملائه من الحكام على رقاب المسلمين.

ونظراً لما لهذا الموضوع من أهمية فقد تحدث وكتب عنه الكثيرون، إلا أنني وددت أن أذكر بعض النقاط التي أراها مهمة:

أولا: يطلق مصطلح التدرج ويُراد به الوصول إلى الحكم الشرعي المطلوب على مراحل، وليس دفعة واحدة؛ ولذلك يعبر عنه أيضا بالمرحلية، كأن يطبق المسلم حكماً غير شرعي ولكنه قريب للحكم الشرعي بنظره، ثمَّ يتدرج في التطبيق حتى يصل إلى الحكم الشرعي المطلوب، كأن تلبس المرأة المسلمة مثلا لباساً يصل ثوبها فيه إلى ما تحت ركبتها بقليل ريثما يطبق في مرحلة لاحقة الحكم الشرعي المطلوب، ومن المهم أن ننبه إلى أن التدرج غير مقيد بعدد ثابت من المراحل، فقد يأخذ الحكم الواحد مرحلة أو مرحلتين أو أكثر، فالتدرج مرهون للظروف والأوضاع التي تحكم عدد المراحل.

ثانيا: الأدلة التي يستدل بها دعاة التدرج لا تتبع الطريقة الصحيحة في الاستنباط، فهم لم يستنبطوا من الأدلة الشرعية بعد دراستها أن التدرج جائز، بل إنهم قرروا أن التدرج ضروري ثم أخذوا يبحثون عن الأدلة على جواز ذلك، ويتضح هذا من خلال استدلالهم ببعض الآيات الكريمة:

أ- الآيات المتعلقة بالربا: من مجمل آيات الربا قالوا إن الله تعالى لم يحرمه دفعة

واحدة، بل نزل تحريمه على مراحل، حيث إن الربا كان مباحاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الروم: ٣٩)، ثم نزل تحريم أكل الربا المضاعف دون القليل لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (آل عمران: ١٣٠)، وأخيراً حرّم الله تعالى الربا بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

ولرد هذا الكلام نقول إن الربا تم تحريمه في بادئ الأمر بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، حيث إن سورة البقرة هي السورة التي نزل فيها تحريم الربا وهي أول سورة نزلت في المدينة كما ذكر ذلك المفسرون، وعليه فلا يوجد ما يدل على أنه حُرم على مراحل، وتعدد النصوص الواردة في الموضوع كان لوقائع معينة، ولا يوجد فيها ما يدل على التدرج. فقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الروم: ٣٩)، لا علاقة لها بالربا، ومعناها أن من أعطى هبة أو هدية يريد ضعفها أو استردادها من الناس فلا ثواب عليها عند الله، ذكر ذلك القرطبي وابن كثير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب، والشعبي. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (آل عمران: ١٣٠) أيضا لا دلالة لهم فيه، فقد نزلت الآية تنهى عن أكل الربا المضاعف باعتبار ما كان أهل الجاهلية معتادين عليه عند تعاملهم بالربا ولا يوجد في الآية ما يدل على تقييد تحريم الربا بالمضاعف.

ب- الآيات المتعلقة بالخمر: من مجمل هذه الآيات فهم القائلون بالتدرج أن الخمر كان مباحاً في بادئ الأمر بدليل قوله تعالى: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ثمَّ نزل تضييق الإباحة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣)، ثمَّ نهي عن الخمر بعد هذا التضييق وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ

ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾(المائدة:٩١-٩٠).

ونقول إنّ هذه الآيات لا تدل على التدرج في تحريم الخمر، فالخمر لم تكن محرمة، بل كانت متروكة على البراءة الأصلية، حتى نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴿٩١﴾﴾ ، والمدقق في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣)، يرى أنها لم تَنْهَ المسلمين عن الصلاة وقد شربوا الخمر، بل نهت عن الصلاة في حالة السكر حتى يعلم المسلمون ما يقولون، ولو كان المسلم بعد نزول هذه الآية تفوح منه رائحة الخمر وهو يصلي بالمقدار الذي لا يضيع معه عقله فلا شيء عليه، ولم يحصل أن أحداً استحل شرب الخمر بعد تحريمها، لا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين وتابعيهم، وسيبقى الحكم كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثا: كان النبي ﷺ يبلّغ التشريع الجديد لحظة نزوله ويأمر باتباعه فلا يتدرج في تطبيق ما نزل عليه، ولا يسمح بالحرام بعد تحريمه، ولا يعمل بالمنسوخ بعد النسخ، فليس هناك أي دليل أو إثبات على أن الرسول ﷺ قد أجَّل تطبيق بعض الأحكام، أو أنه قد طلب من صحابته تطبيق أحكام وأباح لهم تأجيل أخرى حتى يُفهم من ذلك أنه تدرج، بل العكس من ذلك، نجد من سيرته العطرة أنه ﷺ رفض دعوات زعماء قريش له بالتنازل ولو عن القليل من أحكام الله، حيث رفَض رسول الله ﷺ التناوب على الحكم يوم عرضته عليه قريش، وكذلك نجد موقفه من بني عامر بن صعصعة عندما طلبوا أن يكون الأمر فيهم من بعده مع شدة الحاجة عنده لوجود من ينصر الدعوة حينها، ولكنه قال لهم: «**الْأَمْرُ إِلَى اللهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، وموقفه من بني شيبان عندما أتوه وقالوا له: «يا محمد إن عندنا رجالاً كالذرِّ ومالاً كالتراب وعزيمة وبأساً كالجبال، ننصرك على العرب ولا ننصرك على الفرس والروم»، فقال لهم رسول الله ﷺ: (**وَإِنَّ دِينَ اللهِ تَعَالَى لَنْ يَنْصُرَهُ إلا مَنْ أَحَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ**)، وموقف النبي ﷺ من بني ثقيف حيث روى ابن هشام في سيرته أنه عندما قدم وفد ثقيف ليفاوضوا رسول الله سألوه أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين.

فأبى رسول الله ذلك عليهم. فما برحوا يسألونه سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعهم شيئاً مسمّى. وهذا ما سار عليه الخلفاء من بعده في تطبيق أحكام الإسلام على البلاد المفتوحة، فقد كان تطبيقهم للأحكام رضي الله عنهم دفعةً واحدةً، دون تأخير أو تسويف أو تدرج.

رابعا: بالنظر إلى أرض الواقع، نكتشف أننا لم نجنِ من فكرة التدرج في تطبيق الإسلام إلا كل شر والأمثلة على ذلك كثيرة. ومنها مثلا في مصر فقد وصل الإخوان مسلمون إلى سدة الحكم فماذا كانت النتيجة؟! لم يستطيعوا إقامة الدين. وأما السودان فالدولة مقسمة، يعاني أهلها الفقر والحرمان. وتركيا التي يَعدّها العديد نموذجاً للحكم يحتذى به، واقعها أنها مرتع للعلمانية وتبعية للغرب. وأما في الأردن فأكبر همهم هو تغيير القانون الانتخابي حتى يتاح لأكبر عدد منهم دخول البرلمان. وفي تونس فقد وصل الحال إلى مخالفة أحكام شرعية قطعية الدلالة في القرآن الكريم مثل قوانين المساواة في الميراث بين الذكر والأنثى وتجريم تعدد الزوجات. واليوم في سوريا، نجد هيئة تحرير الشام قد وصلت إلى منتهى طريقها، وهو إسقاط النظام، فهم اليوم في سدة الحكم ولكنهم لم يلتفتوا إلى إقامة حكم الله بعدما رهنوا أنفسهم بارتمائهم في أحضان الدول الأخرى. وجميع بلاد المسلمين خذلت المجاهدين في غزة بل وتآمرت عليهم، وهم يسمون أنفسهم دولا إسلامية.

وأخيرا: كنا وما زلنا نقول إن أمة الإسلام أمة كريمة وفيها الخير الكثير، وهي أمة تتوق لتطبيق الإسلام، وإن التغيير الحقيقي لن يكون إلا بالتغيير الجذري الشامل الكامل، وهذا لن يكون إلا في ظل الخلافة التي تطبق الإسلام نظاماً ودستوراً للحياة؛ وإن حزب التحرير يعمل ليل نهار بين الأمة ومعها، وقد أعد العدة لذلك، ومنها منهج كامل للدولة الذي هو مشروع دستور دولة الخلافة الذي يحتوي على أحكام الدولة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبقوة الدليل، نسأله جل وعلا أن نكون من شهودها وجنودها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم النصرة وأهميتها لإقامة الدولة الإسلامية

يس مطهر- اندونيسيا

إن من يدرك واقع الرسالة الإسلامية والتي جعلها الله سبحانه وتعالى عالمية ورسالة خاتمة يدرك أن وجود الدولة الإسلامية في حياة المسلمين هي جزء جوهري من الإسلام، وذلك معلوم من الدين بالضرورة، وأن الخليفة هو الجهة التي أناط الله سبحانه وتعالى بها تطبيق الإسلام ونشره، وكل من يفهم الإسلام الفهم الصحيح لا بد من أن يدرك أن الهجرة لا تعني إلا إقامة الدولة الإسلامية. وحزب التحرير سار في دعوته على طريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية، فسار بمراحل الدعوة التي سار بها الرسول ﷺ، من التثقيف المركز والتثقيف الجماعي والتفاعل مع الأمة، وسار في طلب النصرة قبيل مرحلة تسلّم الحكم.

ولأهمية النصرة لإقامة الدولة الإسلامية أسوق في هذه المقالة المتواضعة البيان الشافي حول النصرة وطلب النصرة.

المعنى اللغوي للنصرة

النصر إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، ينصرهم نَصْرًا، وانتصر: انتقم، وأما الإتيان فالعرب تقول: نَصَرْتُ بلد كذا: إذا أتيته، ويسمى المطر نَصْرًا، ونصرت الأرض، فهي منصورة، والنصر: العطاء، والنصر: العون. نَصَرَهُ على عَدوِّه، يَنْصُرُه نَصْرًا، والاسم النُّصْرَةُ، والنَّصيرُ، والناصِرُ، وجمعه أنصارٌ كشريفٍ وأشرافٍ. والنصرة بضم النون هي حُسن المعونة كما في لسان العرب.

المعنى الاصطلاحي للنصرة

لا يختلف النصر في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فهو يتضمن عدة معانٍ، منها: العون، والتأييد، والعطاء، ودفع الضر، فنصر فردٍ أو جماعة يشمل إعانتهم بالقول أو الفعل، وتأييدهم بالقول أو الفعل، وإعطاءهم ما ينصرهم، ويدفع الضر عنهم، وإلى هذا أشار الشوكاني رحمه الله بقوله: «هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم».

والمراد بالنصر أو النصرة في هذا الصدد هو نصرة دين الله والقائمين على إقامته في الأرض. أي حسن المعونة أو التأييد للدين من قبل أهل القوة والمنعة.

قال العالم الشيخ عطاء بن خليل أبو الرشتة في سلسة أجوبته بتاريخ **٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ:** «النصر يتخذ أوجهاً متعددة، فظهور فكر الدعوة على غيره من الأفكار هو وجه من أوجه النصر، والتفاف الناس حول الدعوة وتأييدها هو وجه من أوجه النصر،

وثبات حملة الدعوة على دعوتهم هو وجه من أوجه النصر... وهكذا. وقال : ومن أوجه النصر **استجابة أهل القوة والمنعة بإعطاء النصرة للدعوة**، ولكن النصر بمعناه الكامل لا يتحقق إلا بتحقق هذه النصرة ووصول الحزب إلى الحكم بإقامة الدولة وتطبيق الإسلام وحمل الدعوة... فالنصر في سياق الدعوة معناه الكامل هو وجود نقطة الارتكاز، أي قيام الدولة، لأنه دون قيام الدولة لا يوجد الإسلام في معترك الحياة... فوجوه النصر الأخرى، وإن كان فيها خير، لا تحقق وجود الإسلام في معترك الحياة، بل لا بد من قيام الدولة والحكم بالإسلام عملياً حتى يوجد الإسلام في معترك الحياة ويوجد النصر بمعناه الكامل الشامل»...

وتطلق نصرة الله ويراد بها نصرة دين الله، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ الحديد/٢٥. ونصرة رسوله حمايته ومنعته والقتال معه، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ...﴾التوبة /٤٠، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ الصف/١٤.

علاقة النصرة وطلب النصرة

وهذه النصرة من أحكام الطريقة، لأنها لا يمكن فصلها عن طلب النصرة، بل هي الغاية منه، فإنّ طلب النصرة حكم شرعي من أحكام الطريقة، وكذلك النصرة هي حكم شرعي من أحكام الطريقة الواجب على أهل القوة أن يقدموها لمن يعمل لإقامة حكم الله دون غيرهم، كما قدمها زعماء الأوس والخزرج أي الأنصار لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين سعوا للحصول عليها، طريقةً لإقامة الدولة الإسلامية. ومن أجل الحصول على النصرة لا بد من عملية طلب النصرة. وطلب النصرة هو السعي للحصول على إعانة الدين وتأييده، أي إقامة الدين من أهل القوة والمنعة الذين يقدرون على الإعانة لأنهم هم أصحاب القوة الحقيقيون في الأمة.

فقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى طلب النصرة في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ الإسراء: ٨٠، جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾الإسراء:٦٧-٧٧، أي لما همَّ كفار مكة بإخراج الرسول ﷺ من مكة، علم رسول الله ﷺ أنه لن يستطيع القيام بأمر هذا الدين من غير سلطان نصير، فسأل الله أن يخرجه من مكة مخرج صدق، وأن يدخله البلد الذي ينصره مدخل صدق، وأن يجعل له في ذلك البلد ملكاً ناصراً ينصره.

قال الإمام الطبري في تفسيره: «وقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾، اختلف

أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكاً ناصراً ينصرني على من ناوأني، وعِزّا أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراده بسوء. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾، وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدُهم ضعيفَهم. ثم قال الطبري: وأَولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده».

قال القرطبي في معنى هذه الآية: «وقيل: علمه ما يدعو به في صلاته وغيرها من إخراجه من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن، فأخرجه من مكة وصيّره إلى المدينة». وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ بمكة ثم أُمر بالهجرة فنزلت ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾. قال: هذا حديث حسن صحيح».

فهذه الآية تخبرنا أن الله أمر رسوله ﷺ بطلب النصرة لإقامة الدين. وحصل هذا العمل قبيل أمر الله بالهجرة من مكة إلى المدينة. فبعد أن تم الطلب وحصل الرسول على النصرة أمره الله بالهجرة. فهذا يدل على أنه ﷺ إنما كان يقوم بأعمال طلب النصرة في ظل دعائه لله تعالى أن يؤتيه مُلكاً ناصراً.

ودلت الروايات الكثيرة على أن رسول الله ﷺ قام بطلب النصرة قبيل النصرة أي قبيل تسلم الحكم من أهل القوة. منها ماورد في سيرة ابن هشام: [سَعْيُ الرّسُولِ ﷺ إلَى ثَقِيفٍ يَطْلُبُ النّصْرَةَ]:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: «وَلَمّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى الطّائِفِ، يَلْتَمِسُ النّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ، قَالَ لَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى الطّائِفِ، عَمَدَ إلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ عَبْدُ يَالَيْل بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ

فَدَعَاهُمْ إِلَى اللّهِ وَكَلّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الإسلام وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ.

ومن صفة الطريقة أنها لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الظروف والأزمنة والأمكنة. فالنصرة من أحكام الطريقة فلا تقام الدولة الإسلامية، أي الخلافة، إلا بها. فمن أراد إقامة الدولة فعليه بتحصيل النصرة من طريق طلب النصرة.

ثم إنه إذا تأملنا النصرة الحاصلة في سيرة النبي ﷺ حتى أقام الدولة الإسلامية في المدينة يتبين أن هذه النصرة تقتضي عدة أمور كأركان لها:

□ **من يطلب النصرة،** وهم الذين يعملون في حزب سياسي لإقامة الخلافة كطريقة لإيجاد الحياة الإسلامية في المجتمع كما فعله الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

□ **ومن يُطلب منه النصرة،** وهم أهل القوة والمنعة، أي أهل النصرة، مثل زعماء القبائل ورؤسائها وأهل القوة والمنعة من قادة الأوس والخزرج الذين طلب منهم رسول الله ﷺ النصرة.

□ **وعملية طلب النصرة،** وهي الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ حين طلب النصرة، من معرفة من هم أهل القوة والمنعة في المجتمع حوله والاتصال المتقصد بهم، وعرض نفسه وعرض الإسلام الذي دعا إليه لهم والعمل الدؤوب رغم المشقة في سبيله.

□ **والنصرة من قبل أهل القوة،** وهي حسن الإعانة والتأييد من قبل أهل القوة.

□ **والظروف التي فيها يجري هذا العمل،** هي الحالة التي عمل فيها طلب النصرة من تجمد المجتمع بعد انتشار الرأي العام عن الإسلام والدعوة له.

فإذا توفرت هذه الأمور الخمسة فقد تم طلب النصرة وحصلت النصرة.

والنصرة حكمها فرض على أهل القوة والمنعة في الأمة.

فكما أن طلب النصرة هو حكم شرعي من أحكام الطريقة فكذلك النصرة هي حكم شرعي من أحكام الطريقة الواجب على أهل القوة أن يقدموها لمن يعمل لإقامة حكم الله دون غيرهم. كما قدمها زعماء الأوس والخزرج أي الأنصار لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين سعوا للحصول عليها طريقةً لإقامة الدولة الإسلامية.

ونصرة الله ورسوله أي نصرة الإسلام بمختلف أشكالها -بما فيها النصرة لإقامة الدولة- حكمها فرض على من يقدر من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ (محمد: ٧).

دلت الآية على أن نصرة الدين، والدفاع عنه، وعن حملته، مسؤولية كل مسلم. قال الرازي في تفسير هذه الآية: «وفي نَصْرِ اللَّهِ تَعالى وُجُوهٌ: الأوَّلُ: إنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ وطَرِيقَهُ. والثّانِي: إنْ تَنْصُرُوا حِزْبَ اللَّهِ وفَرِيقَهُ.

الثّالِثُ: المُرادُ نُصْرَةُ اللَّهِ حَقِيقَةً».

وأهم النصرة الواجبة تحقيقها اليوم هي النصرة من قبل أهل القوة والمنعة من قادة الجيوش وضباطها، لأنه بها تقام الدولة الإسلامية التي ستطبق الإسلام في جميع نواحي الحياة وتفصل التنازعات وتوحد بلاد المسلمين وتنصر المظلومين من الظالمين. فإقامة الدولة الإسلامية تاج الفروض في أعناق المسلمين كما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: «اعلم أيضا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة، وقالوا إنه واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ».

فوجود النصرة حكمه أنه فرض أيضا، أيما فرض، إذ به سيتحقق تاج الفروض. فهذا الفرض من قبيل «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، ومن قبيل «للوسائل حكم المقاصد».

واقع النصرة في النصوص الشرعية

يتردد مصطلح النصرة ومشتقاته في القرآن والحديث لتعني ما يلي:

☐ النصرة بمعنى اتباع دين الله، والجهاد في سبيله، وطاعة أوامره، واجتناب معاصيه؛ مثل قوله تعالى:

☐ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ (محمد: ٧).

☐ النصرة بمعنى التأييد والمساعدة على التفوق والغلبة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢٣﴾ (آل عمران: ١٢٣)، وقوله:﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥﴾ (التوبة: ٢٥)

☐ النصرة بمعنى المؤازرة؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧) وفي الحديث: «**النساء ينصر بعضهن بعضا** "(رواه البخاري في كتاب اللباس)، «**من نصر قومه على غير حق فهو كالبعير**» (أبو داود: السنن، كتاب الأدب).

☐ النصرة بمعنى الحماية؛ مثل قوله تعالى : ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾ (هود : ٣٠) وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ **(التوبة : ٤٠)**

☐ النصرة بمعنى مساندة الحق وإشاعة العدل؛ مثل قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ (الصافات: ٢٥)

☐ النصرة بمعنى الثأر ودفع العدوان؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ (الشورى: ٣٩)، وفي الحديث:

«دونك فانتصري»، «من دعا على من ظلمه فقد انتصر».

النصرة بمعنى منع الظلم ودفعه إذا وقع، مثل قوله ﷺ: **«أمرنا بعيادة المريض وفك العاني ونصرة المظلوم»** (رواه البخاري)، **«من أذل عنده مؤمن، فلم ينصره وهو يقدر على نصره، أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة»** (رواه أحمد)، «يقول الله عز وجل: **«وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر على أن ينصره فلم ينصره»** (رواه الطبراني).

والمناسبات التي اقترنت بالتوجيهات القرآنية والنبوية التي عالجت عنصر النصرة، وأدرجته في العناصر المكونة للأمة الإسلامية هي:

أولا: ذلك الالتزام الكامل الذي قام به الأنصار قولا وعملا لنصرة الرسول ﷺ، ونصرة المهاجرين معه، ومن أجل ذلك أطلق عليهم اسم «الأنصار».

ثانيا: تلك التضحية الكاملة التي قدمها المهاجرون حين اقتلعوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي وثقافته اقتلاعا كاملا، ثم أوقفوا هـذه الأنفس لنصرة دين الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: إقامة الفريقين مجتمِعين شرائع الإسلام في واقع حياتهم، في العصر النبوي والراشدي بإقامة الدولة الإسلامية، ثم الخروج إلى العالم كله لحمل الإسلام بالدعوة والجهاد.

أهمية وضرورة وجود النصرة في عملية التغيير

كما هو معلوم عند الجميع أن حال المسلمين اليوم يحتاج تغييرا. والتغيير المقصود ليس مطلق التغيير ولكنه التغيير الذي يهدف إلى إقامة الدولة الإسلامية على طريقة دعوة الرسول ﷺ في مكة لإقامة الدولة الإسلامية. فهذا معناه أنه يجب أن نقوم بأعماله التي قام بها والتي كان من شأنها أن تقيم الدولة الإسلامية. ومن عملية التغيير التي قام بها الرسول ﷺ التماس النصرة، أي طلب النصرة.

ومن هنا فإن وجود النصرة في عملية التغيير هذه لهو أمر في غاية الأهمية، حيث علق الله حصول نصره على المؤمنين بنصرهم دينه تعالى، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ (محمد: ٧). فلأهمية وجود النصرة من أهل القوة أصر الرسول ﷺ واستمر وأصحابه في طلبها رغم المشقات والصعوبات وملاقاة الأذى في سبيله كما دلت الروايات المتعددة على ذلك.

وكل من يفهم الإسلام الفهم الصحيح لا بد أن يدرك أن الهجرة لا تعني إلا إقامة الدولة الإسلامية... وهذا ما فهمه ورقة بن نوفل الذي قال للرسول ﷺ مباشرة بعدما سمع منه ما جرى له في غار حراء، حين قال له: «هذا هو الناموس الذي أنزله الله على

موسى، يا ليتني أكون فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك»، قال عليه الصلاة والسلام: **أو مُخْرِجِيَّ هم؟!** قال ورقة: «نعم لم يأتِ رجل قطُّ بمثل ما جئتَ به إلّا عُودِيَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مُؤَزَّرًا».

ولأهمية النصرة فإنه ما إن علم كفار قريش بالنصرة والبيعة حتى أسرعوا إلى محاولة إجهاضها والعمل على التخلص من الرسول ﷺ ودعوته نهائيًّا؛ لذلك اجتمعوا على قتله ﷺ واتفقوا على أن يتفرق دمه في القبائل، فشاء الله أن يكون فيما أرادوه من شر قتل الرسول ﷺ مولد ذلك الحدث العظيم: إقامة دولة الإسلام.

ومن هنا كانت الهجرة هي الطريق إليه. وهل كانت الهجرة إلا بعدما كانت النصرة؟! وهل كانت الهجرة إلا بعدما كانت البيعة؟! والسؤال الذي يطرح الآن: لماذا تقبل القبائل أن تشترك في قتل النبي ﷺ وهو ليس من أهلها؟ ... لقد قبلت ذلك لأنها علمت كما علم زعماء مكة أن هذه الدعوة هي دعوة توحيد تقضي على الوثنية وعلى الشرك بكل صوره في مكة وخارجها، وأنها لا تقبل المشاركة ولا ترضى بالآخر معها، فهي تقوم على التوحيد وحسب. لقد فهم زعماء الكفر في الجاهلية ما تعنيه الهجرة أكثر مما فهمه بعض علماء المسلمين اليوم، بل أكثر من ذلك، فإن الغرب وحكام المسلمين يفهمون ذلك أفضل منهم.

شرف الأنصار وأهل النصرة

لقد نال الأنصارُ منزلةً عاليةً في الإسلام، فقد امتدحَهم الله في كتابه، وأثنى عليهم، وقارنهم بالمهاجرين؛فقال:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ التوبة: ١٠٠

وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال فيهم أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

وأصبح حُبُّ الأنصار من الإيمان، وبغضهم آية النفاق، وقد أحبَّهم النبي ﷺ حبًّا جمّا، وأحبُّوه حبًّا يندُر مثلُه.

ومما يُبيِّن حُبَّه ﷺ لهم ما قاله: «**لولا الهجرة لكُنْتُ امْرءًا من الأنصار، ولو سلك الأنصارُ شعبًا ووديًا، وسلك الناس شعبًا ووديًا لسلكْتُ شعب ووادي الأنصار**». فقال أبو هريرة: ما ظلم بأبي وأمي، آووه ونصروه، أو كلمة أخرى؛ البخاري (٣٥٦٨).

وقد صرح النبي ﷺ بُحبِّه للأنصار،

فقال: ((**والذي نفسي بيده، إنكم أَحَبُّ الناس إليَّ**)) (البخاري :٣٥٧٥). ومن أعظم وصاياه بالأنصار وهو في مرض موته ﷺ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بردٍ، قال: «**فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**». (البخاري: ٣٥٨٨). وسبب هذه الوصية أنهم بطانة النبي ﷺ وموضع سِرِّه وأمانته.

وقد دعا لهم النبي ﷺ ولذراريهم بالمغفرة، فقال: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**». (مسلم: ٤٦٨٨)

وكان ممن عرَفَ حقَّهم رضي الله عنهم الصحابي الجليل جرير البجلي رضي الله عنه لما رأى شِدَّة حبِّهم للنبي ﷺ وتسابُقهم في خدمته؛ فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «خرجت مع جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه في سفر، فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيتُ الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا آليْتُ على نفسي ألَّا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته (رواه مسلم ٢٥١)

والأنصار اسم سَمَّى الله به الأوس والخزرج وحلفاءهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وإنما سُمُّوا الأنصار لنصرتهم للإسلام؛ ولذلك تمنَّى النبي ﷺ أن ينسب إلى نصرة الدين لولا مانع الهجرة، وهذا يدلُّ على عظيم منزلتهم وفضلهم في كونهم إنما نسبوا لأمر عظيم؛ وهو نصرة دين الإسلام.

هؤلاء هم الأنصار أهل الكرم والبذل والسخاء والتضحية، فقد جادوا بمهجهم وأرواحهم وأبنائهم وأموالهم في سبيل نصرة الدين وإعزازه، فقد والوا وعادوا في هذا الدين، ومن أجله قطعوا علائقهم بالبعيد والقريب، ورمتهم العرب بسبب هذه النُّصْرة للدين عن قوس واحدة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

لقد نال الأنصار هذه المنزلة الشريفة لأنهم قاموا بإعطاء النصرة للرسول ولدعوته وسلموا الحكم إلى حضرته ﷺ حتى أقام الدولة في المدينة. وهذا الشرف أعطاه الله من ينصر دينه وحملته في كل زمان ومكان.

فها نحن اليوم في حاجة ملحة إلى وجود الأنصار الذين يعطون النصرة لحزب التحرير الذي يعمل ليلا ونهار لإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة التي بشرنا بها الرسول ﷺ في قوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**» (رواه أحمد)

إن طريقة التغيير عند المسلمين قد استكملت حلقاتها، إلا حلقة واحدة، هي الحلقة الأخيرة، وهي حلقة وجود القوة، ويلاحظ أن هذه الحلقة موجودة، والكل يعرف خطورتها، ممن يريد التغيير ومن يواجهه. لذلك نرى الغرب والحكام التابعين له يشدِّدون المراقبة

على هذه القوة، وتعمل الأجهزة الأمنية القمعية المختلفة بكامل طاقتها لمنع الجيوش من أي تحرك ضدهم، فيمارسون عليهم سياسة التعتيم، وقلب الحقائق، ويهددونهم ويحذرونهم ويأخذونهم على الشبهة.

من هنا يمكن القول إن الجيوش تبقى مصدر قلق للأنظمة لأنها تبقى من جنس الأمة وليست من جنس الحكام، فقط قادة هذه الجيوش، مع قادة الأجهزة الأمنية القمعية المختلفة، يتم اختيارهم بعناية للمحافظة على أنظمة الدول وإبعاد كل خطر عنها ومنع أي تهديد لها، وفرض السير في سياسته. أما باقي أعضاء السلك العسكري ففيهم الخير والرجاء ضباطًا وأفرادًا. وهؤلاء تخافهم الأنظمة، وهؤلاء من تستنفر ضدهم.

ونظرا لمكانة أهل القوة في جيوش المسلمين حاولت الولايات المتحدة السيطرة على ضباط الجيوش في البلاد الإسلامية عبر إستراتيجيات متنوعة ومتعددة الجوانب، بهدف تعزيز نفوذها وحماية مصالحها في المنطقة.

وفيما يلي بعض الأساليب التي استخدمتها الولايات المتحدة لتحقيق ذلك:

١ .التدريب العسكري والدعم اللوجستي

□ الولايات المتحدة تقوم بتقديم برامج تدريبية لضباط الجيوش من البلاد الإسلامية، سواء في أراضيها أو من خلال إرسال مستشارين عسكريين إلى هذه الدول.

□ يُدرب الضباط على الأساليب الحديثة للقتال، القيادة، وإدارة القوات، ما يجعلهم يعتمدون على الدعم الأمريكي.

□ الأمثلة تشمل برامج مثل ««**IMET (International Military Education and Training)**.

٢ .الاتفاقيات الأمنية والعسكرية

□ توقيع اتفاقيات أمنية ودفاعية مع البلاد الإسلامية التي تنص على التعاون في المجالات العسكرية، ما يمنح الولايات المتحدة نفوذاً في توجيه عقيدة الجيوش وتوجهاتها.

□ تتضمن الاتفاقيات شروطاً تتيح للولايات المتحدة التدخل في شؤون الجيوش، مثل توفير الأسلحة والتدريب مقابل الحفاظ على ولاء الضباط.

٣ .تزويد الجيوش بالسلاح والتكنولوجيا العسكرية

□ الولايات المتحدة تُعَد المورد الرئيس للأسلحة المتطورة والتكنولوجيا العسكرية للبلاد الإسلامية.

□ الاعتماد على السلاح الأمريكي يجعل الجيوش مرتبطة بأمريكا من خلال احتياجات الصيانة والذخيرة والتدريب على استخدام المعدات.

٤ .الابتعاث والدراسة في الأكاديميات العسكرية الأمريكية

□ الكثير من الضباط يرسلون للدراسة في

الأكاديميات العسكرية الأمريكية مثل **West Point** و**National Defense University**، حيث يلقَّنون العقيدة العسكرية الأمريكية وتغرس فيهم أفكار تخدم الأجندة الأمريكية.

٥. شبكات النفوذ الاستخباراتي

□ الولايات المتحدة تعمل عبر وكالات مثل **CIA** و **NSA** لتجنيد الضباط أو التأثير عليهم باستخدام وسائل ضغط مثل الابتزاز أو الإغراءات المالية.

□ تُستخدم هذه الشبكات للتأكد من ولاء الضباط ولضمان تنفيذ السياسات التي تتماشى مع المصالح الأمريكية.

٦. الترويج للأيديولوجيا الديمقراطية والعلمانية

□ الولايات المتحدة تعمل على غرس مفاهيم الديمقراطية والعلمانية في عقيدة الجيوش من خلال التدريب والندوات الدولية.

□ يصوَّر الولاء للأنظمة الحاكمة على أنّه يجب أن يكون مبنياً على حماية الديمقراطية و»الأمن القومي»، وفق المفاهيم الغربية.

٧. إضعاف البدائل المحلية

□ عبر التدخلات السياسية والعسكرية، تسعى الولايات المتحدة إلى تقويض أي توجهات إسلامية أو وطنية قد تهدد نفوذها.

□ يحصل ذلك من خلال دعم الأنظمة الحاكمة المرتبطة بالولايات المتحدة أو الانقلابات التي تخدم مصالحها.

٨. استخدام «الحرب على الإرهاب» كغطاء

□ بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، عززت الولايات المتحدة سيطرتها على جيوش البلاد الإسلامية من خلال برامج مكافحة الإرهاب، ما أدى إلى فرض سياسات أمنية تخدم المصالح الأمريكية.

٩. بناء قواعد عسكرية في المنطقة

□ وجود قواعد عسكرية أمريكية في دول مثل قطر وتركيا والكويت، يمنحها القدرة على مراقبة الجيوش المحلية وتوجيهها.

□ هذه القواعد تستخدم أيضاً وسيلةَ ضغط لتأكيد السيطرة.

١٠. استبدال القيادات غير الموالية

□ في حال وجود قادة عسكريين يرفضون النفوذ الأمريكي، يُضغط على الأنظمة الحاكمة لاستبدال قادة أكثر ولاءً بهم.

□ أحياناً تُستخدم انقلابات عسكرية بدعم أمريكي للإطاحة بالأنظمة أو القادة الرافضين.

١١. التطبيع مع كيان يهود

□ الولايات المتحدة تشجع الكثير من البلاد الإسلامية على تطبيع العلاقات مع كيان يهود، مما يؤثر على عقيدة الجيوش ويبعدها عن القضايا الإسلامية الكبرى.

هذه الوسائل جعلت كثيرا من جيوش البلاد الإسلامية أدوات لتحقيق المصالح الأمريكية، وأبعدتها عن أدوارها الأصلية في حماية الأمة الإسلامية وقضاياها المصيرية.

المبشرات

وإنه لمن المبشرات أن يصل حزب التحرير مع الأمة إلى هذا المدى من سلوك الطريق والمستوى من الإعداد، حتى لم يبقَ عليه إلا استكمال هذه الحلقة الأخيرة منه، وهي حلقة طلب النصرة. ولولا تأييد الله لهذه الثلة لما ثبتت وصبرت وتحمَّلت وضحَّت...

وفعلًا هناك دعوة واحدة وحيدة قد قامت على طريقة الرسول ﷺ، وهي دعوة **حزب التحرير** حصرًا، وليس هناك من دعوة أخرى تدَّعي أنها قد قامت على ذلك. بل أكثر من ذلك، فإن سائر الدعوات ما زالت تدعي إلى اليوم أنه ليس مطلوبًا السير على هذا الطريق. ومن هنا نحن نقول إن **حزب التحرير** قد استقام على الطريقة في كل أعماله منذ أول يوم، وهو لم يُغيِّر ولم يُبدِّل، وهو يقول إن دعوته قد وصلت في المسلمين إلى أبواب الفرج التي لا يفتحها إلا الله العليم الخبير. وصل إلى مرحلة فتح باب النصر الذي لا يفتحه إلا هو، وصل إلى الخطوة الأخيرة في دعوته لإقامة دولة الخلافة الإسلامية، وهي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام التي حققتها هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة. فكيف ستتحقق اليوم. فالأمر بيد الله وبتوفيقه، فالهجرة جعلها الله سبحانه وتعالى منوطة بتحقُّق النصرة، فهي ثمرة لها. ويمكن القول إنه لم يعد ينقص عملية التغيير سوى تحقق (النصرة)، حتى تكتمل خطوات التغيير ويحدث الانتقال إلى مرحلة الحكم (قيام الدولة) ... ويمكن القول جزماً إن النصر وعد من الله سيتحقق، ولا ريب في ذلك، يصدق به المؤمنون ويستخف به الكافرون...

النداء إلى أهل القوة

وفي الختام نوجه النداء الحار من قلب خالص إلى أهل القوة والمنعة من ضباط الجيوش وقادتها، وهم بإذن الله أنصار اليوم:

□ يا أهل القوة: أليس فيكم رجل رشيد؟ ألستم تنظرون إلى حالة المسلمين في فلسطين: في غزة وفي سائر البلدان، هم الآن يستصرخونكم من أعماق أعماق قلوبهم: أين جيوش المسلمين؟ أين أهل القوة والمنعة؟ أين أحفاد سعد بن معاذ؟ فإلى متى أنتم صامتون ولا تتحركون لنصرة إخوانكم في الدين؟ وما جوابكم عند رب العالمين في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟ ألستم تقرأون قول الله تعالى في محكم كتابه في سورة النساء: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟

ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

□ يا أهل القوة والمنعة يا أهل النصرة:

أنتم اليوم الذين تتوجه إليكم عيون دامعة ونفوس خاشعة لله، تطلب منه سبحانه وتعالى أن يقيض لهذه الأمة أهل قوة وإيمان يستخلصهم لهذه المهمة التي لا أجلَّ منها الآن، فحركوا جيوشكم قتالا فِي سَبِيلِ الله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

يأهل القوة والمنعة، يا ضباط جيوش المسلمين وقادتهم، أعطوا نصرتكم لدين الله إلى حزب التحرير الذي يعمل ليلا ونهارا لاستئناف الحياة الإسلامية من طريق إقامة الخلافة، فبذلك يتحقق النصر والفتح على أيديكم ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

فهنيئًا لمن تقع عليه مهمة النصرة والاستخلاف والتمكين من أهل القوة اليوم، ليكونوا أمثال من سبقهم من أنصار الرسول ﷺ الذين أقاموا الدولة الإسلامية الأولى، مثل سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن عند موته، ومثل سعد بن عبادة. قال الذهبي في السير: وقد تواتر قول النبي ﷺ: «**إن العرش اهتز لموت سعد فرحًا به**».

ومناقب سعد لا تعد،فهو كما قال الذهبي: السيد الكبير ، أحد السابقين ، أبو عمرو الأنصاري البدري ، اهتز لموته عرش الرحمان، ومناقبه مشهورة في الحاح، وفي السير.وفي السير : أن قريشاسمعت هاتفا على جبل أبي قبيس، يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف المخالف فقال أبو سفيان: من السعدان؟

سعد بكر.. سعد تميم؟ فسمعوا في الليل الهاتفَ يقول:

يا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا ... على الله في الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى ... جنان من الفردوس ذات رفارف

فقال أبو سفيان: هو -والله- سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة.■

المحور الثالث

قضية فلسطين مستجداتها

- قضية فلسطين قضية المسلمين الجامعة ٧٨
- قضية فلسطين بين مخططات المستعمرين وتطلعات المسلمين ٨٢
- عملية طوفان الأقصى تدفع الأمة الإسلامية خطوات حاسمة نحو بناء دولة الإسلام ٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية فلسطين قضية المسلمين الجامعة

فؤاد العامري- اليمن

تُعد قضية فلسطين واحدة من أكثر القضايا الإنسانية والسياسية تعقيدًا في العصر الحديث، فهي تلامس قضايا الهوية والتاريخ والدين. إذ تُعد فلسطين التي تحتضن مقدسات المسلمين مثل المسجد الأقصى، رمزًا للصمود والتاريخ العريق، مما يجعلها قضية تتجاوز حدود الجغرافيا والسياسة، لتصبح قضية تُعنى بها قلوب جميع المسلمين حول العالم، بحيث تعتبر القضية الفلسطينية جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. فالقدس والأقصى هما جزء من ثقافة الأمة، والواجب الديني يحث جميع المسلمين على دعم قضية فلسطين والدفاع عنها. لذا فإن أي اعتداء على أرض فلسطين يتعدى أهل فلسطين، من حيث هو اعتداء على الأمة الإسلامية.

يقال إنّ فهم الطبيعة التي لازمت قضية فلسطين اليوم من بين القضايا العالمية المعاصرة يستوجب ملاحقة هذه القضية من أقدم العصور، لكونها القضية الوحيدة التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ لآلاف السنين. إذ لا يمكن فهم الصراع الدائر اليوم دون الرجوع إلى التاريخ القديم. صحيح أننا لو عدنا إلى التاريخ القديم لفلسطين لأحطنا بمختلف جوانبها الدينية والقومية والحضارية والعمرانية والسياسية، وما يربطها ببني إسرائيل وقبائل العرب الأولى المعاصرة للكنعانيين والقبائل العربية التي استقرت في العهد الروماني، ثم بعد ذلك الفتح الإسلامي والحضارة الإسلامية، لكن ما نراه اليوم وما يحدث في فلسطين لا علاقة له بالتاريخ القديم، حيث إن ادعاءات التاريخ القديم إنما هي ذريعة لتبرير الاستعمار ولتنفيذ مخططات الحركة الصهيونية. إذ إن تاريخ فلسطين الحديث قد تعرض لهجمة صهيونية لفحته نيرانها من أوروبا، نعم من أوروبا مهد الاستعمار ومهد الحركة الصهيونية.

بريطانيا لم تكن مجرد دولة انتدابية بالنسبة لفلسطين كما كانت بالنسبة للأردن أو العراق. فهي من أصدرت صك ميلاد الدولة

اليهودية، للاستيطان القادم بعدها. وكان ذلك قبل أن يتقرر دوليًا انتدابها على فلسطين أو حتى قبل أن يدخل جنودها أرض فلسطين. وهذا يبين لنا حجم التخطيط المسبق في إقامة كيان يهود.

ولو نظرنا إلى التاريخ الحديث لوجدنا أن العائق الوحيد أمام تنفيذ مخططات إقامة هذا الكيان كان وجود الدولة الإسلامية، الخلافة العثمانية. فالمؤامرات التي أسهمت في حياكتها الحركة الصهيونية للإطاحة بدولة الإسلام كانت لها علاقة بإقامة كيان يهود.

لا شك أن وجود الدولة الإسلامية كان له دور مهم وكبير في تحقيق الوحدة وتقوية الأمة الإسلامية والدفاع عنها من أي اعتداءات خارجية. فقد كان ينظر اليهود إلى الأراضي الإسلامية وما تحويه من ثروات طبيعية هائلة أو مواقع إستراتيجية مهمة نظرةً تحفّزهم على الاستيلاء على هذه الثروات واستحواذها. فسعوا في تنفيذ بعض مخططاتهم لإقامة كيان يهود. ففي عام ١٩٠٢ قدم مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل عرضا للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني لشراء فلسطين وتحويلها إلى وطن لليهود مقابل سداد ديون الدولة الإسلامية، إلا أن طلبه قوبل بالرفض، حفاظًا على المقدسات الإسلامية وعلى وحدة الدولة الإسلامية واستقلالها، مع أن الإمبراطورية الألمانية -وبعدها إنجلترا- هي من كانت تتبنى القضية الصهيونية (تاريخ الحركة الصهيونية لثيودور هرتزل). إلا أن وحدة الأمة الإسلامية في ظل دولة إسلامية واحدة وما تمتلكه من قوة ومن إمكانيات، كان يمثل حاجزًا منيعًا أمام مخططات الحركة الصهيونية في زرع هذا السرطان الخبيث في جسد الأمة (كيان يهود). فعمل اليهود على الإطاحة بالدولة الإسلامية من أجل تنفيذ مخططاتهم.

فعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ودخلت الدولة العثمانية في تحالف مع ألمانيا ضد فرنسا وإنجلترا، استغلت الحركة الصهيونية تحت رعاية إنجلترا فرصة الحرب لتحريض الشريف حسين في الحجاز على الثورة والانتفاضة ضد الدولة العثمانية، مقابل دعمهم في إقامة دولة مستقلة للعرب. وبالفعل ثار الشريف حسين ومعه لورنس الإنجليزي ضد الدولة الإسلامية، وكان ذلك في عام ١٩١٦، متوهمًا بوعود من لا عهد لهم ولا ذمة. انتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية أمام أعداء الخارج وخيانة الداخل، فانسحبت من الجزيرة العربية وبلاد الشام. ثم قام عدو الله مصطفى كمال بإلغاء نظام الخلافة عام ١٩٢٤، وأقام جمهورية تركيا العلمانية. ثم

جاءت قوى الكفر الاستعمارية لتلتهم ما تبقى من تركة الدولة الإسلامية، حتى إنها لم تفِ بأي وعد قطعته لمن خانوا دولة الإسلام، بل عملت على تصفيتهم. فاليهود معروفون على مر التاريخ بأنهم أشد الناس عداوة للأمة الإسلامية وأنه لا عهد لهم ولا ذمة.

قُسمت المنطقة بناء على اتفاقية سايكس بيكو إلى عدة دويلات، أُقيمت على أساس القومية العربية التي استبعدت الدين من مقومات الأمة، وجُعلت الدول القومية التي قامت علمانية التوجه استنادًا إلى الفكر الغربي. وكانت نتيجة هذا التقسيم أمة مشتتة لا حول لها ولا قوة، بحيث كانت فريسة سهلة أمام أطماع الغرب. فقد انتدبت عصبة الأمم بريطانيا على فلسطين، وكان من أولى واجباتها تنفيذ وعد بلفور الذي أعطته بريطانيا للحركة الصهيونية عام ١٩١٧ لإقامة وطن لليهود في فلسطين. ولم يكن زرع هذا السرطان (كيان يهود) في فلسطين بالذات صدفة، وإنما كانت له أبعاد مستقبلية، منها: فصل المشرق العربي عن المغرب العربي، وجعل المنطقة في حالة من عدم التوازن. لأن التوازن يولد الاستقرار، والاستقرار يولد النهضة، وهذا ما لا يريده الكفار للأمة الإسلامية (مؤتمر كامبل بنرمان). فبعد أن عملوا على إسقاط دولة الإسلام وتقسيم الأمة لن يسمحوا للأمة بأن تنهض، إذ إن نهضة الأمة هي بيد الأمة في حال أرادت ذلك، وليس بيدهم.

استعمرت قوى الاستعمار بعض الدول الأُخر، واستمر الاستعمار ما يقارب القرن وأكثر، وثارت بعض الشعوب وحاربت المستعمرين. فلاحظ المستعمرون أنه لا مجال لاستمرار السيطرة العسكرية، فسلموا الحكم بالوكالة لبعض القوميين العرب. وقد أدى اتجاه الحكام إلى تكوين الأمة بالفكر القومي واستبعاد الدين الإسلامي من أي دور في تكوينها، وبشكل خاص في نظام الحكم، إلى تعثر الدولة القومية في تعاملها مع الواقع. لأن الإسلام في حقيقة أمره عنصر أساسي في بناء الأمة، وهو متغلغل في كل حياتها النفسية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... فهذا الخطأ من القوميين العرب في التعامل مع الواقع جعل حكوماتهم من أسوأ الحكومات، في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. فتخلف هذه الدول وتفرقها وعجزها عن تحقيق أي هدف وعمالتها لدول أجنبية كان سببًا في هزيمتها أمام كيان يهود في أكثر من حرب. ونتيجة هذه الهزائم رضخت بعض الحكومات وطالبت بالصلح مع كيان يهود، بعضها علانية وبعضها سرًا. وأصبح يُنظر إلى جيش كيان يهود على أنّه الجيش الذي لا يقهر. ولم يكتفوا

بالصلح معه فقط، بل إنهم عملوا على حمايته من أي مقاومة. وهذا واقع نعيشه اليوم.

لقد جاءت عملية طوفان الأقصى المباركة من غزة العزة، فكان لهذا الطوفان أثر كبير في الأمة. فقد غير مفاهيم الكثير من الناس المسلمين وغير المسلمين. إذ شاهد العالم بأجمعه كيف نفذت ثلة من المسلمين في بقعة صغيرة يحاصرها كيان يهود والكيانات العربية العميلة عملية دقيقة على قلة الإمكانيات والكثير من التحديات، وكيف عجز العدو عن التصدي لها. وهذا يبين لنا قدرة الله ومعيته في غزة، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [سورة محمد: الآية ٧].

لقد كشف لنا هذا الطوفان حقيقة الجيش الذي لا يقهر، وبين لنا تقاعس هذه الأنظمة الخائنة عن واجب تحريك الجيوش لنصرة المسلمين وحماية المقدسات. ولم يكتفوا بذلك فقط، بل شكلوا سياجًا متينًا لحماية هذا الكيان والدفاع عنه ومنع أي عمل من الأمة للجهاد ضده. ومع ذلك تمكنت تلك الثلة المؤمنة من إيلامه.

ثم أتى بعد هذا الطوفان نصر آخر، وهو إسقاط طاغية الشام في وقت قصير لم يكن يتوقعه أحد، وطرد النفوذ الإيراني من بلاد الشام. إذ قدمت هذه الانتصارات أصدق نموذج للأمة في القدرة على هدم هذه الكيانات مهما تكالبت معهم أعداء الخارج وخيانة الداخل، وعلى معية الله تعالى في نصر عباده المؤمنين الصادقين. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٥].

فهذه الانتصارات ما هي إلا رسالة لنا لنشد الهمم في استكمال ما تحقق من انتصارات بإعادة تحكيم شرع الله وتحرير البلاد من الاستعمار. فيجب على الأمة في الوقت المعاصر توجيه نظرها والاستفادة من تجربة المسلمين السابقين والانتباه إلى تلك العوامل التي أدت إلى انتصارهم، من خلال التوجه إلى الوحدة وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي وبروز الوعي الديني والشرعي. فلا سبيل لنهضة هذه الأمة إلا بهدم هذا الكيان، ولا سبيل لهدم هذا الكيان إلا بإسقاط هذه الأنظمة الخائنة وإقامة دولة الإسلام وإعلان الجهاد في سبيل الله....

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يورثنا الأرض المباركة ويطهرها من رجس يهود، ويورثنا ديارهم وأموالهم وأسلحتهم، وإننا لنأمل من الله أن يجعلنا من شهود ذلك. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية فلسطين بين مخططات المستعمرين وتطلعات المسلمين

علاء أبو صالح- فلسطين

لم يكن نشوء قضية فلسطين نشوءاً طبيعيا منذ اللحظة الأولى، فهي ليست نتيجة احتكاك بين شعوب متجاورة، ولا خلافاً على الحدود أو صراعاً على الخيرات أو على الموقع الاستراتيجي، بل كان نشوؤها حلقة من مسلسل الصراع بين الحضارات القائم بين الغرب بمله المختلفة وبين المسلمين.

ففلسطين، ببيت مقدسها، كانت ساحة صراع حضاري منذ بزوغ فجر الإسلام فيها، فكانت ساحةً للحروب الصليبية، ومنتهى الحملات المغولية، وها هي اليوم ساحة المواجهة مع كيان يهود ومن ورائه الدول الغربية.

ولما كان نشوء هذه القضية مرتبطاً بصراع الحضارات، كان لا بد من فهمها في هذا السياق، فاحتلال فلسطين بعد هدم الخلافة ليس مصادفة، بل هو عمل مدروس، واختيار فلسطين لتكون موطنا لليهود تخطيط استعماري خبيث.

لقد أراد الكافر المستعمر أن يغرس كيان يهود كخنجر مسموم في خاصرة الأمة، ليحول دون وحدتها وإقامة خلافتها، وأراد كذلك أن يجعل من قضية فلسطين عامل إشغال وإلهاء للأمة عن قضيتها المصيرية، وباتت هذه القضية -في العلن والإعلام- هي قضية الأنظمة العربية المحورية، فأراد هؤلاء أن يشغلوا الأمة عن السعي لتحكيم شرع ربها، وعن خيانة حكامها، وعن ضياع ثرواتها وعن انحدار مكانتها بما كان يسمى قضية العرب الأولى، قضية فلسطين، وفلسطين منهم ومن مؤامراتهم براء.

لقد كانت هذه الأرض المباركة، بمسرى نبيها، ولا زالت، صخرة تتحطم على عتباتها مخططات الكافرين، فرغم الكيد والمكر إلا أن السحر انقلب على الساحر وردّ الله كيد الكافرين إلى نحورهم لم ينالوا خيرا. فمن فلسطين بزغت دعوة الخلافة، وغدت فلسطين منبّها للأمة بأسرها إلى مدى حاجتها للخلافة، وشاهداً حياً على قضية الأمة المصيرية، وها

هي أحداث «طوفان الأقصى» قد جاءت لتؤكد هذه الحقائق.

لقد عززت حرب غزة عدة مفاهيم جوهرية لدى الأمة الإسلامية، وأدركتها الأمة إدراكاً حسياً، وهي مفاهيم هامة في سير الأمة لاستعادة خلافتها وسلطانها المسلوب؛

- لقد وسعت حرب غزة الفجوة بين الأمة وحكامها، ولقد بان للأمة مدى خيانة حكامها وتآمرهم، بل هم لعدوها أقرب، بل هم في صفه وفسطاطه، لا فرق في ذلك بين حاكم وآخر، لا فرق في ذلك بين عبد الله الثاني وأردوغان، ولا بين السيسي وابن سلمان، فقد سقطت ورقة التوت عن سوآتهم، وانكشف حالهم للقاصي والداني، وأصبحت الأمة تدرك أن هؤلاء «الأغيار» هم سبب ما يلم بها من مصائب، وسبب ضياعها وسبب امتهان الأمم لها، فلقد شاهد المسلمون كيف عجز هؤلاء عن إدخال شربة ماء لأهل غزة طوال خمسة عشر شهرا، بل كيف أمدّ هؤلاء كيان يهود بالطعام والثياب والوقود في تصرف يندى له جبين كل حر.

إن هذه الحقيقة التي باتت مفهوماً راسخاً لدى الأمة هي تَخَطٍ لعقبة في طريق السعي لإقامة الخلافة، الخلافة التي ستقوم على أنقاض حكام الضرار، وتلك بشارة خير.

- كما عزز «طوفان الأقصى» وما تبعه من أحداث ثقة الأمة بنفسها وقدرتها على مواجهة القوى الغربية، فلقد شاهدت الأمة كيف تمكّن بضعة آلاف من أبنائها من تحطيم هيبة كيان يهود، هذا «البعبع» الذي كان الحكام يخوفون به المسلمين. فقد تمكنت فئة قليلة، فتية آمنوا بربهم، من تمريغ أنفه وأنف القوى الغربية التي تقف خلفه بالتراب، فكيف لو تحركت الأمة بكل طاقاتها في مواجهة أعدائها، وكيف لو تحركت جيوشها وفيالقها ودباباتها وطائراتها، وكيف لو تحرك جموع المسلمون وزحفوا زحفاً نحو الأرض المباركة؟! لا شك أنهم سيُنصرون بالرعب ولن تقوى أية قوة على ظهر البسيطة على الوقوف في وجههم.

- إن المعركة التي حصلت على أرض غزة لم يكن طرفها كيان يهود فحسب، بل من خلفه كل قوى الطغيان، وهو ما يؤكد حقيقة الصراع، وأن ملة الكفر تقاتل المسلمين وترميهم عن قوس واحدة، وأن ما يدور رحاه على ثرى الأرض المباركة هو حرب ضد الإسلام والمسلمين، ولقد أشار إلى ذلك رئيس وزراء كيان يهود «نتنياهو» بأنهم يخوضون حرباً دفاعا عن الحضارة الغربية ودول العالم الحر! فقد قال في كلمة له في الكونغرس

(نحن نخوض حروباً دفاعاً عن أمريكا ودول المنطقة)، وهذا يدعو المسلمين لإدراك طبيعة المعركة لتوحيد الجهود وعدم فقدان البوصلة والغرق في مخططات الدول الغربية ورمال الشرعة الدولية!

- رسخت هذه المعركة أهمية الجيوش في معادلة التغيير، وأن تهميشها وعزلها عن قضايا الأمة يعد مقتلاً وترسيخاً لواقع الذل والمهانة الذي يخيم على بلاد المسلمين، ولقد أدرك المسلمون في هذه الحرب مدى حاجتهم للجيوش لحسم المعركة والدفاع عن أهل فلسطين ومقدساتهم، وباتت الأصوات تتعالى بضرورة تحرك الجيوش، وهو ما يفسر احتفاء الناس بمحمد صلاح والجازي وغيرهم من الأبطال الذين كسروا قيود الذل وتحركوا فردياً نصرة لإخوانهم في غزة.

وكما أن هذه الجيوش لا بد أن تؤدي دوراً في الدفاع عن المسلمين ورد أي عدوان عليهم، هي كذلك يجب أن تنصر العاملين للتغيير وإقامة الخلافة، وذلك لأن أي تحرك عسكري لا بد أن يكون تحت مظلة قيادة سياسية مخلصة، وهذا لا يمكن أن يتوفر في ظل حكام الضرار، وإنما في ظل الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، التي تتبنى مصالح الأمة وتدافع عن حرماتها ومقدساتها وكرامتها ومكانتها بين الأمم. وهذا ما يخشاه المستعمرون، لذلك كانت كل دعوات الدول الغربية وأتباعها من الأنظمة منذ اندلاع الحرب تؤكد ضرورة عدم توسع الحرب، وذلك خشية التحام الجيوش بأمتها وتفلتها من عقالها.

- فضحت حرب غزة الحضارة الغربية وأظهرت نفاقها وزيفها، فالدول الغربية التي طالما أصمت آذاننا بحقوق الإنسان والمرأة والطفل رأيناها كيف ناصرت كيان يهود ودعمته دعما مطلقا في بطشه بالمدنيين والعزّل وتشريده للناس وتجويعهم، ففضح ذلك حقيقتها وزيف دعاويها.

هذه بعض الأفكار التي ترسخت بالواقع المحسوس لدى الأمة، وهي تؤكد على أن قضية فلسطين ستبقى منبهاً للأمة على ضرورة استعادة خلافتها.

لقد حق لفلسطين والخلافة أن يكونا توأمين لا ينفصلان، ففلسطين فتحتها الخلافة، وحررتها الخلافة، وحفظتها الخلافة، وبهدم الخلافة احتلت فلسطين، ومن أقصاها بزغت دعوة الخلافة من جديد، وبعودة الخلافة ستحرر بإذن الله من جديد، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

عملية طوفان الأقصى تدفع الأمة الإسلامية خطوات حاسمة نحو بناء دولة الإسلام

عصام الشيخ غانم- فلسطين

عملت الأحداث المفصلية عبر التاريخ بشكل فاعل ودائم على تشكيل العقلية السياسية للأمم، ولا توجد أمة عبر التاريخ مرت عليها الأحداث الكبرى مرور الكرام دون أن تؤصل فيها مفاهيم سياسية جديدة. وإذا كانت الأفكار والمبادئ تشكل العقلية السياسية كذلك، إلا أنها خاصة بالنخب الفكرية التي تبذل جهداً كبيراً لبلورة أفكارها ومبادئها، ولكن الأحداث المفصلية وما تبرزه من صورة العدو والصديق تعمل على تشكيل العقل الجماعي للأمة بشكل عملي، فالمفاهيم العملية التي تنطق بها الوقائع أقوى وأعمق تأثيراً في عموم الأمة ولا يمكن للأمة ونخبها تجاوز معانيها وآثارها، ومن هذا الباب لا نبالغ إن قلنا إن حرب طوفان الأقصى قد أحدثت من التغييرات في الأمة الإسلامية ما أحدثته الحربان العالميتان من تغييرات في عقلية الأوروبيين والأمريكان، تلك التغييرات التي بنيت عليها سياسات الدول لقرنٍ من الزمان، ولا تزال.

مقدمة

إن من سنن الله تعالى أن الأمم الضعيفة لا يمكنها القيام بأعمال قوية إلا إذا تغير حالها من ضعف إلى قوة، ولا يعرف التاريخ أن أمة قد أُخضعت لعقود على مسرح الاهتزاز والتوهين مثل الأمة الإسلامية، فكانت الثقافة التي يروجها الغرب بين شعوبها أنها آخر الأمم، وكان يبرز نجاحاته ويظهر فشلها في اللحاق به، وكان يبرز حاجتها الماسة لصناعاته وابتكاراته، وكان حكام المسلمين عملاء الغرب يخوضون الحروب الخاسرة واحدة تلو الأخرى، كالحروب المتعددة مع كيان يهود وحربي العراق وأفغانستان مع أمريكا وغيرها، ليتم في النهاية ترسيخ حالة الضعف والوهن عند الأمة وأنها لا تقدر على شيء.

وكان الحكام العملاء، ولا يزالون، يحاربون بشراسة كل محاولات إحياء الأمة بأفكار الإسلام، ويعلنون بأن حَمَلة الإسلام هم الفئة الضالة، وهم المتطرفون، وهم الإرهابيون. ولما قام المسلمون بثورات «الربيع العربي» على الحكام، سخّر الغرب كل إمكاناته لمنع التغيير والتفّ على الثروات وأعاد الأنظمة السابقة نفسها.

ولما شاء الله تعالى أن يباغت رجالُ غزة يهود ويجوسوا خلال كيانهم، أخذت سياسات الغرب تتساقط بتسارع غير منظور، وأخذت الأمة الإسلامية تستعيد عافيتها وصحتها بعدد كبير من عوامل القوة التي ترسخت وتعمقت خلال شهور الحرب الطويلة، وفي هذا المقال نقوم بتفصيل هذه العوامل وبيان عمقها وتأثيرها على مستقبل الأمة في السنوات القليلة القادمة.

النجاح يوم ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣

وما تلاه

حين تمكن قرابة الألف من المقاتلين الفلسطينيين الذين جُبلوا بالعقيدة الإسلامية من اقتحام كيان يهود من بوابة قطاع غزة، وأثخنوا في يهود الجراح، سقطت أسطورة جيش يهود الذي لا يقهر، فكانت هذه رسالة شديدة الوقع على جيوش المسلمين بأن تحرير فلسطين ليس مستحيلاً، بل قد يكون سهلاً للغاية.

ولما حشد يهود قرابة نصف مليون جندي مدججين بأحدث أنواع الأسلحة الجوية والبرية والبحرية للانتقام من قطاع غزة زاد ضعفهم، إذ إن هذا الجيش الكبير المدجج قاتل قرابة خمسة عشر شهراً في بقعة جغرافية صغيرة ومحاصرة، بل ومخنوقة من شدة الحصار الذي شمل قطع المياه والغذاء والدواء، ولم يتمكن من القضاء على المقاومة التي ظلت تسدد في جسده الجراح حتى آخر لحظة، وهكذا فقد زادت ثقة الأمة الإسلامية بنفسها، فكيان يهود عجز عن تحقيق النصر المطلق، وعجز عن أخذ أسراه من غزة بالقوة، وعن القضاء على المقاومة التي كان من أعظم أسلحتها سلاح عقيدة الإسلام.

وهكذا اكتشفت الأمة الإسلامية عظمتها وأنها قادرة على القتال، وأن عدوها عاجز عن النصر عليها، فإذا كان يهود بحاجة لقرابة نصف مليون جندي للسيطرة على ساحة صغيرة بحجم قطاع غزة، فإنه بحاجة لعشرات ملايين الجنود للسيطرة على ساحة بحجم بلاد الشام، وهذه الملايين ليست متوفرة عنده، ولا عند أمريكا، بل وليست متوفرة عند دول الناتو كلها، بمعنى أن أي حرب مع دول الكفر في بلاد الشام سينتصر فيها المسلمون حتى لو أتى للقتال بجانب يهود كل دول الناتو.

وقد يقول قائل بأن كيان يهود نجح في فرض إرادته على حزب إيران في لبنان، بل وعلى إيران نفسها خلال الحرب، نقول نعم، هذا صحيح بقدر ما، ولكن مرده إلى أن إيران لا تريد خوض الحرب، وحزبها كان يخوض الحرب متردداً مكتفياً بالمناوشات الحدودية حتى فرضها يهود عليه فرضاً في أيلول ٢٠٢٤، فلم تكن حربه ظافرة، بل إن إيران كانت تخذله، هذا فضلاً عن ضعف العقيدة الإسلامية لديه بعد خوضه سنوات من الحرب في قتل المسلمين السوريين، بمعنى أن إيران وحزبها اللبناني لم يخوضا الحرب بدافع العقيدة الإسلامية كما يخوضها مجاهدو غزة، بل إن هذا بحد ذاته درس آخر، بأن الحرب الظافرة إنما تكون حين تخاض باسم الله وفي سبيل الله.

حقيقة أن العقيدة أقوى من التكنولوجيا:

لم تشهد حروب الدنيا كلها عبر التاريخ حرباً كحرب غزة، فهذه هي الحرب الكبيرة الأولى بهذا المستوى من حيث خلل ميزان القوى بين الطرفين لدرجة المقارنة الصفرية، فتقويمات العلوم العسكرية لا تكاد تلحظ ما لدى المقاومين الفلسطينيين من سلاح خفيف، وربما تعتبره غير موجود أمام طائرات الشبح وطائرات الاستطلاع لكيان يهود ونظيراتها الأمريكية والبريطانية والألمانية التي جاءت لترصد مع يهود أي تحرك في قطاع غزة، وعشرات الآلاف من الجنود اليهود في كل بقعة من قطاع غزة

مدججين بأحدث التقنيات العسكرية وأشدها فتكاً، وقطاع غزة محاصر من كل النواحي ولا يدخل إليه شيء، وفي المقابل جسور جوية من أمريكا لا تنقطع وتزود كيان يهود بسبعين ألف طن من الذخيرة والسلاح، وكذلك ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا وصربيا والهند.

في ظل هذا الخلل الهائل وغير المسبوق قط عبر التاريخ يكبد المقاتلون في غزة جيش يهود خسائر فادحة في العدد والعتاد، وقد سبب ذلك إرباكاً هائلاً لقادة الجيش وخطط جنرالاته، وطالب وزير المالية باستقالة فورية لرئيس هيئة الأركان، وقد تحدث رئيس أمريكا بدهشة بالغة عن الأنفاق التي تمكنت المقاومة في غزة من بنائها والتحصن بها والانطلاق منها للعمليات التي فتكت بجيش يهود.

وفي ظل هذه الظروف فإن أكبر عوامل القوة التي كان يمتلكها المقاتلون هي العقيدة الإسلامية، والتي تجلت في الانتشار الواسع للناحية الاستشهادية وعدم مخافة الموت، فالمقاتل يواجه دبابات يهود من المسافة صفر والطائرات المسيرة فوق رأسه، بمعنى أن العقيدة الإسلامية الراسخة في قلوب المقاتلين هي من قاتلت التكنولوجيا وأفشلتها، وقاتلت أشد أنواع الأسلحة فتكاً وحيّدتها، فتكون حرب غزة قد أبرزت وبشكل صارخ قوة العقيدة الإسلامية في القتال والصمود.

وبهذا كله فإن ضباط الجيوش في البلاد الإسلامية والذين يتداولون اليوم أخبار الحرب باعتبارها خبزهم اليومي والأكاديمية المفتوحة للتعليم العسكري، هؤلاء اليوم يرون بأن العقيدة الإسلامية قد أحبطت التفوق العسكري وكسرت تكنولوجيا الغرب، وباتوا اليوم مقتنعين بصورة عملية بأن الغرب إذا كان يمتلك التكنولوجيا والأسلحة الفتاكة فإن المسلمين يمتلكون العقيدة الإسلامية، وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد منعت يهود من الانتصار في بقعة غزة الصغيرة فإن توسع الحرب مع أمريكا ويهود والغرب لساحة أوسع مثل بلاد الشام أو مصر سيجعل تكنولوجيا الغرب وأسلحته تضيع ولا تظهر إلا بالمجهر أمام طوفان العقيدة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى أن جيوش المسلمين ليست خاليةً من السلاح الفتاك الذي يمكّن الأمة من تحقيق نصر حاسم إذا ما التحم بالعقيدة الإسلامية.

ويدرك الضباط في جيوش المسلمين اليوم بأن تقوية هذه الجيوش وجعلها عظيمة ليس بحاجة إلا لوضع العقيدة الإسلامية داخل الجيوش، وهذا أمر سهل متيسر لأن الجنود والضباط مسلمون، ولا يمنعهم من ذلك إلا الحكام الذين يحاربون الدين والصلاة واللحى داخل الجيوش لضمان ولائها لهم ولأسيادهم في واشنطن وأوروبا.

وإذا كان هذا النصر العسكري المنتظر للمسلمين لا يمكن تصوره إلا بقتال يهود وتحرير فلسطين فإن الحكام هم العائق الوحيد أمام انطلاقة الجيوش لتحقيق النصر، لذلك فإن الوصول إلى النصر غير ممكن إلا بإسقاط هؤلاء الحكام، ولما كان إسقاط حاكم واستبدال حاكم مثله به لا يغير شيئاً فإن القناعة بعد تجارب «الربيع العربي» قد ترسخت بأن نظام الحكم

يجب أن يسقط كلياً، ويجب أن يوضع مكانه نظام جديد يحمل العقيدة الإسلامية، أي بناء دولة الإسلام، والتي هي عينها دولة الخلافة الثانية التي وعدنا الله سبحانه وبشرنا بها نبينا محمد ﷺ «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**».

الصبر والصمود في قطاع غزة:

كان مما لا تخطئه العين طوال شهور الحرب في قطاع غزة صبر الناس وصمودهم أمام آلة القتل اليهودية، وظلوا صابرين محتسبين ولم يغادروا مناطقهم وأفشلوا مخططات يهود لتهجيرهم، والتي كان أبرزها خطة الجنرالات في شمالي القطاع. وهذا الصبر الضارب في العمق لم يكن مرده إلا العقيدة الإسلامية، بل إن كثيرين من أهل الغرب قد توجهوا للإسلام الذي يمنح البشر تلك الدرجة العالية من التحمل والأمل.

وبهذه الدرجة العميقة من التحمل بسبب رسوخ العقيدة الإسلامية فإن قادة الإسلام يمكنهم خوض الحروب الطاحنة ومن ورائهم أمة لا تبالي بالتضحيات، وهذا ما يجب على الضباط التقاطه بأن الحروب الأولى التي ستخاض ضد الغرب والتي يمكن أن تكون طاحنة بدرجة حرب غزة يمكن لأمتهم تحمل خسائرها وتضحياتها في سبيل الله، وكل ما يجب فعله في هذا الاتجاه هو تعزيز العقيدة الإسلامية في نفوس الأمة وشعوبها كما كانت غزة نموذجاً.

وقوف الغرب صفاً واحداً مع كيان يهود ضد غزة:

قتلت أمريكا منذ حربها على العراق سنة ٢٠٠٣ مليون عراقي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بتخطيطها وتنفيذ أدواتها المحلية والإقليمية، وقتل عميل أمريكا بشار أكثر من مليون سوري، وكان ذلك بنصائح أمريكا وتوجيه منها، وقتلت أمريكا مئات الآلاف من الأفغان منذ احتلال أفغانستان سنة ٢٠٠١، وقتل يهود مئات الآلاف في فلسطين ولبنان، وكل هذه الضحايا لم تستحق كلمة رثاءٍ من أمريكا وأوروبا. لكن عندما هاجم مقاتلو غزة كيان يهود وقتلوا ألفاً من يهود شبّه الغرب ذلك بالمحرقة والهولوكوست، وتقاطر قادته لكيان يهود لرثاء الضحايا؛ فوزير خارجية أمريكا بلينكن صرح بأنه جاء بوصفه يهودياً، ورئيس أمريكا بايدن صرح بأنه جاء بوصفه صهيونياً، وطالب رئيس فرنسا ماكرون بتشكيل تحالف دولي ضد حركة حماس، وكذلك ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وباقي الدول الغربية.

وفضلاً عن الجسر الجوي المفتوح الذي أنشأته أمريكا، ومعها دول أوروبا الغربية، وصربيا والهند، وطوال فترة الحرب التي سكت فيها الغرب عن مذابح يهود ضد أهل غزة والتي يندى لها جبين البشر فقد استمرت اللازمة لكل أحاديث المسؤولين الغربيين لا تنقطع وبكل وقاحة؛ «حق (إسرائيل) أن تدافع عن نفسها»، و«يجب على حماس إعادة الرهائن»، حتى بات ذكر الغرب يثير الاشمئزاز في نفوس المسلمين.

إن ما يدعيه الغرب من حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة لم يدفعهم لحماية أطفال غزة من الذبح، ولم يدفع عن نساء غزة الموت والجوع، ولم تكن للإنسان في غزة أية حقوق، وهذا كله أوجد قناعة راسخة

لدى المسلمين بأن العلاقة مع الغرب هي علاقة حرب.

وقد كان تصدي الغرب للمظاهرات التي اندلعت في مدنه تطالب بحماية أهل غزة دور كبير في التحام الجاليات المسلمة هناك بأمتها، فوزيرة داخلية بريطانيا سمّت تلك المظاهرات بـ»الكراهية»، وأما ألمانيا فقد قمعتها قمعاً شديداً وأسقطت ما تدعيه من ديمقراطية وحرية الرأي، وكذلك فرنسا وباقي الدول الأوروبية التي رأت في تلك المظاهرات نهوضاً للجالية المسلمة وتأثيرا على ذوي القلوب الرحيمة من أبناء الغرب، فمن يقف ضد مذابح يهود في غزة هو إرهابي ويناصر الإرهاب، وهو معاد للسامية، ويجب قمع صوته، وقد رأينا قسوة قوات الأمن في أمريكا في التعامل مع المظاهرات الطلابية داخل الجامعات، وكيف كشرت عن أنيابها وتخلت عن ديمقراطيتها، وكأنها تقول إن حرية التعبير هي حرية حرق المصحف الشريف وحرية الإساءة للنبي الكريم ﷺ.

وهكذا فإن حرب طوفان الأقصى التي جاهر فيها زعيم يهود نتنياهو بأنه إنما يحارب نيابةً عن الغرب في خط الدفاع الأمامي ضد المسلمين، قد نفضت كل الغبار عن العلاقات الإسلامية الغربية وكشفت أنها علاقات حربية ليس إلا، وكل ما سواه كان خدعة من الغرب، وهذا من فضل الله تعالى، ومن بركات غزة والأرض المباركة فلسطين، وأن المسلمين صاروا يقابلون الغرب بالنظرة العدائية نفسها التي ينظر بها الغرب للمسلمين، وهذا له ما بعده في تعزيز رفض المسلمين للعلاقات التي يفرضها الحكام مع الغرب، من تبعية وصداقة وودّ واتباع، ورفض القائمين عليها من الحكام والاستعداد ووضع الخطط لخلعهم ووضع الإسلام في الحكم.

عداء الحكام في البلاد الإسلامية لأمة الإسلام:

صحيح أن «الربيع العربي» أظهر درجة عالية من العداء بين الأمة وحكامها، لكن الأصح بأن جزءاً من الأمة، وإن قلّ، كان يناصر هؤلاء الحكام لمصالح له معهم، أو لكونه من الحزب الحاكم، فانطلت عليه عملية التفاف الغرب على «الربيع العربي» الذي وضع سيسي بديلاً لحسني، وحفتر بديلاً لقذافي، وهكذا، إلا أن حرب غزة بما كشفته من التحام الحكام مع كيان يهود لم تُبقِ ولم تذر، بل طالت الفئة القريبة من الحكام الذين رأوا تآمر هؤلاء الحكام على أهل غزة.

فمن كان يتصور بأن الإمارات ستمد كيان يهود بطائرات محملة بالذخيرة تهبط في مطارات النقب، وقد كشفت ذلك صحف كيان يهود؟! ومن كان يتصور أن يضطر زعيم يهود نتنياهو للبوح بأن كل «دول المنطقة» تريد القضاء على حماس وغزة؟! ومن كان يتصور أن نظام بشار الذي مدت له حماس يدها قام بإعدام ٩٤ من أعضائها في سجون سوريا؟! ومن كان يتصور أن يهود يحصلون على معلوماتهم عن الإيرانيين في سوريا وحزب إيران اللبناني من النظام السوري؟! ومن كان يتصور أن السيسي يتفاوض مع يهود لشطب بنود اتفاق كامب ديفيد الخياني وتمكين يهود من دخول ممر صلاح

الدين «فيلادلفيا» وتمكينه من ضرب المقاومين في منطقة رفح؟! ومن كان يتصور أن حاكم بلاد الحرمين يتحدث عن التطبيع مع كيان يهود أثناء مذابح الكيان في غزة؟! ومن كان يتصور أن أردوغان تركيا الذي ملأ الدنيا جعجعةً وآمنت به «الحركات الإسلامية المعتدلة» وأنه يناصر فلسطين أنه كان يمد طائرات يهود بالوقود الأذري الذي يعبر من أراضيه وكذلك الإمدادات الأخرى، وعندما أعلن قطع التجارة مع كيان يهود استمرت عبر أطراف ثالثة؟! وهكذا سقط الحكام كلهم دفعة واحدة، وبعد السقوط المروع لنظام بشار أسد استدعت مصر رئيس هيئة أركان يهود ومُديري أمنه للبحث في حماية النظام المصري، وكذا دول الخليج، (رئيسا أركان الجيش (الإسرائيلي) والشاباك زارا القاهرة بشكل عاجل، أمس، بطلب من مصر. ويرجح أن يزورا عواصم عربية «وخاصة في دول الخليج»، بادعاء أنهم «بدأوا يشعرون في الشرق الأوسط بهزات ارتدادية» للزلزال في سوريا،...، وكان القلق المصري هو سبب طلبهم عقد لقاء عاجل مع هليفي وبار، اللذين التقيا لساعات نظراءهما المصريين، حسبما ذكرت صحيفة معاريف اليوم، الأربعاء،...، وأردفت الصحيفة أن «التخوف الآن هو أن عددا كبيرا من الجماعات، بين اللاجئين السوريين وكذلك معارضي الأنظمة في أنحاء الشرق الأوسط، سترفع رؤوسها، من الأردن والعراق وحتى انتفاضة متجددة للإخوان المسلمين في السعودية والبحرين والكويت، وفي مصر أيضا». عرب ٤٨، ٢٠٢٤/١٢/١١)

وقد وقف هؤلاء الحكام سداً منيعاً أثناء حرب طوفان الأقصى لمنع جيوشهم من نصرة غزة، وقاموا بملاحقة كل من يظهر عليه توجه لذلك. وقد ركز نظام السيسي على أن مسؤولية جيش مصر هي حماية المصريين، وكذلك وقف الجيش الأردني ليصد أي محاولة من أي فرد لاقتحام الحدود وضرب يهود، وهذه المواقف كانت في مقابل الشعور الشعبي العارم بأن الأمة أمة واحدة، وأن عدوها واحد، ولكن الحكام كانوا يخذّلونها عن نصرة غزة ويمنعونها من ذلك، ويتخذون كل أشكال القمع ضد من يحاول التحرك لنصرة غزة، ومن شدة ذلك كانت المظاهرات المناصرة لغزة في المدن الأوروبية والجامعات الأمريكية أكثر قوةً من نظيراتها في البلاد الإسلامية.

وقد أحدث هذا صدمة شديدة عند المسلمين عندما شاهدوا عمق تخاذل حكامهم وتآمرهم وشدة عدائهم، فقد اكتشفوا أن كل حكامهم من أردوغان إلى خامنئي إلى السيسي إلى حكام النفط وكل الباقي معهم، لا يساوون كيس شعير في الحلبة الدولية، وأن اتصالات بعضهم ببعض واجتماعاتهم وقممهم وزياراتهم الدولية وبال حقيقي على الأمة، بل إن مردودها سلبي وشديد القتامة، فما من حركة يتحركونها إلا وترتد تضييقاً وقمعاً على المسلمين ومزيداً من الفقر في بلادهم.

خلاصة

ويمكن القول إن صدمة حرب الطوفان لدى الأمة الإسلامية قد حملتها حمل الضرورة على التخطيط القريب للتخلص

من هؤلاء الحكام وخلعهم، وعندما تشتعل الأمة وتثور فإن الحبل سيلتف حول أعناق الحكام، ولعل هؤلاء الحكام وبعد صدمة غزة يشاهدون المشاعر المعادية لهم تتسرب إلى محيطهم، لذا تراهم يستنجدون بمديري الأمن في كيان يهود للدفاع عنهم.

ولكن الأمة اليوم وفي ظل كل الظروف التي أنتجتها حرب طوفان الأقصى، وعمقتها بالمشاهدات والمواقف الفعلية، وصارت مفاهيم عملية دافعة لها، فهي اليوم لا ينطلي عليها تبدل الحكام، بل تريد إسقاطاً فعلياً للنظام.

وبما أن هذه الأنظمة القائمة هي جزء من الغرب فإن إظهار العداء للغرب هو جزء لا يتجزأ من عملية إسقاط النظام، بمعنى أن التغيير الذي تخطط له الأمة اليوم هو تغيير ذاتي أولاً، فلا تنسق بشأنه لا مع حاكم تركيا ولا مع أمراء المال في قطر والسعودية، فهي تريد تغييراً على أساس الإسلام، وبناء دولته من جديد، وتتوق إلى استئناف الحياة الإسلامية وإقامة الخلافة وتحطيم الحدود.

وإذا كانت رأس الكفر أمريكا، ومعها دول الكفر الغربية، تقتل المسلمين بالملايين كما في العراق وأفغانستان وسوريا ولبنان وفلسطين، وغيرها، فإن الأجدر أن تكون هذه التضحيات من الآن فصاعداً خالصةً في سبيل الله، فدماء أبناء الأمة لا يجوز أن تذهب هدراً، بل يجب أن توجه لتحقيق أهداف الدين بشكل مباشر، وعندها لا يندم المسلمون على أرواح تعرج لربها أثناء إخراج القواعد العسكرية الأمريكية من بلاد المسلمين، ولا يندمون على الشهادة من أجل تحرير فلسطين والقضاء على يهود قضاءً مبرماً، وفتح المسجد الأقصى لكافة أبناء الأمة الإسلامية للصلاة فيه، ولا يندمون على الشهادة في سبيل فتح البلدان الأوروبية وفتح روما ونشر الإسلام والعدل بين هذه الأمم التي تنشر دولها بيننا الظلم والظلام والقذارة.

وعندها تصبح أمة الإسلام بعقيدتها وصدق دينها عَلَماً يرشد أمم الأرض إلى الهداية وتصبح أمة مرهوبة الجانب، وما ذلك على أمة الإسلام ببعيد، فإذا كانت زمجرت لبضعة أيام فأخرجت بشارا ونظامه من حياتها بعد أن أذاقها ألوان العذاب فإنها قادرة في بضعة أيام أخرى على أن تخرج أهل مصر من غيبوبة العمالة والمهانة التي يفرضها نظام السيسي، وأن تخرج أهل نجد والحجاز من مجون ابن سلمان وعمالته، فتغدو الأمة الإسلامية بشامها ويمنها وجزيرتها وعراقها ومغربها ومعها باقي ديار الإسلام أمة واحدة لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، أمة تفتح البلدان وتنشر الهداية والعدل بين الأمم، ولا يقف في طريقها أحد، فكلما زمجرت تزلزلت الأرض من حولها وتصدعت الجبال لما تحمله الأمة من رسالة القرآن، وانهارت الجيوش من أمامها وفُتحت لها آفاق كانت قبل قرون تُفتح لأجدادها بسهولة ويسر، وإن غداً لناظره لقريب. ■

المحور الرابع

مكانة العلماء ودورهم المنشود

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور العلماء ٩٣
- سلطة العلماء وحيويةالأمة الإسلامية ٩٧
- هل أدى العلماء دورهم المنشود في أحداث طوفان الأقصى وفي قضايا لأمة؟ ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور العلماء

أ. أكرم ناجي- اليمن

إن الله سبحانه وتعالى أناط بجميع المسلمين تطبيق أحكام الإسلام كلها، وأمرهم بالمحافظة على عقيدته وتطبيق أحكامه ونشرها للعالم أجمع، وسمى هذا بالمعروف وبالخير، وفي المقابل نهاهم عن كل أمر محدث ليس من الإسلام، وأمرهم بملاحقة كل فكر دخيل حدث أو سيحدث، وسمى هذا نهيا عن المنكر، وكانت أمةُ محمد ﷺ خيرَ الأمم وأفضلها على الإطلاق، لتشرّفها بحمل هذه المهمة، مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

فما نالت أمة محمد ﷺ هذا الشرف وهذا الوسام إلا لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله، ومتى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سقطت الأمة من هذه المرتبة، وسُحب منها هذا الوسام وهذا الشرف واستحقت النار، قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل، ونحن مأمورون به، قال ﷺ ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)). وهو عمل لا بد أن يسبقه علم، وأن يكون هذا العمل بحسب العلم الشرعي، وإلا لما كان العمل عبادة، وإلا فكيف يأمر بالمعروف من يجهله؟ كيف يأمر به وهو فاقده «وفاقد الشيء لا يعطيه»؟ وكيف يُتصور نهي عن منكر ممن لا يعرف ما هو المنكر؟ فالعبادة هي الأصل والعلم لازم لها. فبعد أن يحصل العلم بالشرع لا بد له من عمل. ونحن بصدد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن نبين الجهات التي أنيط بها واجب القيام بالدين حتى يتسنى لنا أن نعرف الجهات التي أُنيط بها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن القيام به يعني تطبيق الأحكام الشرعية.

والأحكام الشرعية يجب على كل فرد القيام بها، كالصلاة والصيام وكافة الواجبات الشرعية، وأن يبتعد عن كل محرم ومحظور نهى الشرع عنه. ولكن هناك أحكام لا يقوم بها إلا الخليفة أو الأمير، ولا يجوز لغيره أن يقوم بها، كإقامة الحدود وإعلان الحرب أو الصلح مع الأعداء، وتبني بعض الأحكام الإلزامية لرعاية شؤون الأمة. ومنها ما هو منوط بالخليفة ويجوز للأفراد القيام به في بعض الحالات. ومنها ما هو منوط بالأفراد وإن قصروا قام به الخليفة، كرعاية الشؤون الفردية من نفقة وغيرها، ومنها ما هو منوط بالجماعة، كمحاسبة الحكام والعمل لإقامة دولة الإسلام والتصدي لكل حاكم ظالم أو فاسد. وإذا تبين لنا من هو الذي أنيط به واجب القيام بالدين سيتضح لنا من

أنيط بهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالمجتمع بأفراده وحكامه وجماعاته كل صنف يقع على عاتقه مهمة القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالإسلام من حيث التطبيق لم يوكل إلى جهة واحدة بل حدد لكل جهة عملها وواجبها، فعندما تعي كل جهة وتفهم ما أنيط بها وتطبقه وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر عندها فقط يُقام الإسلام كما أُريد له أن يُقام.

وهنا يأتي السؤال، أين موقع العلماء من هذه الجهات؟ وما دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

والجواب هو أن العلماء لهم موقع مهم وحساس في الأمة الإسلامية، فهم فئة مميزة لما حباها الله سبحانه وتعالى من المكانة والقرب عنده، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾. كيف لا وهم ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر، فضلا عن أن العلماء هم أكثر خشية لله من غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، والعلماء هم حجة الله في الأرض، وهم من أمرنا الله أن نسألهم إذا أشكل علينا حكم شرعي أو جهلنا أمراً أو حدثت حادثة، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فهم أكثر الناس فهماً للنصوص الشرعية وأكثرهم غيرة على الإسلام وأحكامه. فكم حكى لنا التاريخ من وقفات بطولية للعلماء عندما حاول أعداء الإسلام تشويه الإسلام وتحريف عقائده وأحكامه أو غزوه والاعتداء عليه. فاسألوا التاريخ عن الإمام البخاري وعن الإمام أحمد وعن الإمام الغزالي، ولا تنسوا سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام الذي تصدى للمغول والتتار، فصفحات التاريخ تزخر بما سطره علماء المسلمين وكيف انبروا للوقوف في وجه أعداء الإسلام، فمداد العلماء يوزن بدماء الشهداء يوم القيامة.

وأما دورهم في المجتمع فمما ورد في الأثر: (صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس; العلماء والأمراء). فالناس بطبيعتهم يميلون إلى تبجيل أهل العلم واحترامهم، لما يلاحظونه عليهم من تقوى وخشية وعلم، فهم محل نظر العامة والخاصة والمحبين والمبغضين.

وقد كان العلماء يصدعون بالحق ولا يخشون لومة لائم، وكانوا ممتثلين قوله تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**}. وكانوا مع تصديهم للهجمات التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين كانوا إلى جانب ذلك يصدعون بالحق في وجوه الحكام والسلاطين، ويزجرونهم، ويقفون في وجه الظالم ويردعونه، ولا يخافون من بطشه ونقمته عليهم، فكان الحكام يخشونهم ويتوددون إليهم حتى وصل الحال ببعض الحكام أن أمروا جندهم وحاشيتهم إذا رأوا عالماً يسير نحو قصر السلطان ومجلسه بأن يخبروا الحاكم بقدوم العالم قبل أن يصل فيتهيأ لكي لا يراه العالم على غير ما ينبغي. وما تقبل الناس شيئا جديدا ولا استساغوه إلا لأن عالماً قال به وقبله، وما استطاع الحكام ولا الغرب ولا غيرهم أن يُدخلوا إلى الناس شيئا جديداً إلا من طريق العلماء.

ففهم الحكام هذه المكانة التي لدى العلماء وخاصة في زماننا، فاستمالوا ضعاف الإيمان منهم، وقربوهم إليهم، وجعلوا لهم مكانة بين المجتمع، وأغدقوا عليهم العطايا والأموال، وصدروهم للمجتمع على أنهم علماء يفتونهم بما يرضي السلطان، ويُحلون لهم ما أحله السلطان، ويعمدون إلى النصوص فيلوون أعناقها، ويُخضعونها لأهواء الحكام والسلاطين، كل ذلك حباً في الدنيا وإيثارا للمصلحة الشخصية على الدين والشرع، ونسوا أن ما عند الله خير وأبقى، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

أيها العلماء:

كيف سولت لكم أنفسكم وغرتكم حتى أقدمتم على التخلي عن شرع ربكم ونظام دينكم ونهج نبيكم؟ ألم تعلموا لمن السيادة في الإسلام، فرضيتم بأن تكون للشعب بدل أن تكون لله؟ ألم تعلموا كيف كانت دولة نبيكم ﷺ التي أقامها، فرضيتم بهذه الدول المتفرقة؟ ألم تعلموا أن رعاية الشؤون وإصلاح الرعية وحمل دعوة الإسلام هي من واجبات الخليفة؟ كيف سكتم وأنتم تنظرون إلى الناس وهم يموتون جوعاً وجهلاً ومرضاً وفقراً ولم تقوموا إلى الحكام لتأمروهم بأن يهتموا بشؤون رعاياهم؟ أم نسيتم قول نبيكم ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)؟ ألم يأمركم شرعكم ودينكم أن تقوموا إلى الحاكم الظالم وتردعوه عن غيه وظلمه؟ قال ﷺ: (لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحق أطراً، ولتقصرنَّه على الحق قصراً) رواه أبو داود والترمذي.

أم تراكم خفتم من نقمة الحكام عليكم ونسيتم قوله ﷺ: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) رواه الحاكم. ألم تعلموا (أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) رواه بن ماجة والنسائي.

أيها العلماء:

إن ما يتكبده المسلمون اليوم من شتات ودمار وجوع وإفقار وضعف، وما يلاقونه من حكامهم أنتم من تسبب فيه، وكان لكم الحظ الأكبر من وزره، لأنكم شاهدتم الظلم وتعطيل أحكام الشرع ولم تصدعوا بكلمة الحق في وجه الطغاة، بل ولم يكفكم ذلك، بل انبريتم تدافعون عنهم وتضفون عليهم الشرعية، وتبررون ظلمهم وتفريقهم المسلمين ضمن دول وحدود سايكس بيكو، وتضفون الشرعية على النظام الديموقراطي وفكرة الحكم للشعب بدلا أن يكون لله، ولويتم أعناق النصوص الشرعية لهواكم وهوى حكامكم. ولكن الرسول ﷺ أعطى فيكم الحكم فقال: (من أتى أبواب السلطان افتتن)، وقال: (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان).

أيها العلماء:

لقد اختاركم الله سبحانه وتعالى لتحملوا أعظم الأمانات وأكبر المسؤوليات على عاتقكم، ألا وهي نقل العلم والبيان وإرشاد الأمة إلى طريق الحق. أنتم ورثة الأنبياء، الذين حملوا رسالة الله إلى الناس، فمهمتكم عظيمة ومصير الأمة الإسلامية في أيديكم. لذا فإن من واجبكم، بل ومن أعظم مسؤولياتكم، أن تَتصَدّوا للباطل وتُبيّنوا الحق، فأنتم الحصن الحصين ضد الفتن والظلم الذي يحيط بهذه الأمة.

إن الأمة الإسلامية اليوم تواجه أمواجًا من الفتن والضلال والفساد في شتى المجالات، وعلى رأسها غياب دولة الإسلام والتخلي عن الشريعة. وفي هذا السياق، فإن دوركم أيها العلماء في مقاومة الباطل وإرشاد الأمة إلى الحق هو دور أساسي لا يجوز لكم التخاذل فيه. فالأمة تنتظر منكم أن تكونوا أئمة هداية، وأن تتحملوا مسؤوليتكم في مواجهة المنكرات التي تهدد عقيدتها ونظامها وأحكامها.

أيها العلماء:

في هذا الزمن الذي تزداد فيه الفتن والاختلافات والتفرقة والشتات، وتحت وطأة الأنظمة الفاسدة التي تروج للباطل، يجب عليكم أن تكونوا في مقدمة الصفوف للدفاع عن الشريعة والحق. إن مسؤوليتكم عظيمة في هذا الزمان، فيجب أن تكونوا حراسًا للشريعة، وأن تُوجهوا الأمة نحو الحق، وأن تُبصروها بالطرق الشرعية للتغيير. فالأمة تسكت إذا سكت العلماء، ولكن إذا تكلموا وبيّنوا الحق فإن الأمة ستسير خلفهم. أنتم ورثة الأنبياء في توضيح الحقائق، وبيان الشريعة ودحض الباطل، لا يجوز لكم أن تقفوا مكتوفي الأيدي أمام المنكرات التي تهدد الأمة. فكما أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يقيمون الدعوة والعدل في الأرض، فإن علماءنا اليوم هم الذين يجب أن يحملوا الراية في هذا المجال، وعليهم أن يصلوا بالأمة إلى القمة والريادة ويعلموها كيف تميز بين الضلال والهدى.

لقد بيّن الله عز وجل في القرآن الكريم أن العلماء هم الذين يجب أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر وأن يُرشدوا الأمة إلى الحق. وقد أوجب الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية التعاون على البر والتقوى، والتصدي للباطل بكل أشكاله، سواء كان فكريًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا.

قال الله تعالى: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب جماعي على الأمة، ولكن علماء الأمة هم الذين يقودون هذا الواجب. فأنتم الذين تملكون العلم الشرعي الذي يميز بين المعروف والمنكر، وعليكم أن تكونوا في المقدمة في مقاومة الباطل والفساد الذي يظهر في أنظمة الحكم.

إن مسؤولية العلماء في التصدي للباطل هي مسؤولية دينية لا يجوز التفريط فيها. فأنتم أئمة الأمة وحراس الشريعة. والأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إليكم لتبينوا لها الحق وترشدوها، فمن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم. إن الأمة حتى تُمكّن في الأرض تحتاج أن يعود العلماء إلى دورهم الريادي في قيادة الأمة نحو إقامة الخلافة التي تطبق الشريعة الإسلامية في الداخل وتحملها إلى العالم بالدعوة والجهاد.

أيها العلماء:

لا ترضوا لدينكم أن يكون محصوراً في المساجد والزوايا. ونحن في حزب التحرير ندعوكم من منطلق قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ إلى العمل معنا لإقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وهي الكفيلة بأن تعيد للإسلام مجده كما كان في سابق عهده، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطة العلماء وحيوية الأمة الإسلامية

عصام الشيخ غانم- فلسطين

إن أمم الأرض عموما تحترم العلم والعلماء. ويُشهد لعلماء الغرب في حقبة عصر النهضة في أوروبا بأن آراءهم العلمية في العلوم والفلك مع ما تعرضوا له من اضطهاد قد خلقت ظرفاً أوجد الاستياء لدى الناس وأسهم في الثورة التي أطاحت بنظام الإقطاع والكنيسة، لكن لم يكن لكل عالم منهم مريدون وأتباع. أما الأمة الإسلامية فتكاد تنفرد بين الأمم بما توجده ثقافتها فيها من حيوية فريدة من نوعها تجعلها كالشامة بين الأمم. فكان تأثير العلماء في الإسلام أمرا مختلفا، يجدر تسليط الضوء عليه وبيان كيف أنه تحول إلى سلطة على الناس يخشاها الحكام ويحسبون لها حساباً كبيراً.

ولعل في بيان ذلك ما يكشف جانباً من الحياة الإسلامية ويضيء ركناً عظيماً من أركان الأمة الإسلامية التي كانت ودولتها حقيقة واقعة لقرون، ثم صار لزاماً علينا اليوم تصورها في الذهن بشكل أقرب إلى التصاميم الهندسية حتى يسهل بناؤها لبنةً لبنةً بإذن الله عند إقامة دولة الإسلام. ونسلط الضوء في هذا الركن الخاص على طبيعة تشكل الحياة الإسلامية تحت تأثير العلماء في الأمة.

ورد في الأثر: «**صِنْفَانِ مِنْ الناس إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ: الأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ**»، وشأن العلماء والدعاة أنهم وعاء الدين في الأمة، وهم من ينقلونه للأمة ويحملونها على التزامه وتطبيقه. وهذا فريد في أمة الإسلام، إذ لا يوجد بين الأمم الأُخَر من يعمل فيها داعياً لالتزام القانون والأحكام بالقدر الذي عليه أمة الإسلام، بل إن تأثير العلماء اليوم والأمة في حالة انحطاط أكبر بكثير من تأثير العلماء في أي أمة أخرى من أمم اليوم.

ولأن الناس يأخذون دينهم عن هؤلاء العلماء قبل أن يأخذوه من الحكام على شكل قوانين فإن مكانة العلماء في الأمة هي مكانة عظيمة تأسست من مديح الله تعالى لهم في كتابه، وترسخت تلك المكانة لكون العلماء «**وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ**» كما وصفهم النبي ﷺ. لذلك كان رجوع المسلمين لسؤال علمائهم وأخذ آرائهم في كافة أحوال حياتهم وتفاصيلها جزءا أصيلا من ثقافة الإسلام، تلك الثقافة التي تجذرت وصارت عرفاً راسخاً في الأمة لم تتخل عنها حتى في أحلك عصورها، فأخذ العلماء مكانة المرجعية الحقيقية للأمة كمرجعية الحاكم سواء بسواء.

وهؤلاء العلماء هم رأس الإسلام داخل الأمة، يشيعون فيها الخير ويشجعون عليه، وهم أول من يرى الفساد ويحصر بؤره ويبين منابته، فببيانهم للفساد ومنابته يحرّضون الأمة للقضاء عليه، فكانوا هم حمَلة الدين وصفّ النخبة الأول في الأمة ومنظارها الثاقب. والأمة الإسلامية ترى الدين في هؤلاء العلماء القدوات

فلا تفرق بين الحامل والمحمول، لذلك كان أمر العلماء دقيقاً، وكان فسادهم فساداً لها، شأنه شأن فساد الحكام. ولما كان تطبيق الحكام لأحكام الله في الأرض أمراً عظيماً - ومن عظمته ما رواه أبو هُرَيرَةَ رضِيَ اللهُ عنه عن النبي الكريم ﷺ: «**إِقَامَةُ حَدٍّ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» - وجبت مراقبة العلماء لاستقامة الحكم والحكام ولأدائهم والتأهب الدائم لمحاسبتهم على فسادهم. وأثر كل ذلك على الأمة هو المقصود بسلطة هؤلاء العلماء عليها، وليس فتاويهم في صغائر الأمور، وإن كانت تلك الفتاوى أيضاً توجد لهم مريدين وأتباعاً يتأثرون ويتحركون بحسب درجة حرارة هؤلاء العلماء تجاه الحكام.

وإذا نظرنا إلى الدولة الإسلامية عبر التاريخ نجد أن الحكام كانوا هم العلماء في صدر الإسلام في دولة الخلفاء الراشدين، وكذا كان كثيرون ممن أتى بعدهم من التابعين على مستوى الأمراء وأحياناً الخلفاء. ثم فشا الخبث والدعة والرفاهية، وصار الحكام من غير العلماء، وانتهت تلك المرحلة الفريدة من حياة الأمة الإسلامية. ثم انقسم تبعاً لذلك العلماء فيها إلى قسمين.

أما القسم الأول فهم الذين أرادوا بعلمهم الجاه والمال، فوقفوا مع السلطان يحللون له ما يريد ويهوّنون له من أحكام الله. ويُحذر العالم الجليل شهاب الدين القرافيّ المتوفى سنة ٦٨٤هـ الفقهاءَ من تفصيل الفتاوى على مقاس السلطان وأمرائه، فيقول: «ولا ينبغي للمفتي إذا كان في المسألة قولان أحدهما فيه تشديدٌ والآخَر فيه تخفيف: أن يُفتي العامَّة بالتشديد، والخواصَّ من ولاة الأمور بالتخفيف، وذلك قريبٌ من الفسوق والخيانة في الدين، والتلاعب بالمسلمين، ودليلُ فراغ القلب من تعظيمِ الله». وهذا القسم من العلماء ينقرض بانقراض الحاكم. وبالتدقيق نجد أن العلماء في الفترة الأولى من الإسلام والتي امتدت لثلاثة قرون كان الطابع الفردي هو سمتهم المميزة وإن كثروا. فكان العلم يطلب تقرباً إلى الله تعالى. ثم تحول مع تبني الدولة للمذهب إلى العلاقة الجماعية، قبل أن يتحول في مرحلته الأخيرة إلى العلاقة المؤسسية مع الدولة، تلك العلاقة التي لا تزال مستمرة منذ ألف سنة، ويقوم الحاكم فيها على رعاية العلماء لوضعهم في مناصب الخطابة والإمامة والأذان والتدريس والتجميل لقصره وللدعاية له بين الأمة، هؤلاء هم العلماء الرسميون التابعون للدولة.

وأما القسم الثاني، فهم ورثة الأنبياء ومَن طلبوا العلم ابتغاء الآخرة. وهم رأس حربة الأمة في تصويب الحاكم. وقد زخر تاريخ المسلمين بأمثال هؤلاء، الذين اتخذوا حديث رسول الله ﷺ شعاراً لهم: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»، وأن طاعة ولي الأمر مشروطة باتباعه الشرع. وقد تصادم هؤلاء العلماء مع الحاكم في محطات كثيرة، وشارك بعضهم في ثورات مسلحة ضد الحاكم، أو قادوها بأنفسهم عندما كانوا يرون كفراً بواحاً. فهؤلاء فوق نشرهم لعلوم الدين فإنهم يساهمون بشكل فعلي في تشكيل الرأي، وتوجيه الرأي العام، وخلق القضايا في الأمة وأمام الحاكم. وهؤلاء

هم أصحاب المكانة الرفيعة وأصحاب «السلطة العلمية» على الناس، فبآرائهم وجرأتهم يكون موقف الناس من الحاكم، وهؤلاء يهابهم الحاكم ويريد التقرب منهم، ولكنهم يفرون منه، بل ويرفض الكثير منهم العطايا والمناصب إذا شكّوا في أمر الحاكم. ويزخر تاريخنا المضيء بالنماذج الناصعة من هؤلاء. فالإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هجرية رحمه الله يشدد في الابتعاد عن السلاطين ويحذر العلماء بأنهم لو لم يذلوا أنفسهم بسؤال السلطان والتردد عليه وخدمته والثناء عليه والدعاء له ومساعدته على أغراضه وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه وإظهار الحب له والستر على مقابحه لما أنعم عليهم بدرهم واحد، وقال: «فمن استجْرأ على أموالهم وشبّه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدّادين». وقال تاج الدين السبكي المتوفي سنة ٧٧١ هجري: «إنما يُتلف السلاطينَ فسقةُ الفقهاء، فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح، فالصالح غالبا لا يتردد إلى أبواب الملوك، والطالح غالبا يترامى عليهم، ثم لا يسعه إلا أن يجري معهم على أهوائهم ويهوّن عليهم العظائم، ولَهُوَ على الناس شر من ألف شيطان، كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد».

ورفض هؤلاء العلماء هدايا الحاكم وعطاياه، واشتغلوا بالتجارة لضمان استقلاليتهم. فالإمام أبو حنيفة المتوفى سنة ١٥٠هـ رفض تولي القضاء للخليفة العباسي المنصور، لأنه كان «هاربا من مال السلطان»، وكان يتاجر في الحرير ليضمن لنفسه استقلاليته العلمية في الرأي والموقف. وكذلك كان سفيان الثوري الذي كان يتاجر بالزيت، وأجاب أحدَ طلابه حين استنكر اشتغالَه بالتجارة؛ فخاطبه زاجرا إياه: «اسكتْ! لولا هذه الدنانير لتَمَنْدَل بنا هؤلاء الملوكُ»، أي لجعلونا كالمناديل يستخدمونها ثم يرمونها. ونقل الإمام البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن الثوري قوله: «إذا رأيتَ القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لصّ، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مُراءٍ، وإياك أن تُخدع فيقال لك: تردّ مظلمة وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القرّاء سُلّماً». بل إن الثوري عَدّ القرب من السلطان عقوبة من الله تعالى لفاعله فكان يقول: «إذا لم يكن لله في العبد حَاجَةٌ نَبَذَهُ إلى السلطان».

وكان بعض العلماء، لحاجتهم للتفرغ للعلم، يعتاشون من أموال الوقف التي يوقفها الورعون من المسلمين وكبار التجار، الذين كانوا ينشئون المدارس وينفقون عليها طلباً لرضا الله تعالى، حتى كفوا أهلَ العلم أمرَ دنياهم. وكان هؤلاء العلماء الربانيون ينظرون إلى عطايا الحاكم بحساسية بالغة. وكانت مواقف الإمام العزّ بن عبد السلام السلمي المتوفى سنة ٦٦٠هـ صارمة في هذا الشأن، وكان في حال اشتباك مع الحاكم في الشأن العام لصالح الأمة حتى لقّبوه بـ«سلطان العلماء» «وبائع الأمراء».

وحين فرض السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ضرائب على أهل الشام لتمويل جهاده ضد التتار سنة ٦٦٦هـ وأخذ فتاوى من فقهاء بجواز ذلك، رفض الإمام النووي تلك الفتاوى مواجها السلطان عندما سأله عن أسباب رفضه بالحقيقة التي كان يتحاشى سماعها، فقال:

«أعرِفُ أنك كنت مملوكاً للأمير علاء الدين البندقدار، وليس لك مال، ثم يسّر الله لك أمراً على المسلمين فوليت الملك، وسمعت أن عندك كذا ألف مملوك، كلُّ مملوك منهم حياصته (أي حزام سرج فرسه) بألف دينار، وعندك مئتا جارية، كل جارية عندها صندوق حُليّ يزيد على عشرة آلاف دينار، فإذا أنفقت ذلك كله أفتي لك بجواز أخذك المال من الرعية». ولمن أراد أن يستزيد اطلاعا على صلابة هؤلاء العلماء وحرصهم على النأي بأنفسهم عن الحاكم فما عليه إلا أن يقرأ صفحات مضيئة من تاريخ هؤلاء العلماء كما أوردها الإمام شمس الدين الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء».

ومما يجدر التنبيه إليه أنه لا بأس بإنفاق الدولة والحاكم على العلم والعلماء إذا كانت هذه الدولة كدولة الخلفاء الراشدين الذين لا يرجون من وراء ذلك الإنفاق تبييضاً لأعمالهم لأنها ناصعة بيضاء، بل ينفقون هذا المال تعزيزاً للعلم والعلماء لوجه الله تعالى. ومما يجب التنبيه إليه أيضاً أن الفقهاء الذين جعلوا مسافةً بينهم وبين السلطة السياسيّة لم يتنازلوا قط عن مواكبة الشأن العام، فقد كان العامة يلجؤون إلى الفقهاء عند كل نائبةٍ، وكانوا طوال التاريخ الإسلامي لسان الفقراء والمظلومين؛ وهذه المواقف كانت أقرب إلى إنزال العقوبة المعنوية بالسلطان وإشعاره بأنّه منبوذ من الناس.

فكانت تلك المسافة والمساحة التي حرص الفقهاء على وضعها بين جماعة العلماء والسلطة السياسيّة متغيرة المعالم بحسب تقوى الحكام، وكان نباتها طبيعياً وقوياً في تربة الإسلام الخصبة، فأساسها أن الأمة ترقب مواقف هؤلاء العلماء وتراقب طراز عيشهم، فتتأثر بهم طبيعياً من حيث صلابة التدين والجرأة في سبيل الله. ولذلك يحرص العلماء الربانيون على أن تكون آراؤهم نقيةً صافيةً خالصةً في سبيل الله، لأنه بانتقالها إلى الأمة يكون لهؤلاء العلماء ثواب عظيم ممتد ومتوسع بقدر قوتها وتأثيرها، وهذا ما يسعى له العلماء المخلصون، لإدراكهم مكانتَهم ودورهم في الأمة.

وقد كانت سلطة هؤلاء العلماء فعالة للغاية في الأمة في مسألة تصويب الحاكم. وتختلف فعاليتها بقدر جرأة العلماء في بيان فساد الحاكم، وبقدر السبق في اكتشاف الفساد أو حتى القصور، وبيانِ ذلك للناس قبل أن يأخذ ذلك الفساد أو القصور دور العراقة، فتصبح له جذور أعمق تعيق إزالته، كما نرى اليوم في رسوخ فساد الحكام الذين يرثونه حاكماً عن حاكم.

والمسألة الجوهرية في سلطة العلماء في الأمة أن الحاكم لا يستطيع تمرير فساده وقصوره والأمة ساكتة عنه، ناهيك عن أنه لا يستطيع إقناع الأمة بأمره ما دام فيها هؤلاء العلماء كالجبال الراسيات. والفكرة السياسية في قوة هذه السلطة العلمية أن اقتلاع الأمة للحكام أسهل بكثير من اقتلاع الحكام لهذا الحشد من العلماء، وذلك بسبب الكثرة والتنوع وتأصل نظرة الأمة إليهم كرأس للدين ومنبع للأحكام والفتاوى التي يحتاجها المسلمون في حياتهم اليومية.

ومما تجدر الإشارة إليه في مكانة سلطة

العلماء هذه ما ورد في كتاب الشخصية الإسلامية لحزب التحرير، من أنّ كون أمر الإمام يرفع الخلاف حين يتبنّى بعض الأحكام الشرعية لا تعني سوى تطبيق رأي الإمام، بمعنى أن العلماء في الأمة يستمرون في الترويج والدعاية لآرائهم المخالفة لرأي الإمام، ويستمرون في تعليمها للناس رغم طلبهم من الناس تطبيق ما تبناه الإمام. وبالتأكيد فإن هذا يكون حين يتبنّى الحاكم من بين اجتهادات الفقهاء في الأحكام الظنية اجتهادا معيّنا، وليس في أخذ أحكام الشرع أصلاً أو ردها كما هو اليوم. وبالتدقيق في أثر ذلك على الأمة نجد أنه إذا اختار الحاكم رأياً شرعياً من اجتهاده أو اجتهاد غيره وتبناه قانوناً، وكان في هذا الرأي ضعف، فإنه يجد نفسه في وضع حرج عندما يرى علماء الأمة يروجون لرأي آخر ويدرسونه للناس في المساجد، بمعنى أن الناس لا ترضى عن هذا التبني الذي بدا لهم ضعيفاً بحسب علمائهم. وإذا كثرت تلك القوانين التي يفرضها الحاكم استناداً إلى أدلة يراها علماء الأمة ضعيفة فإن الشكوك تأخذ مجراها في الأمة تجاه الحاكم وتُضعف سلطته، ما يجعل الحاكم حريصا، من أجل إرضاء الأمة، على أخذ الأحكام بحسب قوة الدليل، لتقليل الانتقادات التي تضعف سلطانه في الأمة.

وفي الخلاصة يمكن القول بثقة إن السلطة العلمية للعلماء في الأمة الإسلامية هي سلطة ملموسة وليست شيئاً عابر التأثير. ذلك أن علماء الأمة كثر وحلقات العلم تعج بها المساجد، وينقل المدرسون آراء العلماء لتلاميذهم بناءً على قوتها وصحتها ورسوخ أدلتها، وما أسهل أن يتحول أي قانون مستند إلى دليل ضعيف يطبقه الحاكم إلى مسألة رأي عام ضاغط لتغييره. فالأمة المأمورة بتطبيق رأي الإمام مأمورة أيضاً بمراجعته ومحاسبته على ما يتبنى من قوانين، والحاكم عرضة باستمرار لموجات من الامتعاض في الأمة، وقد تصبح عاتيةً ومطالبةً بالتصحيح. وكل هذه الموجات وقوتها تأتي من منابع العلماء، والخشية من هذه الموجات بمجموعها تشكل سلطةً فعليةً للعلماء في الأمة، بل وأقوى من وسائل الإعلام التي يسميها الغرب سلطةً رابعة، وهي ميزة فريدة في الأمة الإسلامية، تشكلها ثقافة العلم التي ينشرها الإسلام، وتحافظ عليها وتعززها أعراف رسّخها الإسلام فيها من الإعلاء والاحترام والتقدير للعلماء لكونهم ورثة الأنبياء. وتبقى هذه الميزة ثابتة في الأمة بحكم الإيمان والتقوى لدى الناس الحريصين على دين الله طلباً للأجر والثواب والجنة، فهذا دافع عقَدي لرصّ صفوف المسلمين خلف العلماء وحولهم، وهذا الحرص عندهم بدافع الإيمان يسبق القانون ويسبق المهابة من عقوبة الحاكم. وهذه الحقائق هي ما أوجد سلطة العلماء في الأمة وحافظ عليها وجعلها ميزةً لها لا تتميز بها غيرها من الأمم. ولذلك وجب علينا عند إقامة الدولة الإسلامية القيام بكل ما يلزم للحض على العلوم الشرعية وإعلاء مكانتها، حتى يكون علماؤنا سياجاً نحتمي به إذا فسد الحاكم. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أدى العلماء دورهم المنشود في أحداث طوفان الأقصى وفي قضايا الأمة؟

أ.عامر أبو الريش- فلسطين

منذ تنفيذ عملية طوفان الأقصى توجهت أنظار أهل فلسطين خاصة وأنظار الأمة عامة إلى طاقات الأمة الحيوية الفاعلة المرجو تحركها نصرة لغزة وكل فلسطين، وذلك بعد أن اتضح أن ما يتعرض له أهل غزة هو حرب إبادة يشنها كيان يهود مدعوما من المنظومة الدولية وعلى رأسها أمريكا بتواطؤ ومشاركة من الأنظمة القائمة في بلاد المسلمين.

وكان على رأس هذه الطاقات علماء المسلمين وهيئاتهم ومجامعهم، فالمسلمون ينظرون إلى علمائهم نظرة العيال الحائرين إلى من يأخذ بيدهم ويرشدهم إلى سبيل نصرة إخوانهم، بل ويرشدهم إلى سبيل خلاص الأمة كلها مما هي فيه من الضعف والهوان والفرقة والتبعية، فهم يعلمون علم اليقين أن خلاصهم وقيامهم بواجبهم منوط بالتزام أمر ربهم تعالى واتباع سنة نبيهم ﷺ، وحيث إن العلماء هم ورثة الأنبياء كما أخبر النبي ﷺ، وأن الله رفع قدرهم بعلمهم، إذ قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وحيث إن المسلمين بأمس الحاجة لهم فهم المرجع إذا عرض للمسلمين عارض يحتاج إلى بيان وتفصيل من كتاب الله وسنة نبيه، كان العلماء محط أنظار وأسماع المسلمين ليفتوا لهم بكيفية أداء الواجب المنوط بهم في نصرة إخوانهم وتغيير حالهم.

وقد انقسم «العلماء» في هذه المحطة التاريخية والملحمة الكبرى إلى أربعة أقسام:

- فقسم ناعق بمواقف الحكام لا يخرج عنها، ولا يقول إلا ما يرضي حاكمه، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الإفتاء بحرمة مناصرة أهل غزة ومجاهديها بحجج متعددة، منها الخروج على ولي الأمر، ومنها التدليس بالقول بأن عندهم انحرافات عقدية وفسادا في الولاء والتهور في مغامرة غير محسوبة العواقب... الخ، حتى وصل انحدارهم إلى الإفتاء بحرمة الدعاء لهم. وهذا القسم ممن يُسمون بالعلماء قد صدق فيهم وصف الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۚ﴾، ويغلب على الظن أنهم طُبِع على قلوبهم فلا يرون إلا ما يرى حكامهم، فخانوا الأمانة خيانة عظيمة، ولسنا بواقفين على باب التوبة إن أرادوا.

- وقسم ثانٍ صامت لم يُسمع منه شيء بسبب الخوف أو الطمع، إما خوفا من السجن

أو التعذيب أو قطيعة الرزق أو نزع المناصب، أو طمعا فيما عند الحكام، وهؤلاء لم يؤدوا الأمانة، ولم يفقهوا، رغم علمهم، ما عليه العقيدة من أن الأمر كله لله، وأن قول الحق لا يقرب أجلا ولا يبعد رزقا، نسأل الله لهم التوبة قبل فوات الأوان.

- وقسم ثالثٌ رباني بيّن ما أوجب الله ولم تأخذه في الله لومة لائم ولا خوف من عقوبة ولا طمع في دنيا، فكانوا إما قلة مغيبة عن وسائل الإعلام أو في غياهب السجون، أدوا الأمانة حق الأداء فحوربوا وابتلوا فصبروا، جزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

- وقسم رابعٌ تقدم بموقفه ولكن ليس بشكل كامل، فبين أمورا وسكت عن أمور أخرى، قطعوا شوطا كبيرا ولكنهم لم يصلوا، وهؤلاء هم موضع البحث أساسا هنا، لانعقاد الأمل عليهم ولظهور بذرة الخير فيهم، ولأنهم كانوا أظهر الأقسام إعلامياً وأكثرها تفاعلا عند الأمة.

وحتى يتضح المقال بالمثال، وحتى نثبت لهذا الفريق من العلماء ما بلغوه من فضل يجب عليهم أن يُتمّوه، نورد إجمالا ما كان منهم. فقد ظهر من هذا القسم من علماء المسلمين فرادى ومن هيئاتهم الجمعية فتاوى لم تكن تظهر قبل طوفان الأقصى، فأفتوا بوجوب نصرة الأمة لغزة وأهلها بالجهاد بالنفس بعد أن كانت الفتاوى سابقا تحصر واجب الأمة خارج فلسطين بالجهاد بالمال وبأشكال الدعم الأخرى كالسياسة والدبلوماسية والإعلام، وأفتوا بوجوب تحريك الجيوش بعد بيان عدم تحقق الكفاية في أهل فلسطين وحدهم، وامتدحوا المجاهدين والمرابطين والصابرين، ودعوا المسلمين إلى الاقتداء بهم، وأفتوا بأن التطبيع خيانة، وأن مد كيان يهود بأي مال أو غذاء أو سلاح هو مشاركة في سفك دماء المسلمين، وأفتوا بحرمة محاصرة غزة وأهلها، وبحرمة حبس الأمة عن نصرة إخوانهم، وأفتوا بأن الواجب في نصرة غزة وأهلها منوط بالحكام والمحكومين وكذلك بالجيوش والعلماء والإعلاميين وأنه ليس من أحد معفى من هذا الواجب، وأفتوا بأن الواجب الشرعي يقضي بتحرير فلسطين كلها لأنها كلها إسلامية ولا يحق لأحد كائنا من كان أن يتنازل أو يقر ليهود بأي شبر منها، بل وأفتى بعضهم بحرمة طاعة العسكر لولاة أمرهم إذ يمنعونهم عن نصرة المسلمين المستضعفين المحاصرين خاصة وهم يتعرضون للإبادة.

إن هذه الفتاوى التي ظهرت مع بداية معركة طوفان الأقصى تعد قفزة عريضة وخطوة بالغة الأهمية في مسيرة هذا القسم من العلماء. ولكنها توقفت عند ذلك، فكانت تظهر وتنتشر ثم تعاود الاختفاء، وكان صوت العلماء يعلو ويظهر ثم يخفت، وأهم من ذلك أن هذه الفتاوى لم تؤد إلى عمل حقيقي بنصها ولا مضمونها، فلا الجيوش تحركت، ولا الأمة زحفت، ولا غزة نُصرت من إخوانها، ولا فلسطين حُررت، فلماذا؟

قبل بيان الأسباب التي حالت دون

تحول فتاوى العلماء إلى عمل جماعي للأمة وجيوشها، من المفيد في هذا المقام إيراد سؤال في غاية الأهمية طُرح على «مؤتمر علماء طوفان الأقصى» الذي انعقد في تركيا في شهر أيار/مايو ٢٠٢٤م، حيث بادر د.محمد إلهامي إلى مخاطبة العلماء المجتمعين قائلا: «ونحن نتحدث عن دور العلماء في طوفان الأقصى، يكاد الناس أن يكونوا قد يئسوا من الأنظمة ومن الحكام، ولم يبق أمامهم إلا العلماء ليشيروا عليهم ويوجهوهم بل ويقودوهم في طريق الحل». كيف يمكن أن تفعل الأمة الآن ليس لغزة وحدها ولكن لقضية الأمة كلها؟ الآن الأمة تبدو كالسجين، وتبدو بلادها كالزنازين، وتريد أن تتبرع لغزة، وأن تجاهد مع غزة، وأن تتخذ المواقف العالية، ولكن الطبيعة والأوضاع والأنظمة الموجودة وطبيعة موازين القوى وطبيعة التركيب السياسي، كل هذا يحول دون الأمة ونصرة غزة، كيف يمكن أن تخرج الأمة من هذا الحبس؟ كيف يمكن أن تكسر هذه الجدران؟ كيف يمكن أن تتحرر من هذه الزنازين؟ كيف يمكن أن تستعيد قوتها من جديد؟

هذا السؤال واحد من الأمثلة التي تعبّر بدقة كبيرة وباختصار عن واقع القضية المطروحة على العلماء، وهو وغيره لم تتم الإجابة عليه حتى الآن من هذا القسم من العلماء الذين تتوسم فيهم الأمة خيرا.

ولبحث المسألة على شكل نقاط محددة من خلال محاور السؤال يتبين بكل وضوح ما يلي:

- الأمة تبحث عن سبيل الخلاص والتغيير في قضاياها التي من بينها قضية فلسطين وإقامة الدين والتحرر من التبعية، وهي تنظر إلى العلماء باعتبارهم المرشد والموجه والقائد الفكري والعملي لإنجاز عملية التغيير الجذري المنشود.

- هذا القسم من العلماء ومن خلال بياناتهم وفتاواهم الأخيرة لم يحددوا للأمة خطوات عملية لتسير فيها، بل اكتفوا ببيان أحكام عمومية، دون بيان تفصيلاتها وكيفية تطبيقها على أرض الواقع. فمثلا، قالوا إن مناصرة غزة فريضة على الأمة، ولكنهم لم يبينوا للأمة كيف تزيل العوائق التي تمنعها من مناصرة غزة، ولم يبينوا لها كيف يكون العمل الجماعي لإزالة هذه العوائق. وأفتوا بوجوب تحرك الجيوش بالجهاد لنصرة غزة وتحرير فلسطين، ولكنهم لم يبينوا للعسكر ماذا يجب أن يفعلوا إذا منعتهم قياداتهم السياسية والعسكرية من أداء هذا الفرض، ولم يبينوا لها كيف تدفع هؤلاء العسكر دفعا بل وإجبارا لينفلتوا من طاعة من يمنعهم من نصرة إخوانهم. فهل يكفي أن يقال بأن الجهاد فرض؟ بل هذا حكم قطعي مفروغ منه معروف للجاهل والعالم، وللصغير والكبير، وللأعجمي والعربي، ويجب على العلماء أن يخوضوا في تفاصيل إيجاده عمليا في أرض الواقع. وهل اكتفى هؤلاء العلماء مثلا بأن يقولوا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ عندما وضعوا القواعد والأحكام للعقود والمعاملات

في البنوك التي تسمى إسلامية؟ أم خاضوا في تفاصيلها وكتبوا فيها آلاف الأبحاث وملايين الصفحات؟

-هذا القسم من العلماء لم يبنوا بناء فقهيا عمليا على فتاواهم التي أعلنوها، وإنما وقفوا عندها. فمثلا هم أفتوا بأن واجب تحرير فلسطين ونصرة غزة واجب على الحكام والمحكومين، على العسكر والمدنيين، ولكنهم لم يبينوا ماذا يتوجب على المحكومين مدنيين وعسكريين أن يفعلوا في حال أصر الحكام والضباط الكبار على عدم تحريك الجيوش وعلى غلق الحدود. وأفتوا بأن التطبيع ودعم كيان يهود خيانة، ولكنهم لم يبينوا كيف تتصرف الأمة وجنودها مع الأنظمة المطبعة والداعمة ليهود.

-هذا القسم من العلماء لم يأت بأية خطوة عملية يتقدمون بها الأمة ويقودونها بها نحو أي نوع من الضغط على الحكام أو على الجيوش. فهم رغم فتاواهم لم يقودوا أعمالا جماهيرية حاشدة من شأنها أن تدفع الجيوش للتحرك كالاعتصام الحاشد المتواصل أمام المعسكرات، أو محاصرة قصور الحكام، أو اختراق الحدود، أو التوجه للقبائل والعشائر الكبيرة المسلحة لدفعهم إلى القيام بخطوات عملية وأعمال جهادية، أو اعتصامهم كعلماء وتهديد الحكام والضباط الكبار بأنهم إذا لم يتحركوا فإنهم سيعلنون الخروج عليهم والبراء منهم. ألا يدرك هؤلاء العلماء أن الأمة بعوامها وعساكرها ونشطائها وسراتها يرزحون تحت طبقات بعضها فوق بعض من الفتاوى بطاعة ولي الأمر وحرمة الخروج عليه؟ هل ظنوا أننا في زمن يتلقف الناس بجموعهم وعلى اختلاف مكانتهم ومناصبهم وقدراتهم فتاوى العلماء فينطلقون لتطبيقها دون أن يكون لهم قائد يسير أمامهم بعد أن يزيل الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم؟

- إن صدور معظم هذه الفتاوى والبيانات والإعلانات من داخل دول معينة، وتوجيهها بشكل واضح أو ضمني لدول أُخَر، جعل هذه الفتاوى تظهر وكأنها من باب مجرد تسجيل المواقف والمناكفات بين الدول التي قسمت نفسها وكأنها في محاور متعارضة، فظهرت وكأنها نظام يرمي على ظهر نظام وحاكم يحرض على آخر ودولة تحمّل المسؤولية للأخرى. ثم إنها جعلت مرد الأمر كله لقرار الحكام من مثل قولهم عن تسيير الجيوش: «فإن لم يفعلوا فلا أقل من أن يقدموا الدعم السياسي والدبلوماسي والإعلامي والمالي»، فأعفوا الحكام وقادة الجيوش في بعض الأحيان من الواجب بعد بيانه.

- إن بعض هؤلاء العلماء من الذين أفتوا بوجوب الجهاد وتحرك الجيوش وزحف الأمة وفتح الحدود تراجعوا بشكل صريح أو ضمني عنها عندما علت استغاثات أهل غزة ومجاهديها وقادتهم للأمة بأن لا تكتفي بما يسمح به الحكام لها من أشكال المناصرة والتضامن، فانبروا للرد على هذه الاستغاثات بذريعة أنها دعوات تهدد استقرار البلاد وتؤدي

إلى خرابها ونهوا الأمة عن الاستجابة لها.

وجماع هذا كله على ثلاثة أمور:

أحدها أن هؤلاء العلماء لم ينعتقوا من الحكام جميعهم ولم ييأسوا من الأنظمة كلها، بل يئسوا من بعضها ولا يزالون يأكلون من طبق البعض الآخر، فحال هذا بينهم وبين أية فتوى أو عمل فيه خروج على الحكام أو تحريض على الخروج عليهم. وكيف يمكن مثلا لمن تستضيفه تركيا أن ينادي بالخروج على حكام الأردن دون أن يُقال له: عليك بالذي أنت عنده؟

وثانيها أن هؤلاء العلماء لا يملكون برنامجا سياسيا متكاملا ولا حتى جزئيا ينتهجونه ويعملون بناء عليه لإحداث التغيير. بل إنهم لا يتفقون فيما بينهم على ماهية التغيير المطلوب ولا الهدف المنشود.

وثالثها أن هؤلاء العلماء لا يشكلون بأنفسهم ولا يقودون فعليا أية جماعة أو حزب أو تكتل جماعي يمكن لهم أن يحركوه بناء على فتاواهم وإعلاناتهم، وإذا كان بعضهم ينتمي لجماعة أو يُعد مرجعا لها أو له تأييد بين أعضائها ومناصريها فهو ليس لها بقائد يأمر فيطاع، بل لها قيادة تقرر على اعتبارات أخرى.

وخلاصة القول فإن أية فتوى أو دعوة أو نداء أو بيان للعلماء لا يتضمن استنفار الأمة للتخلص من حكامها واسترجاع سلطانها وقرارها وقوتها وتطبيق شرع ربها وتوحيد أقطارها ولا يتضمن برنامجا عمليا لتحقيق ذلك يبقى حبرا على ورق وصراخا في وادٍ غير ذي حياة، والواجب على هؤلاء العلماء يتحقق في واحد من أمرين:

فإما أن يتحول العلماء إلى جماعة بقيادة تجمعهم على أفكار وأعمال موحدة وبرنامج واضح وأهداف محددة ويجمعون الأمة حولهم، وإما أن يلتحقوا بالجماعة التي تملك ذلك ويدعون الأمة للالتحاق بها، وفي كلا الحالتين يجب عليهم تقدم الصفوف قولا وعملا وتضحية وشجاعة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا بطش ظالم، ولا طمع في دنيا، ولا حرص على سلامة، فيضعوا أنفسهم في المكان الذي يليق بأهل العلم، ويفوزوا بأجرهم وأجر من اتبعهم لا ينقص ذلك من أجر التابعين شيئا، وإلا فإنا نخاف عليهم وزر ما أحجموا عنه من قول أو فعل واجبين، ووزر من أحجم اقتداء بهم، ونخشى عليهم أن يلجمهم الله يوم القيامة بعلم كتموه، ونبوء بهم من أن يصيبهم بعض قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾، ونرجو أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾.■

المحور الخامس

الإعلام ودوره في عملية التغيير

- نظرات تفصيلية حول الإعلام السياسي المعاصر ١٠٨
- الإعلام ودوره الخبيث ١٢٠
- مواجهة تحيز وسائل الإعلام الغربية ١٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات تفصيلية حول الإعلام السياسي المعاصر

أم بدر-فلسطين

الإعلام السياسي هو عملية جمع وتقويم ونشر للمعلومات المتعلقة بالأحداث الجارية أو الأخبار المتعلقة بالسياسة. ويشير الإعلام السياسي إلى القنوات والمنصات والمضامين التي يستخدمها السياسيون والأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية لنشر المعلومات والتأثير على الرأي العام والتواصل مع المواطنين. وهي تشمل أشكالًا مختلفة من الاتصال، مثل البث التلفزيوني، والبرامج الإذاعية، والصحف، ومنصات التواصل الاجتماعي، والمواقع الإلكترونية الرسمية، والبيانات الصحفية، والإعلانات السياسية. وبالعموم، فإن الصحافة السياسية، أو الإعلام السياسي، أحد الفروع الرئيسة لمهنة الصحافة السياسية، تقوم بجمع الأخبار حول الحكومة والسياسات العامة، وتحللها لإنتاج قصص للجمهور.

١. التحول من الإعلام التقليدي إلى الرقمي:

في الماضي، كان الإعلام السياسي يعتمد بشكل أساسي على وسائل الإعلام التقليدية مثل الصحف المطبوعة، والإذاعة، والتلفزيون. لكن مع بروز العالم الرقمي، أصبحت الأخبار السياسية تُنشر على الإنترنت فور وقوع الأحداث، ما أتاح للناس وصولاً سريعًا للمعلومات.

- منصات الأخبار الرقمية: المواقع الإلكترونية والقنوات الإخبارية الرقمية أصبحت المصدر الرئيسي لمتابعة الأخبار السياسية.
- وسائل التواصل الاجتماعي: المنصات مثل "إكس" و"فيسبوك" أصبحت أدوات رئيسة للسياسيين، حيث يوصلون رسائلهم مباشرة إلى الجماهير دونما حاجة إلى وسطاء إعلاميين.

٢. صعود الإعلام التفاعلي:

لم يستمر الإعلام السياسي مقتصرًا على التلقي السلبي للمعلومات. ففي العصر الرقمي بات الجمهور يشارك في النقاشات السياسية من خلال التعليقات، والمشاركات، والتفاعلات على منصات التواصل الاجتماعي.

- البث المباشر: السياسيون يستخدمون أدوات مثل "فيسبوك لايف" و"يوتيوب" للتفاعل المباشر مع الناخبين.
- الهاشتاغات السياسية: أصبحت الهاشتاغات وسيلة لتوجيه النقاشات، وتعبئة الرأي العام، وجذب الانتباه لقضايا سياسية محددة.

٣. دور الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات:

تقنيات الذكاء الاصطناعي أصبحت جزءًا أساسيًا من الإعلام السياسي. حيث تُستخدم الخوارزميات لتحليل سلوكيات الجمهور

وتفضيلاتهم السياسية، ما يساعد السياسيين على صياغة رسائل موجهة.

□ الإعلانات السياسية المستهدِفة: تعتمد الحملات السياسية تحليل البيانات الشخصية لتوجيه إعلاناتها نحو شرائح محددة من الناخبين.

□ تحليل المشاعر: تُستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي لتحليل ردود الفعل العامة على قضايا سياسية عبر الإنترنت.

٤. الأخبار الزائفة والمعلومات المضللة:

على ما يتسم به الإعلام الرقمي من مزايا، فإن أحد أكبر التحديات التي ظهرت معه هو انتشار الأخبار الزائفة والمعلومات المضللة. ففي العصر الرقمي بات بالإمكان نشر الشائعات بسرعة فائقة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مما يؤدي إلى تأثيرات سياسية كبيرة.

□ الحروب الإعلامية: تُستخدم المنصات الرقمية أحيانًا لنشر بروباغندا سياسية، وهي محاولة التأثير في الرأي العام عن قصد أو تشكيله والتلاعب بالحقائق من أجل دفع الناس الى توجه معين، أو تأجيج الصراعات.

□ التحقق من الحقائق: ظهرت منصات مخصصة للتحقق من مصداقية الأخبار استجابةً لهذا التحدي.

٥. تسهيل الحملات الانتخابية والتعبئة السياسية:

في العصر الرقمي، أصبحت الحملات السياسية أكثر تنظيمًا وفعالية من خلال وسائل الإعلام الرقمي:

□ التمويل الرقمي: يستخدم السياسيون الإنترنت لجمع التبرعات لحملاتهم الانتخابية.

□ الوصول الجماهيري: أصبح من السهل الوصول إلى ملايين الناخبين عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

□ التعبئة الشعبية: تُستخدم الأدوات الرقمية لتحفيز الجمهور على التصويت أو المشاركة في التظاهرات السياسية.

٦. تقليص الفجوة بين السياسيين والجماهير:

أزالت وسائل التواصل الاجتماعي الحواجز بين السياسيين والجماهير، حيث بات بإمكان السياسيين التواصل مباشرة مع الجمهور دون الحاجة إلى مؤسسات إعلامية وسيطة.

□ يُغرد السياسيون عبر "إكس" لعرض وجهات نظرهم أو الرد على الأحداث بشكل فوري.

□ أصبح الجمهور قادرًا على توجيه أسئلة أو التعبير عن آرائه للسياسيين بشكل مباشر.

٧. الإعلام السياسي العابر للحدود

بفضل الإنترنت، لم تبق الأخبار السياسية محصورة بحدود جغرافية. فيمكن للجمهور العالمي متابعة التطورات السياسية في أي دولة، مما أدى إلى تزايد التضامن العالمي في القضايا السياسية الكبرى.

٨. دور الاعلام السياسي في العالم:

١-توجيه الانتباه إلى قضايا معينة:

الإعلام يُحدد أولويات النقاش العام من خلال تسليط الضوء على قضايا محددة، وهو

ما يُعرف بنظرية «وضع الأجندة «(Agenda Setting)

-اختيار المواضيع: عندما تُغطي وسائل الإعلام موضوعًا ما بشكل مكثف، فإنها تدفع الجمهور إلى الاعتقاد بأن هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة.

-إهمال المواضيع الأخرى: وبالمقابل، تجاهل قضايا معينة بحيث تبدو غير ذات أهمية للجمهور، حتى لو كانت على درجة كبيرة من الخطورة.

٢-التأثير على طريقة التفكير (إطار التناول):

من خلال طريقة عرض الأخبار وتحليلها، يمكن للإعلام أن يحدد كيفية فهم الناس للقضايا. يُطلق على هذا التأثير مصطلح «إطار التناول»(Framing).

-مثال: تغطية قضية مثل الهجرة يمكن أن تحصل من زاويتين مختلفتين؛ إما بتصويرها فرصة اقتصادية أو بتصويرها تهديدا أمنيا، ما يُغيّر تمامًا طريقة استقبال الجمهور لها.

٣- بناء القناعات والمواقف:

الإعلام يُشكّل الرأي العام عبر التأثير على القيم والمواقف الثقافية والاجتماعية.

-الغرس الثقافي: من خلال تكرار الرسائل الإعلامية، يتبنى الجمهور تدريجيًا رؤية معينة للعالم أو معتقدات جديدة.

-تغيير السلوكيات: الإعلام لا يقتصر على التأثير في الأفكار، بل يمكن أن يُغيّر سلوكيات الناس عبر حملات التوعية.

٤-نشر المعلومات وتوضيح الحقائق:

الإعلام يُعد المصدر الأول للمعلومات لدى الجمهور. فمن خلال توفير الأخبار الدقيقة والتحليلات الموضوعية، يسهم الإعلام في تكوين رأي عام مستنير.

-التثقيف العام: يقدم الإعلام معلومات حول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ما يساعد الجمهور على اتخاذ قرارات واعية.

-محاربة الشائعات: الإعلام المهني يلعب دورًا في كشف الأخبار الزائفة والمعلومات المضللة.

٥-التأثير العاطفي والنفسي:

وسائل الإعلام تستخدم الصور والكلمات المؤثرة لتحفيز المشاعر، ما يُعمّق تأثيرها على الرأي العام.

-التأثير بالمشاهد الصادمة: عرض صور الحروب أو الكوارث الإنسانية يمكن أن يُثير التعاطف ويُوجّه الرأي العام نحو دعم المساعدات أو التدخلات.

-توجيه الرأي من خلال الخطاب العاطفي: استخدام أساليب خطابية تُركّز على الخوف أو الأمل يُسهم في التأثير على المواقف العامة.

٦-الإعلام أداةً للتعبئة الشعبية:

يؤدي الإعلام دورًا في حشد الناس حول قضايا معينة، سواء من خلال تنظيم احتجاجات، أو دعم حملات سياسية، أو حتى تشكيل رأي عام يدفع الحكومات لاتخاذ إجراءات معينة.

-مثال تاريخي: خلال «الربيع العربي» استخدمت وسائل الإعلام التقليدية والرقمية لتعبئة الشارع وتحفيز الاحتجاجات الشعبية.

-الحملات الانتخابية: الإعلام أداة رئيسة في التأثير في نتائج الانتخابات عبر الترويج للمرشحين وبرامجهم.

٧-بناء الهوية الجماعية:

الإعلام يساعد في توحيد المجتمعات من خلال تعزيز الشعور بالانتماء إلى قضية أو هوية مشتركة.

❖ تحديات الإعلام السياسي في العصر الرقمي:

□ الاستقطاب السياسي: أدى الإعلام الرقمي إلى انقسام الجمهور على أساس انتماءاتهم السياسية، حيث بات الجمهور يستهلك الأخبار من مصادر تتفق مع آرائهم فقط.

•الخصوصية : استخدام البيانات الشخصية في الحملات السياسية أثار مخاوف حول انتهاك الخصوصية.

•لرقابة والاحتواء: تحاول بعض الحكومات السيطرة على الإعلام الرقمي عبر فرض قيود أو حجب المنصات.

❖ ما دور الإعلام السياسي في التأثير على الساحة السياسية؟

١) الاستقطاب السياسي والطائفي:

يُعد الإعلام أداة يمكن استخدامها، إما لتوعية الشعوب وتوجيهها نحو التغيير الإيجابي، أو لتضليلها وتعميق الانقسامات السياسية والطائفية.

في السياقات التي تشهد تنوعًا طائفيًا وسياسيًا، مثل لبنان والعراق تؤدي وسائل الإعلام دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام. يُلاحظ أن مِلكية وسائل الإعلام غالبًا ما تكون لجهات سياسية أو طائفية، ما يؤدي إلى إنشاء «غرف صدى»، حيث يتعرض الجمهور لمعلومات وآراء تتماشى مع توجهاتهم المسبقة، مما يعزز الانقسامات ويعمق الاستقطاب داخل المجتمع.

من هذا المنطلق، تستغل بعض الجهات الإعلام لتعزيز الانقسامات الطائفية والسياسية، وذلك من خلال الترويج لخطابات تفرق مكونات المجتمع وتؤجج الصراعات الداخلية. يُعد هذا الاستخدام السلبي للإعلام عقبة أمام وحدة الأمة ونهضتها، حيث يُسهم في تشتيت الجهود وإضعاف الروابط بين أفراد المجتمع.

٢) الاستقطاب الإقليمي:

□ الإعلام أداةً للاستعمار الثقافي والفكري:

تستخدم القوى الاستعمارية وأنظمتها التابعة الإعلام لترسيخ الهويات القومية والإقليمية على حساب الهوية الإسلامية الجامعة وتُصوَر قضايا الأمة من خلال عدسة «المصلحة الوطنية» أو «الأمن الإقليمي»، ما يعمق الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

□ الإعلام في تأجيج الخلافات الإقليمية:

تسهم وسائل الإعلام في تضخيم الخلافات بين البلاد الإسلامية، سواء كانت خلافات سياسية أو مذهبية أو عرقية، ويكون ذلك من طريق التركيز على الفروقات بدلًا من المشتركات بين الشعوب المسلمة.

□ الإعلام أداةً لتلميع الأنظمة:

يُستخدم الإعلام لترويج سياسات الأنظمة

الإقليمية العميلة للغرب، والتي تخدم الاستقطاب الإقليمي، وتضفي شرعية على انقسامات الأمة.

□ دور الإعلام في محاربة مشروع الخلافة:

يُستخدم الإعلام لتشويه فكرة الوحدة الإسلامية ومشروع الخلافة، حيث يصوَّر أمرا غير واقعي أو تهديدا للاستقرار الإقليمي والعالمي ومصدرا للإرهاب والتطرف.

٣) دور الإعلام في النزاعات المسلحة:

الإعلام السياسي يُستخدم بشكل مكثف في الصراعات المسلحة التي تشهدها المنطقة.

التعبئة والدعاية: الإعلام يُستخدم وسيلةً للترويج لمواقف الأطراف المتصارعة، سواء لتبرير التدخل العسكري أو لاستقطاب الدعم الشعبي والدولي. فعلى سبيل المثال، خلال حرب غزة بعد عملية (طوفان الأقصى) كان الإعلام وسيلة رئيسة للتعبئة والدعاية من قِبل الأطراف المتصارعة. فكيان يهود استخدم وسائل الإعلام الدولية ومنصات التواصل الاجتماعي لتبرير عملياته العسكرية، مؤكداً أن الغارات والهجمات على غزة تستهدف القضاء على «تهديد الإرهاب» وحماية مواطنيها من صواريخ المقاومة الفلسطينية. كما ركز إعلام كيان يهود على تصوير حركة حماس جماعةً «إرهابية» تستخدم المدنيين دروعا بشرية، ونشَرَ صورا تُظهر منصات إطلاق الصواريخ في مناطق مدنية لإثبات هذه الادعاءات. كما نشر مقاطع فيديو تبين استهداف ما وصفه بـ»بنى تحتية إرهابية»، بهدف كسب التعاطف الدولي وتبرير الضربات العسكرية. كذلك ركز الإعلام الدولي على إظهار صور الدمار والقتل والهدم والحالات الإنسانية لإثبات أن ما حصل في غزة كان جريمة وهزيمة وفشلا، وأنها عجزت عن الصمود أمام كيان يهود. في المقابل لم يركز إعلام كيان يهود على الجرحى والقتلى في صفوفه في محاولة منه لتهميش الإنجازات العسكرية للمقاومة حتى يعيد الهيبة لجيشه.

٤) تبرير السياسات الدولية والإقليمية:

يُسهم الإعلام السياسي في تشكيل المواقف الإقليمية والدولية تجاه قضايا الدول المتصارعة. فوسائل الإعلام التابعة لدول معينة تُبرر سياساتها الإقليمية مثل التدخلات العسكرية أو دعم أطراف معينة في النزاعات. يمكن ملاحظة ذلك من خلال مواقف دول عدة في الحرب على غزة، عبر وسائل إعلامها التي تُبرر سياساتها الإقليمية، سواء لدعم أطراف معينة أو لتبرير تدخلاتها العسكرية. فمثلاً خلال العدوان على غزة، لوحظ أن الكثير من وسائل الإعلام تبرر الدعم العسكري والمالي الأمريكي للكيان باستخدام حجج مثل «حق يهود في الدفاع عن أنفسهم». ويركّز على الجانب الأمني والتحديات التي يواجهها كيان يهود، مع تقليل الاهتمام بمآسي المدنيين الفلسطينيين. هذا التوجه يُستخدم لتبرير استمرار المساعدات العسكرية للكيان، والتي تصب في مصلحة السياسات الإقليمية الأمريكية، مثل تعزيز النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط.

٥)التأثير من خلال وسائل التواصل جتماعي:

أثبتت وسائل التواصل الاجتماعي أنها أداة فعّالة في نقل الأحداث وتشكيل الرأي العام العالمي تجاه قضايا عالمية، من بينها قضية غزة، حيث تمكنت من تجاوز القيود التي تواجهها وسائل الإعلام التقليدية، وساهمت في زيادة الوعي والتعاطف مع قضية فلسطين على نطاق واسع، حيث تمكنت من نقل الأحداث مباشرة وتوثيقها، ما أثر تأثيرا واسعا على المواقف السياسية والشعبية، في حين تعرضت وسائل الإعلام الغربية الرئيسة لانتقادات بسبب التحيز في تغطيتها للأحداث في غزة، فتمكنت وسائل التواصل من سد الفجوات من خلال تقديم سرديات بديلة ونقل وجهات نظر متنوعة أسهمت في تسليط الضوء على الانتهاكات التي غالبًا ما تتجاهلها وسائل الإعلام، حيث أظهرت الدراسات أن الجمهور العربي تفاعل بشكل كبير مع المضامين المتعلقة بحرب غزة عبر الصفحات الإخبارية على مواقع التواصل الاجتماعي، ما يعكس الدور البارز لهذه المنصات في تشكيل الوعي الجماهيري والتأثير في الرأي العام. لذلك واجهت منصات التواصل الاجتماعي تحديات وضغوطًا حكومية للتأثير في سياسات المحتوى المتعلقة بحرب غزة، ما جعلها تغلق كثيرا من الصفحات والقنوات لأنها تتحدث بمصداقية وتكشف مخططات المتآمرين.

٦) دعم الحركات الاحتجاجية والثورات:

خلال ثورات الربيع العربي، أدى الإعلام السياسي دورًا كبيرًا في توثيق الأحداث وبثّها، ما أدى إلى زيادة التعبئة الشعبية والإطاحة بحكومات.

أما بالنسبة لوسائل الإعلام الدولية فأيضًا ساهمت في لفت أنظار العالم إلى القضايا السياسية في الشرق الأوسط.

٧) تحديات الإعلام السياسي:

على دوره الكبير، يواجه الإعلام السياسي في المنطقة تحديات كبيرة:

١. الرقابة والقمع: الكثير من الحكومات تفرض قيودًا صارمة على وسائل الإعلام، ما يحد من حريتها واستقلالها.

٢. التلاعب بالمعلومات: تُستخدم بعض وسائل الإعلام أدواتٍ لنشر دعايات سياسية وتوجيه الرأي العام.

٣. ضعف المهنية: غياب الموضوعية والمصداقية في كثير من التغطيات الإعلامية يؤدي إلى تشويه الحقائق.

❖ كيف يوظف الغرب الإعلام السياسي لخدمة مصالحه الاستعمارية؟

١ .الإعلام أداة لتشكيل الرأي العام: فهو وسيلة أساسية تُستخدم لتشكيل الرأي العام وتوجيهه، إذ تستغل القوى الغربية والدول الكبرى الإعلام السياسي لترسيخ الهيمنة الفكرية والسياسية على الشعوب، والترويج لمفاهيم تتفق مع مصالحها مثل الديمقراطية والليبرالية.

٢ .خضوع الإعلام للأنظمة السياسية: الإعلام في الأنظمة العلمانية يخضع للنظام السياسي الحاكم، ويُستخدم للترويج لسياسات الدولة وللتأثير على الرأي العام بما يخدم مصالح النخب الحاكمة. فليس الإعلام في

الدول القائمة اليوم أداة مستقلة، وإنما يخدم أجندات سياسية.

٣. تأثير الإعلام على صناع القرار: الإعلام السياسي يُستخدم كوسيلة للضغط على صانعي القرار سواء داخلياً أو خارجياً. ويوظف الإعلام لصنع مواقف سياسية محددة أو تبرير سياسات معينة، وقد يؤدي هذا إلى اتخاذ قرارات تنسجم مع ما يروَّج له إعلامياً.

٤. الإعلام جزءًا من الحرب الفكرية: الإعلام السياسي هو جزء من «الحرب الفكرية» ضد الأمة الإسلامية، إذ يُستخدم لتشويه صورة الإسلام، وإضعاف القيم الإسلامية، والترويج لقيم الغرب. لذا فإن للإعلام دورا كبيرا في التأثير على صناعة القرار السياسي في البلاد الإسلامية بما يخدم المصالح الغربية.

٥. تعمل وسائل الإعلام على تزييف الحقائق وتضليل الجماهير، ما يسهم في تمرير المخططات الاستعمارية وتثبيت الأنظمة العميلة. كما يقوم بالترويج لشخصيات ومفكرين يخدمون أجندات تلك القوى، مما يؤدي إلى إبعاد الأمة عن مشروعها الحقيقي في التحرر وإقامة الخلافة الإسلامية.

٦. بالإضافة إلى ذلك، يؤدي الإعلام دورًا في تزيين أعمال الأنظمة الحاكمة وبرامجها وتصويرها على أنها إنجازات كبيرة، بينما هي في الواقع لا تلبي طموحات الأمة ولا تسهم في نهضتها. هذا التزييف يسهم في إطالة عمر تلك الأنظمة والحيلولة دون تحقيق التغيير المنشود.

❖ الحروب الإعلامية والدعاية السياسية

- التضليل الإعلامي: نشر أخبار مزيفة أو تقارير منحازة لتبرير سياسات معينة أو تشويه سمعة دول أخرى.
- مثال: التضليل الإعلامي حول أسلحة الدمار الشامل في العراق قبل الغزو الأمريكي في ٢٠٠٣.
- الحملات الإعلامية الموجهة: الدول تستخدم الإعلام للتأثير على مواقف الحكومات الأخرى عبر ترويج دعايات سياسية أو اقتصادية.

ففي العصر الرقمي، أصبح الإعلام الجديد قوة رئيسة تؤثر على الحكومات والقرارات الدولية.

- الحملات الشعبية عبر الإنترنت: وسائل التواصل الاجتماعي تُستخدم لتنظيم حملات ضغط تؤثر على الحكومات.
- مثال: حملة "BlackLivesMatter" في الولايات المتحدة، دفعت الحكومات إلى تعديل سياسات الشرطة والقوانين المرتبطة بالعدالة الاجتماعية.
- الاستفادة من البيانات الضخمة: الحكومات تُراقب التوجهات الشعبية عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتحديد سياساتها.

الإعلام الدولي ودوره في التأثير السياسي:

يشكل الإعلام الدولي أداة قوية للتأثير السياسي على مستوى العالم، وتستخدمه بشكل أساسي القوى الكبرى لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية. فالإعلام الدولي ليس مجرد وسيلة لنقل الأخبار، بل هو أداة للهيمنة الفكرية والسياسية التي تسهم في تشكيل الرأي العام وتوجيه السياسات على الصعيدين

المحلي والدولي، حيث يُستخدم الإعلام الدولي لتوجيه وعي الشعوب والدول بما يتماشى مع مصالح القوى الغربية الكبرى، مثل الولايات المتحدة وأوروبا، عبر التلاعب بالمعلومات، وترويج الأكاذيب، وتغطية الأحداث بطريقة تخدم هذه المصالح. ويكون ذلك من خلال تحريف الحقائق وتوجيه الانتباه إلى قضايا معينة مع تجاهل أُخَر، ما يؤدي إلى تأثير مباشر على القرارات السياسية في البلاد الإسلامية وغيرها. فعلى سبيل المثال تنفق الوكالة الأمريكية للإعلام العالمي حوالي ١,٥ مليار دولار سنويا على الإعلام الموجه عالمياً بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي.

كما يُعد الإعلام جزءًا من النظام الدولي الذي يسعى إلى تقويض القوى الإسلامية والحد من تأثيرها السياسي على المستوى العالمي. فيُستخدم الإعلام بشكل رئيسي لتشويه صورة الإسلام وحركاته السياسية، حتى يكون عقبة أمام قيام مشروع الخلافة.

أولًا: دور الإعلام في تأجيج الأوضاع:

١. التغطيات المنحازة والاستقطاب السياسي:

□ الإعلام في الدول المتأثرة بالصراعات قد يتحول إلى أداة دعائية، حيث تتبنى وسائل الإعلام المختلفة وجهات نظر متناقضة تعكس مصالح الأطراف المتصارعة.

□ في سوريا: الإعلام الموالي للنظام يصور الثورة إرهابا مؤامراتيا، بينما تروج وسائل إعلام المعارضة لمظلومية الشعب وجرائم النظام. هذا الانقسام عزز حالة الاستقطاب وزاد من حدة الصراع.

□ في غزة: الإعلام «الإسرائيلي» يركز على تصوير المقاومة الفلسطينية خطرا أمنيا عالميا، في حين يستخدم الإعلام الفلسطيني لغة المقاومة والحق المشروع في مواجهة الاحتلال، ما يؤدي إلى تأجيج المشاعر المتضادة.

٢. إثارة المشاعر والتحريض على الكراهية:

□ الإعلام قد يعمل على تغذية الكراهية بين الأطراف المتنازعة عبر المبالغة في وصف الانتهاكات أو استغلال الصور المؤلمة.

□ في سوريا: الصور والفيديوهات التي تُظهر القصف الجوي على المدن والضحايا من الأطفال زادت من الغضب الشعبي وأثارت مشاعر الانتقام وكسرت حاجز الصمت، ما أفضى إلى المطالبة بإزاحة النظام والإطاحة به والمطالبة بتحكيم شرع الإسلام.

□ في غزة: بث مشاهد القصف على المدنيين والمستشفيات عزز الغضب الشعبي وزاد من الالتفاف حول المقاومة وتأييدها وإدراك خيانة الحكام لغضهم الطرف عن نصرة أهل غزة.

٣. نشر الأخبار الكاذبة والشائعات:

□ الأخبار الزائفة تزيد من تعقيد الأوضاع من طريق تغذية الهلع أو تشويه الحقائق: فعند اندلاع الثورة السورية حاول الإعلام الغربي ربط الثورة السورية بالجماعات التي اتهمتها بالإرهاب، مثل تنظيم الدولة (داعش)، وذلك

لتشويه صورة الثورة وإضعاف الدعم الشعبي لها. هذه الأخبار كانت ذريعة للتدخل الدولي لدعم التدخل العسكري الغربي تحت ادعاء "محاربة الإرهاب"، بينما الهدف الحقيقي كان السيطرة على مسار الثورة ومنعها من تحقيق أهدافها الإسلامية.

٤ .استغلال الإعلام أداةً حرب ناعمة

استخدام الإعلام أداةً للحرب الناعمة خلال الحرب الباردة كان أحد أبرز الجوانب في الصراع بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. كلا الطرفان استخدم وسائل الإعلام بشكل مكثف للتأثير على الرأي العام العالمي وتعزيز أيديولوجيته.

➢ أمثلة على ذلك:

□ الولايات المتحدة استخدمت إذاعات مثل صوت أمريكا (Voice of America) وراديو أوروبا الحرة (Radio Free Europe) لنشر رسائلها السياسية والثقافية، وللتأثير على سكان أوروبا الشرقية والدول التابعة للاتحاد السوفيتي. ركزت هذه الإذاعات على تسليط الضوء على الديمقراطية الغربية، حقوق الإنسان، والازدهار الاقتصادي.

□ الاتحاد السوفيتي رد باستخدام إذاعات، مثل راديو موسكو، والتي كانت تبث رسائلها للدفاع عن الشيوعية ومهاجمة الرأسمالية الغربية والاستعمار.

مثال آخر:

□ في الولايات المتحدة، أُنتجت أفلام سينمائية تظهر تفوق النظام الديمقراطي والرأسمالي، مثل الأفلام التي ركزت على "الحلم الأمريكي" وحرية الفرد. كما نُشرت مجلات تروج للثقافة الغربية مثل مجلة تايم ولايف، التي وصلت إلى دول حول العالم. هذا إلى جانب البرامج التلفزيونية التي تظهر مستوى المعيشة المرتفع في الغرب، في حين أن الإعلام السوفييتي استغل السينما والمسرحيات الدعائية لتمجيد الاشتراكية وتعزيز فكرة أن الاتحاد السوفيتي هو المدافع عن العمال والفقراء..

كيف وظف حزب التحرير الإعلام السياسي لدعم طريقته في إقامة الخلافة؟

يُولي حزب التحرير أهمية كبيرة لدور الإعلام في تشكيل الرأي العام والتأثير على الأحداث السياسية في الشرق الأوسط. فينشر تحليلاته السياسية، من خلال مراقبته أعمال الدول الكبرى المؤثرة في السياسة، ويحلل أسباب الحروب والصراعات في العالم الإسلامي، إذ يَعدّها صراعًا على المصالح بين الدول الكبرى.

يرى الحزب أن الإعلام أداة رئيسية في نقل المعلومات وتشكيل الثقافة السياسية لدى الأمة، فهو يسهم في تطعيم المعارف والخبرات السياسية وتشكيل الرأي العام. كما يرى أن وسائل الإعلام تؤدي دورًا محوريًا في تقديم المعلومات لصانع القرار، وتمكين الأنظمة السياسية من توجيه الرأي العام وضبطه.

من هذا المنطلق، يعتقد حزب التحرير أن الإعلام يمكن أن يكون سلاحًا ذا حدين؛ فقد يسهم في توعية الشعوب وتوجيهها نحو التغيير الإيجابي، وقد يُستخدم أداةً لتضليل الجماهير

وتثبيت الأنظمة القائمة. لذلك، يركز الحزب على أهمية الوعي الإعلامي وضرورة استقاء المعلومات من مصادر موثوقة، لتجنب الوقوع في فخ الدعاية الموجهة التي تخدم مصالح جهات معينة على حساب الأمة الإسلامية.

يوجه حزب التحرير الإعلام السياسي بشكل يخدم طريقته في إقامة الخلافة الإسلامية عبر مجموعة من الأساليب والممارسات التي تتسق مع رؤيته الأيديولوجية والسياسية. ويمكن تلخيص هذه التوجهات في النقاط التالية:

١. الترويج للفكرة المركزية (إقامة الخلافة الإسلامية):

يركز الحزب في إعلامه السياسي على أهمية إقامة الخلافة الإسلامية وضرورتها، من حيث هي الحل الجذري للمشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية. ويوجه الرسائل الإعلامية باتجاه تأكيد أن تطبيق الشريعة الإسلامية بإقامة الخلافة هو واجب شرعي وضرورة سياسية.

٢. كشف عيوب الأنظمة الحالية:

يعتمد الحزب تسليط الضوء على فشل الأنظمة القائمة في العالم الإسلامي (سواء أكانت ديمقراطية أم علمانية أم رأسمالية) في تحقيق نهضة الأمة. والهدف هو إقناع الأمة بعدم جدوى هذه الأنظمة والحاجة إلى بديل يتمثل في الخلافة.

٣. إبراز النموذج الإسلامي:

يستخدم الحزب الإعلام لإظهار أن الخلافة الإسلامية تمثل نموذجاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً عادلاً وقادراً على توحيد الأمة. ويركز على أمثلة تاريخية من العصر الذهبي للإسلام لدعم حجته.

٤. توظيف الأدوات الإعلامية الحديثة:

ينشط الحزب عبر وسائل الإعلام التقليدية مثل الصحف والنشرات السياسية.

ويركز أيضاً على المنصات الرقمية مثل مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك، إكس، يوتيوب) لنشر الرسائل بشكل واسع وللوصول إلى شريحة الشباب.

٥. الحشد الجماهيري:

ينظم الحزب فعاليات ومؤتمرات وندوات توضح رؤيته، مع توجيه الإعلام لتغطية هذه الأحداث بهدف توسيع قاعدة التأييد الشعبي.

٦. انتقاد الغرب وكشف مؤامراته:

يُظهر الحزب الإعلام السياسي الغربي باعتباره خصماً للأمة الإسلامية، ويروج لفكرة أن القوى الكبرى تعرقل إقامة الخلافة، لأن إقامتها تعارض مصالحها الاستعمارية.

٧. استغلال الأزمات:

يُركز الحزب على تحليل الأزمات التي تعاني منها الأمة، مثل الاحتلال والفقر والاستبداد، ويربطها بعدم وجود نظام الخلافة، مقدماً إياها حلا شاملا لجميع المشكلات.

٨. اللغة العاطفية والشعارات الإسلامية:

يعتمد الحزب لغة إعلامية تلامس مشاعر المسلمين، مثل الحديث عن الوحدة الإسلامية والهوية والعزة والكرامة، ما يزيد من تأثير خطابه.

٩. توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي:

يستخدم الإعلام السياسي لتوجيه الرأي العام في الأمة الإسلامية باتجاه الالتفاف حول

مشروع الخلافة والعمل لإقامتها.

أما على الصعيد الدولي، فيعمل إعلام الحزب على كشف السياسات الغربية الاستعمارية، وفضح تدخلاتها في العالم الإسلامي.

❖ الإعلام السياسي في دولة الخلافة

سيكون الإعلام جهازاً من أجهزة الدولة مرتبطا مباشرة بالخليفة، بوصفه جهازا مستقلا، شأنه شأن أي جهاز آخر من أجهزة الدولة وسيكون دوره:

١ .التعريف بالدولة الإسلامية ورسالتها:

□ سيستخدم الإعلام في الدولة الإسلامية لتعريف الناس، سواء داخل الدولة أو خارجها، بأهداف الدولة الإسلامية القائمة على تطبيق الشريعة وحمل الدعوة الإسلامية عالميًا.

□ سيُركّز على إبراز عدالة الإسلام وحلوله الشاملة لمشكلات البشر، في مقابل فضح فساد الأنظمة الوضعية (الرأسمالية والاشتراكية وغيرها).

□ نشر العقيدة والخطاب الديني:

ستستخدم دولة الخلافة الإعلام منصةً مركزية لنشر فهمها للإسلام والشريعة، وتعزيز رؤيتها للعالم. ستُقدم وسائل الإعلام رسائل تهدف إلى غرس أفكار الوحدة الإسلامية، والولاء لدولة الخلافة، وتوضيح الفرق بينها وبين النظم السياسية الأخرى.

□ إعادة تعريف الهوية:

ستعمل على إعادة تشكيل هوية الأفراد والجماعات بما يتماشى مع رؤيتها، من خلال تعزيز ثقافة الأمة الإسلامية الواحدة فوق الحدود القومية.

٢ . التحكم المركزي بالإعلام

□ سيطرة الدولة على وسائل الإعلام:

سيُدار الإعلام تحت إشراف الدولة لضمان توافقه مع أهداف الخلافة.

□ مراقبة المحتوى وتوجيهه:

ستُفرض الرقابة الصارمة على المحتوى الإعلامي لتجنب نشر الأفكار المخالفة للإسلام والضارة للدولة.

٣ .الإعلام وسيلةً للتأثير الدولي

□ تصدير الرؤية السياسية والدينية:

ستسعى دولة الخلافة إلى استخدام الإعلام السياسي أداةً دبلوماسيةً للتأثير في المجتمعات المسلمة في الخارج، وتعزيز ولاء الجاليات المسلمة للدولة.

□ الحروب الإعلامية:

ستُستخدم وسائل الإعلام لتحدي القوى الدولية التي تُعارض دولة الخلافة، ولتقديم نفسها بديلا للنظام العالمي الحالي. ستُستغل منصات مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للوصول إلى الجماهير خارج حدود الدولة.

□ حمل الدعوة الإسلامية إلى العالم:

وظيفة الإعلام ليست محصورة في القضايا الداخلية فقط، بل تُعد وسيلة لحمل الإسلام رسالةً عالمية. حيث يُستخدم الإعلام لعرض صورة مشرقة للإسلام بصفته رسالة رحمة، من خلال شرح الأحكام الشرعية والتاريخ الإسلامي، وربطها بالواقع المعاصر.

٤ .توظيف التكنولوجيا الحديثة

□ الإعلام الرقمي:

ستُعزز دولة الخلافة استخدام التكنولوجيا الحديثة، بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، للترويج لرسائلها وحمل الدعوة الاسلامية الى العالم.

□ إنتاج المحتوى المرئي والمسموع:

ستُركز الدولة على إنتاج أفلام وثائقية وبرامج حوارية وخطب موجهة للجماهير، بهدف تعزيز شرعية الدولة وتوضيح رؤيتها.

٥ .الإعلام أداة تعبئة

□ دعم الجبهات العسكرية والسياسية:

سيستخدم الإعلام لتعبئة رعايا الدولة ضد الأعداء الداخليين والخارجيين، وتعزيز الدعم للجهود العسكرية والسياسية.

□ إشراك أفراد الأمة:

سيُروج الإعلام لخطاب يشجع على المشاركة في بناء الدولة ودعم أجهزتها.

٦ .مواجهة التحديات الإعلامية والحروب الفكرية:

□ محاربة «الإعلام المعادي»: ستكون الدولة مستهدَفة بحروب فكرية وإعلامية من الدول الغربية وأعداء الإسلام، لذلك ستُمنع المحتويات التي تُخالف الإسلام، كالأفكار العلمانية أو الليبرالية، التي يراها الحزب تهديدًا لهوية الأمة والتصدي للحملات الدعائية التي تستهدف الإسلام وتشوه صورته.

□ نشر «الحقائق البديلة»:

ستُروج روايتها الخاصة للأحداث السياسية والاجتماعية في مواجهة التغطيات الدولية التي قد تُصورها بصورة سلبية.

٧ .بناء مؤسسات إعلامية متخصصة

□ وكالات أنباء عالمية:

إنشاء وكالات أنباء تُغطي الأحداث من وجهة نظر الدولة، فتركز على قضايا الأمة الإسلامية على مستوى العالم.

□ قنوات تلفزيونية وإذاعات:

إنشاء قنوات موجهة باللغات المختلفة للوصول إلى جمهور عالمي.

□ مواقع ومنصات إلكترونية:

بناء مواقع إلكترونية متعددة اللغات تسعى للتأثير في الرأي العام العالمي.

وختاما:

إن الإعلام النقي هو نبض الأمة وصوتها الصادق، يخاطب العقول ويحرك المشاعر، ويُبصّر العالم بنور الهداية الربانية. لا تحكمه أهواء ولا تضلله أجندات. عبره تُبنى الجسور بين الشعوب، ويُفضح الظلم والاستبداد، ويُحمل الإسلام رسالة نور ورحمة للبشرية جمعاء، فيكون منارة تضيء الطريق للأمة ومرآة تعكس الحقائق للعالم.

إنه إعلام يتجاوز حدود المصالح الضيقة، فينطق بالحق ويعلن رسالة الإسلام، فيكون شاهدًا على حضارة تقوم على الحق والعدل، وتُعيد للأمة الإسلامية مكانتها بين الأمم كما أرادها الله أن تكون.■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام ودوره الخبيث

مياس المكردي- اليمن

إن الإعلام يؤدي دورًا كبيرًا جدًا، وقد استخدمه الغرب الكافر وسيلةً ناجحة للترويج لسياساته، سواء في بلدانهم التي يحكمونها بشكل مباشر أو في بلاد المسلمين التي هي تحت قبضتهم. فعندما غزا الغرب بلاد المسلمين وسيطر على كل مقوماتها، سواء الفكرية أو المادية، جعلوا الإعلام يؤدي الدور الأهم في الترويج لحضارتهم. كما أن السوق بحاجة لمنتجات، فإن الإعلام كان العامل الأهم الذي جعل الغرب يحكم قبضته على العالم، وهم يدركون حقيقة الإعلام ومدى استفادتهم منه.

فلا يخفى عليكم ما تقوم به الفضائيات ووسائل الإعلام التي تخدم صراحة دول الاستعمار الغربي الكافر وتنطق باسمه، كقناة «بي بي سي»، التي تخدم السياسة البريطانية وتدافع عن مشاريعها الاستعمارية وأطماعها ومصالحها في بلادنا، ومجموعة فضائيات «الحرة» التي تخدم الرؤية الأمريكية في بلادنا، وقناة «روسيا اليوم» التي تبثُّ دعايتها على نمط الدعاية السوفياتية القديمة التي تمجد روسيا وآلتها الحربية وصناعاتها وتحاول أن تزاحم الغرب في بلادنا، وقناة «الجزيرة» التابعة لقطر والتي تدين بالولاء لبريطانيا، فمهمة «الجزيرة» تتواءم مع الـ«بي بي سي» وتخدم المشاريع والمصالح الاستعمارية التي تقرها بريطانيا وتروج لها. فوقوف الجزيرة أمام المشاريع الأميركية لا يأتي إلا ضمن محاولة بريطانيا لمزاحمة أمريكا في الحصول على جزء من الكعكة في بلادنا، وقناة «العربية» تتبع النظام السعودي التابع لأمريكا والذي يحارب الإسلام تحت عنوان «محاربة الإرهاب»، فهي في الحقيقة أبواق نشاز تنعق بما تريده الأنظمة.

وكذلك تقع معظم الفضائيات ووسائل الإعلام الخاصة فريسة للغرب الكافر عبر تمويله لبرامج ومشاريع تروج للعلمانية والسفور وخروج المرأة عن ولاية وليّها، كما هو الحال في معظم البرامج الإذاعية المموَّلة من الجمعيات النسوية المموَّلة بدورها من المؤسسات الغربية التي تعيث فساداً في بلاد المسلمين.

ولا يخفى على الجميع أن هدفها الحقيقي محاربة الإسلام من حيث هو عقيدة ونظام حياة، ومحاولة إبعاده عن السياسة، وفصل الدين عن السياسة... وكما تعمل قنوات الضرار على تحقيق هذا الهدف الخبيث من خلال البرامج الحوارية التي ترسخ مفهوم العلمانية وتهاجم الإسلام من حيث هو نظام حياة، وتشترك في ذلك معظم القنوات والفضائيات التي تروج لعلماء السلاطين ورؤيتهم للأوضاع من منظور الأنظمة العميلة للغرب.

وهذا كله بلا شك حدث عندما فقدنا الأم الحاضنة (الخلافة)، إذ استطاع الغرب السيطرة على بلاد المسلمين والتسلط على مقوماتها، فجعل الإعلام يؤدي الدور الأهم في تضليل الشعوب الإسلامية، حيث تم تغييب مقومات المسلمين الفكرية عن أذهان الأمة. وكان للإعلام دور كبير في تغييب هذه المقومات.

على سبيل المثال، نظام حكم الإسلام الذي يعد من مقومات الأمة الأساسية، استطاع الغرب من خلال غزوه الفكري واستعماره العسكري أن يسقطه، وهو الذي كان يجمع المسلمين تحت راية واحدة وكيان سياسي واحد. وقد جاءت آيات الله تحثنا على الوحدة وتخاطب الفرد والجماعة بالتزام أحكام الإسلام. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. لكن الإعلام لعب دورًا مهمًا حتى لا يتسنى للمسلمين العودة إلى هذا المنهج أو حتى معرفتهم لواجبهم الحقيقي.

وأصبح تقسيم الأمة ووضع أنظمة الغرب الكافر أمرًا مقبولًا لدى الكثير من الناس، بما فيهم أصحاب الشهادات العليا. فصارت الديمقراطية «إسلامية» بفتوى مشايخ وترويج لبعض الفئات دون أن يكون لهم أي مرجع شرعي. وهذا كذب وزور لأجل مصالحهم الشخصية. وهناك من يُفتون بفتاوى تدوي في الأرض والسماء دون أن يشعروا بما يقولون، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾.

إن المتقولين قول الزور، أتاح الإعلام لهم وسيلة سهلة للترويج لحضارة الغرب. وكذلك تم تدمير مقومات الأمة الفكرية والمادية في مجالات الاقتصاد والتعليم، وحتى في الجانب العسكري والثروات وسائر المقومات، وأدى الإعلام دوره في إحلال حضارة الغرب وثقافته محلها.

ولكن هيهات هيهات، لقد انقشع الظلام، فما قدمته هنا يحمل الكثير من الأسئلة العميقة التي تدور حول واقع الأمة الإسلامية بعد هدم الخلافة، والأسباب التي أدت إلى ما وصلنا إليه من ضعف وتشتت، بالإضافة إلى دور الإعلام في صياغة وعي الشباب والمجتمع. الحديث عن هذه القضايا يفتح المجال للكثير من التأملات حول كيفية استغلال الأمة للمصادر الحديثة المتاحة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، لتحقيق تغيير حقيقي وتغيير موازين القوى لصالحها.

في البداية، يجب الاعتراف بأن الأمة الإسلامية قد عانت من صراعات داخلية وخارجية، تمثلت في انهيار الدولة الإسلامية وظهور الكثير من الأنظمة الفاسدة التي تحالفت مع القوى الاستعمارية، مثل بريطانيا وفرنسا، للتخلص من الخلافة. هذا التعاون مع القوى الاستعمارية كان سببًا رئيسًا في هدم وحدة الأمة، التي كانت محكومة بشريعة الله، مما فتح الباب للفتن والصراعات والتمزق بين الدول العربية والإسلامية.

أما الإعلام فقد أدى دورًا كبيرًا في تشكيل الوعي العام وتوجيهه، وكان في الكثير من الأحيان أداة في يد المستعمرين لفرض ثقافتهم

وأيديولوجياتهم على الشعوب. منذ بداية القرن العشرين، بدأ الإعلام في العالم العربي وسائر العالم الإسلامي يخضع لتوجيهات قوى استعمارية، ما جعل صوت الأمة مشوشًا، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الكبرى مثل إعادة الخلافة وقضية القدس وفلسطين.

لكن مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، بدأ الوضع يتغير. وعلى الرغم من محاولات الغرب توجيه هذه الوسائل أيضًا لخدمة مصالحه، فإن المسلمين اليوم قادرون على استخدام هذه الوسائل لنشر وعيهم، وتبادل الأفكار، وتنظيم الحملات التضامنية، مثل تلك التي شهدناها في عملية «طوفان الأقصى» والتي أصبحت تثير اهتمام الأمة الإسلامية والعالم بأسره، بل إن العاملين في حقل الإعلام المنتمي للأمة شغلهم الشاغل أن يعيدوا صياغة الأخبار لتكون منحازة تماماً للأمة، وقد خطت بعض المواقع المنتمية للأمة المنحازة لدينها في ذلك خُطا جيدة يجب أن تتركز وتتنامى.

فموقع الناقد الإعلامي مثلاً يعيد صياغة الخبر ليزيل عنه ما علق به من سموم إعلامية جاءت عبر صياغة الإعلام المأجور. وخطت صفحة نبض الأمة خطوات في ذلك المجال وشقت طريقها في العمل على ترسيخ فكرة الإعلام المنتمي لأمته المنحاز لثقافتها. وكذلك أصبحت جريدة الراية عنواناً لذلك الإعلام المتبني لقضايا الأمة الإسلامية. وكذا عناوين المكاتب الإعلامية وشتى الصفحات في وسائل التواصل الاجتماعي أكبر دليل على ذلك، رغم الحرب المستعرة على هذه المنصات، إذ سرعان ما يتم استئناف العمل من جديد. ولله الحمد أصبح في يد المسلمين أداة قوية لنقل الأخبار والتفاعل مع قضاياهم.

لقد فتحت وسائل التواصل الاجتماعي أبوابًا كانت مغلقة أمام حَمَلَة سابقًا، حيث يمكنهم الآن نشر الوعي على قضاياهم الإسلامية، بما في ذلك قضية القدس، التي للأسف نسيتها كثير من الأنظمة الإعلامية التقليدية، حتى وإن سُلط الضوء على فلسطين ولكنه عكس المطلوب، فالأصل أن يكون تسليط الضوء على الحل الجذري.

نحن اليوم في وضع فريد، حيث أصبح لدينا الإمكانية لإعادة بناء الوعي السياسي والديني والثقافي للأمة الإسلامية، من خلال الاستفادة الكاملة من وسائل التواصل. هذا هو التحدي الذي يجب أن نواجهه جميعًا. وأكبر مسؤولية تقع على عاتق حملة الدعوة والمسلمين عموما في جميع أنحاء العالم هي توظيف هذه الوسائل في خدمة قضاياهم الإسلامية، وتحقيق وحدة الأمة وإقامة الفرض العظيم (الخلافة) التي دافع عنها الصحابة والتابعون ومن لحقهم من السلف الصالح.

الفرصة قائمة الآن أمامنا لنعيد الخلافة الإسلامية التي بعودتها تحل كل القضايا، فتحرر فلسطين، وتجعل القدس عاصمة الخلافة الراشدة إن قررت ذلك. فلنستعد عز الإسلام من خلال الوعي الصحيح والعمل الجماعي مع الرائد الذي لا يكذب أهله، إنه حزب التحرير.■

بسم الله الرحمن الرحيم

مواجهة تحيز وسائل الإعلام الغربية

الأستاذ موجيانتو

لأكثر من عام استمرت هجمات جيش الاحتلال على قطاع غزة، ولا توجد إلى الآن أية مؤشرات على انتهاء الحرب، بل إن جيش الاحتلال واصل قصف كل شيء، سواء كانت الأهداف مستشفيات أو مرافق عامة، دون أن يبالي بالضغوط الدولية لوقف الإبادة الجماعية في قطاع غزة.

وبذريعة الرد على الهجوم الذي شنه مقاتلو حماس في ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، هاجمت قوات يهود غزة، وقتلت أكثر من ٤٨ ألف شهيد في حرب وحشية، وتحولت منطقة شمال قطاع غزة إلى منطقة مدمرة بالكامل تقريباً حتى كادت أن تسوّى بالأرض، وفقد أهلها منازلهم وأجبروا على الفرار إلى منطقة جنوب غزة.

ولم يكتف جيش يهود بشن هجمات عسكرية، بل حظي أيضاً بدعم الإعلام الغربي. وكما هو معلوم فإن هذه الرؤية الإعلامية لا تزال تشكل مرجعاً للجمهور العالمي حتى الآن وتؤثر على تصور المجتمع العالمي لما حصل تأثيرا كبيرا.

التحيز المقصود

وفي قضية هجوم جيش يهود على غزة في فلسطين، فإن موقف الإعلام الغربي واضح للغاية، حيث إنهم وقفوا خلف جيش يهود. وقال أستاذ القانون فيصل كوتي في مقال له نشر على موقع *middleeasteye.net* (٢٠٢٤/٢/٢٤): «إن الإعلام الغربي عزز منذ ٧ أكتوبر/تشرين الأول الكراهية ضد العرب والدعاية المؤيدة لإسرائيل وتبرير جرائم الحرب».

ونقلاً عن كتاب *Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media* dan *The Political Economy of Human Rights*, من تأليف إدوارد إس هيرمان ونعوم تشومسكي، قال فيصل: «إن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة تعمل كمؤسسة مبدئية أي أيديولوجية فعالة لنشر مصالح أصحاب السلطة من خلال آليات الإقناع والرقابة الذاتية الخفية».

ويؤكدون أن هذا واضح بشكل خاص في القضايا التي تنطوي على مصالح اقتصادية وسياسية أميركية مهمة، حيث تعمل وسائل الإعلام في كثير من الأحيان كوكالات دعاية للدولة.

ويؤيد هذا الواقع التعليمات المسرّبة التي أصدرتها الإعلامية الشهيرة «نيويورك تايمز \ *The New York Times*» لصحافييها الذين يغطون الحرب اليهودية على فلسطين إلى الجماهير، وفي نسخة من المذكرة التي حصل عليها موقع ذا إنترسبت (*The Intercept*)، وجد

أن صحيفة نيويورك تايمز منعت صحافييها من استخدام مصطلح «الإبادة الجماعية» و«التطهير العرقي» في الحرب التي وقعت على قطاع غزة، كما وجهوا تعليماتهم بتجنب استخدام عبارة «الأراضي المحتلة» في وصف الأراضي الفلسطينية.

ومن تلك المذكرة عرف أن صحيفة التايمز أصدرت تعليمات للصحفيين بعدم استخدام كلمة «فلسطين» في تقاريرهم الإخبارية إلا في حالات نادرة للغاية. ومع أن الوثيقة في ظاهرها قدمت على أنها مخطط لموقف الصحيفة حفاظا على المبادئ الصحفية الموضوعية عند عرض حرب غزة، فقد جمع موقع «ذا إنترسبت» آراء العديد من موظفي الصحيفة، والتي يقدم محتواها دليلاً على تحيز الصحيفة تجاه الدعاية اليهودية.

وعرف أن هذا الدليل تم توزيعه لأول مرة على الصحفيين في نوفمبر ٢٠٢٣ واستمر تحديثه بانتظام. وهذا نوع من المبادئ التوجيهية (*guidelines*) أو شكل من أشكال العرض الداخلي لطريقة تفكير محرري صحيفة تايمز الدولية كي يلتزمها صحافيوها.

وقال تشارلي ستادتلاندر المتحدث باسم صحيفة التايمز، يوم الاثنين (١٥ أبريل ٢٠٢٤): «إن إصدار إرشادات مثل هذه لضمان الدقة والاتساق والوضوح في كيفية تغطيتنا للأخبار هو ممارسة قياسية عادية، فمن خلال إعداد تقاريرنا، بما في ذلك الأحداث المعقدة مثل هذا، نحرص على ضمان أن تكون اختياراتنا اللغوية حساسة وحديثة وواضحة لجمهورنا».

وفعلا كل مؤسسة صحفية لديها معايير في إنتاج أخبارها، لكن هذا المعيار يصبح غريباً عندما يطبق على العنف الذي يرتكبه جنود كيان يهود وحدهم، وخاصة عندما يريد المجتمع العالمي الحصول على معلومات حقيقية.

ويرى فيصل أن اختيار وسائل الإعلام الغربية للكلمات يعكس تحيزا في التقارير وميولا إلى الانحياز لكيان يهود. فعلى سبيل المثال، عندما يكون هناك ضحية وفاة يهودية يقال قد قُتل، وإن كان فلسطينياً يقال قد توفي. إن استعمال هذا المصطلح مليء بالمعنى. وتشير وسائل الإعلام الغربية إلى الأطفال «الإسرائيليين» باعتبارهم «أطفالاً» أو «رهائن»، لكنها تشير إلى الأطفال الفلسطينيين باعتبارهم «قاصرين» و«سجناء».

وقال أستاذ القانون هذا: «تكاد جميع وسائل الإعلام الغربية الكبرى تنشر الكراهية عن قصد أو عن غير قصد، والتحريض على الإبادة الجماعية، وروايات نزع الصفة الإنسانية، وتبرير جرائم الحرب، والدعاية اليهودية والتضليل». في هذه الأثناء، نشرت منظمة «الإنصاف والدقة في إعداد التقارير (Fairness and Accuracy in Reporting)» تقريراً بعنوان «الصحف الرائدة حرفت نقاش غزة نحو وجهات النظر اليهودية والحكومية (”Leading Papers Skewed Gaza Debate Toward Israeli and Government Perspectives“)». تلك الدراسة ركزت على صحيفتي نيويورك تايمز وواشنطن بوست (*New York Times* dan *Washington Post*)، ووجدت أنه على الرغم من الجهود

المبذولة لإدخال الأصوات الفلسطينية، فإن محرري الرأي حرفوا نقاش غزة نحو منظور يركز على كيان يهود وأعطوا صوتا واسع النطاق لمسؤولي الحكومة.

وخلص تقرير آخر صادر عن موقع «ذا إنترسبت» إلى أن الصحف الأميركية الكبرى أولت أهمية غير متناسبة للوفيات اليهودية في ذلك الصراع، واستخدمت لغة عاطفية لوصف الضحايا (الإسرائيليين) دون الضحايا الفلسطينيين، وغطت أعمال معاداة السامية في الولايات المتحدة، بينما تجاهلت إلى حد كبير العنصرية ضد المسلمين بعد السابع من أكتوبر.

في الرابع من فبراير/شباط، نشرت صحيفة الجارديان (*The Guardian*) تقريرا استقصائيا عن جهد متعمد من جانب كبار قادة شبكة سي إن إن (CNN) لتثبيت نبرة مؤيدة لكيان يهود. وقد ثبت ذلك على أرض الواقع من خلال اعترافات عشرة صحفيين قاموا بتغطية الحرب في غزة لصالح اثنتين من شبكات الأخبار الرائدة في العالم، سي إن إن، وبي بي سي (CNN & BBC).

وكشفوا عن العمليات الداخلية لغرف الأخبار في كلتا الوسيلتين الإعلاميتين منذ هجمات ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣ والتحيز المزعوم لصالح كيان يهود والمعايير المزدوجة المنهجية والانتهاكات المتكررة للمبادئ الصحفية أثناء التغطية. وفي إحدى الحوادث على شبكة CNN، بُثت دعاية يهودية كاذبة على الرغم من التحذيرات المسبقة من قبل هيئة التحرير، وتم الكشف عن قضية التغطية من قبل الصحفيين في برنامج «The Listening Post» على قناة الجزيرة، وهو برنامج أسبوعي يشرح عالم الإعلام، من أجل الفيلم الوثائقي «غزة الفاشلة: خلف عدسة وسائل الإعلام الغربية (*Failing Gaza: Behind the Lens of Western Media*)».

وقال مراسل شبكة CNN، الذي طلب عدم الكشف عن هويته، إنه قبل هجمات ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، كانت لديه ثقة كبيرة في الممارسات الصحفية في مكتبه، ولقد فقدت هذه الثقة بعد هجمات ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م حيث دعمت أخبار CNN الدعاية اليهودية بشكل كامل.

وقد وقعت حادثة محرجة بشكل خاص في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢٣، عندما انضم محرر الشؤون الدبلوماسية الدولية في شبكة CNN، نيك روبرتسون، إلى جنود كيان يهود لزيارة مستشفى الرنتيسي للأطفال الذي تعرض للقصف في غزة، وقال المتحدث العسكري دانييل هاجاري إنه عثر داخل المستشفى على أدلة تشير إلى أن حماس تستخدم المستشفى لإخفاء سجناء يهوديين، وأظهر المتحدث العسكري لروبرتسون وثيقة معلقة على الحائط مكتوبة باللغة العربية، وقال إنها تحتوي على قائمة بأعضاء حماس الذين يشرفون على الأسرى، وقال هاجاري لروبرتسون: ««هذه قائمة الحراسة، وكل إرهابي يأتي دوره».

وقال الصحافي إن «هذه ليست قائمة حماس على الإطلاق، بل كانت عبارة عن تقويم، وكانت أيام الأسبوع مكتوبة باللغة العربية»، لكن التقارير الصادرة عن نيك روبرتسون

ابتلعت ادعاءات كيان يهود.

والأسوأ من ذلك، كما قال المراسل، أن المزاعم اليهودية رفضها الناطقون باللغة العربية على وسائل التواصل الاجتماعي قبل بث تسجيلات CNN، ووفقًا للعديد من صحفيي CNN ومحادثات واتساب الداخلية التي شاهدتها الجزيرة، فقد أخبر منتج فلسطيني زملاءه بالفعل، بما في ذلك روبرتسون، ولكن تم تجاهلهم. وبعد بث التقرير على شاشة التلفزيون، حاول منتجون آخرون إصلاحه قبل نشره على الإنترنت، ولكن نيك لا يهتم بآراء زملائه.

وأضاف المراسل أنه في الآونة الأخيرة، عندما أعلن مسؤولو الصحة في غزة أن الهجمات اليهودية قتلت أكثر من ٤٠ ألف شخص، وأمر مدير تحرير شبكة CNN مايك مكارثي فريقه بوضع حماس في سياقها ومحاسبتها. وفي حين كانت مذيعة شبكة CNN بيكي أندرسون تطلع المشاهدين على آخر التطورات في أغسطس/آب الماضي، قالت في برنامجها الإخباري: «تقول وزارة الصحة في غزة إن أكثر من ٤٠ ألف فلسطيني قتلوا منذ مذبحة السابع من أكتوبر/تشرين الأول التي نفذتها حماس في إسرائيل والتي أشعلت شرارة الحرب». ولم يكتف المذيع بذلك بل قال إن شبكة CNN لم تتمكن من التأكد من عدد الضحايا. ويقول خبراء بارزون إن هذا الرقم ربما يكون أقل من الواقع.

لا يقتصر الأمر على وسائل الإعلام الأمريكية فحسب، بل إن وسائل الإعلام البريطانية الرائدة، كهيئة الإذاعة البريطانية BBC هي كذلك أيضا. فكانت نتائج أخبار موقع Drop site news السبت (٢٠٢٤/١٢/٢٨)، تكشف عن دور محرر هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» رافي بيرج الذي كان يملك سيطرة شبه كاملة على التغطية الإعلامية البريطانية عبر الإنترنت للحرب «اليهودية» على غزة، وحرص على نقل جميع الأحداث بصورة مؤيدة لـ(إسرائيل) تحيزا منه لها.

وبحسب موقع دروب سايت نيوز (*Drop Site News*)، الذي تحدث إلى ١٣ من موظفيه الحاليين والسابقين، فإن تغطية هيئة الإذاعة البريطانية للأحداث تسيء باستمرار إلى حياة الفلسطينيين، وتتجاهل الفظائع اليهودية، وتخلق تكافؤًا زائفًا في صراع غير متكافئ تمامًا. وقال صحفي آخر في هيئة الإذاعة البريطانية إن بيرج لعب دورا رئيسا في ثقافة «الدعاية اليهودية المنهجية» الأوسع نطاقا في هيئة الإذاعة البريطانية.

وفي إحدى الحالات قلل بيرج من أهمية اتهامات منظمة العفو الدولية «لإسرائيل» بارتكاب إبادة جماعية في غزة، وقال إن (إسرائيل) ترفض ادعاء الإبادة الجماعية «المفبرك»، لوصف تقرير منظمة العفو الدولية، ولم تنشر القصة لمدة ١٢ ساعة بعد كتابتها للحد من انتشارها على الإنترنت.

وأشار الصحفيون الذين أجرى موقع Drop Site مقابلات معهم إلى أن تقرير منظمة العفو الدولية لم يُتناول في برامج الأخبار الرئيسية لهيئة الإذاعة البريطانية: News At One أو News At Six أو News At Ten على قناة BBC One أو برنامج الشؤون الجارية

الرئيسي، Newsnight على قناة BBC Two.

واستخدمت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) أيضًا العبارات المخففة التي يفضلها جيش يهود لإخفاء جرائم الحرب التي ارتكبها جنوده. فعلى سبيل المثال، تصف هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) التهجير القسري أو التطهير العرقي للمدنيين الفلسطينيين بـ»الإخلاء».

وفي إحدى الحالات، وصفت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) حصار كيان يهود الشامل لقطاع غزة بعنوان يقول: «إسرائيل تنوي قطع العلاقات مع غزة بعد الحرب مع حماس».

وفي كندا، الوضع ليس أفضل. فلقد وثقت منظمة «كنديون من أجل العدالة والسلام في الشرق الأوسط»\ *Canadians for Justice and Peace in the Middle East* (CJPME), *The Breach*, dan *Toronto Metropolitan University's School of Journalism* (CJPME)، ومنظمة The Breach، وكلية الصحافة بجامعة تورنتو متروبوليتان (*Toronto Metropolitan University's School of Journalism*) الكثير من الأمثلة على التحيز المؤيد لكيان يهود في المجال الإعلامي الكندي. وتظهر الأبحاث أن قناة CTV حظرت استخدام كلمة «فلسطين» وعززت «ثقافة الخوف» التي قمعت التغطية النقدية لكيان يهود.

لقد تعرضت هيئة الإذاعة الكندية CBC منذ فترة طويلة لانتقادات بسبب حظرها استخدام كلمة «فلسطين». ومؤخرا، منعت هيئة الإذاعة الكندية موظفيها من مشاركة معلومات حول الحرب في غزة على وسائل التواصل الاجتماعي. يتعارض هذا مع سياسة CBC الأوسع نطاقًا فيما يتعلق بوسائل التواصل الاجتماعي، والتي تسمح بمشاركة المعلومات «خارج نطاق الصحافة إذا لم تكن القصة أو المقالة متاحة على CBC.ca وكان المصدر موثوقًا».

ومن الأمثلة على التحيز في تغطية هيئة الإذاعة الكندية CBC العنوان المأساوي للطفلة الفلسطينية هند رجب: «بعد أيام من طلبها المساعدة، تم العثور على جثتها في سيارة في مدينة غزة، بحسب أقاربها (*Days after she called for help, girl's body found in car in Gaza city, relatives say.*)».

هذا العنوان يجعل الأمر يبدو وكأن الطفلة البالغة من العمر ست سنوات قد تم العثور عليها ميتة. وفي الواقع، قُتلت على يد قوات الاحتلال اليهودي مع أفراد عائلتها ومسعفين أُرسلا لإنقاذهم.

وكشف أيضا تقرير آخر صادر عن The Breach عن رد هيئة الإذاعة الكندية (CBC) على شكوى قدمها أستاذ متقاعد جيف وينش إلى لجنة الإذاعة والتلفزيون والاتصالات الكندية (CRTC). وزعمت هيئة الإذاعة الكندية (CBC) أن المصطلحات الأكثر عاطفية وإثارة للتعاطف لا تنطبق على الوفيات الفلسطينية لأن كيان يهود نفذ عمليات القتل «من بُعد» وليس بشكل مباشر.

وفيما يلي بعض عناوين الأخبار التي تظهر تحيز وسائل الإعلام الأمريكية لصالح كيان يهود. «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها

(Israel's Right to Defend Itself)»، وول ستريت جورنال(*The Wall Street Journal*) (٢٠٢٣/١٠/١٠)، الذي يؤكد على حق كيان يهود في الدفاع عن نفسه بعد هجمات حماس، مع التركيز على التهديدات التي يواجهها كيان يهود وتبرير عمله العسكري؛ «الرد العسكري الإسرائيلي على حماس: إجراء ضروري (Israel's Military Response to Hamas: A Necessary Action)»، ونيويورك تايمز (٢٠٢٣/١٢/١٠) الذي يناقش الرد العسكري على حماس، مع تسليط الضوء على الحاجة إلى حماية المواطنين اليهود ووقف الهجمات الصاروخية من غزة؛ «فهم الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية في غزة (Understanding Israel's Military Strategy in Gaza)»، وصحيفة واشنطن بوست (*The Washington Post*) (٢٣/١٠/١٥) التي تحلل الإستراتيجية العسكرية اليهودية في غزة، مع التركيز على جهودها لتدمير البنية التحتية لحماس وحماية المدنيين اليهود؛ «حق إسرائيل في الدفاع عن النفس في مواجهة هجمات حماس (Israel's Right to Self-Defense Amid Hamas Attacks)»، ويو إس إيه توداي (*USA Today*) (٢٠٢٣/١٠/١٨)، يبحث في حق كيان يهود في الدفاع عن النفس في مواجهة هجمات حماس، مع التركيز على شرعية أعماله العسكرية؛ «العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة: رد مبرر (Israel's Military Operations in Gaza: A Justified Response)»، ولوس أنجلوس تايمز (٢٠٢٣/١٠/٢٠)، يناقش العمليات العسكرية اليهودية في غزة كرد مبرر على التهديدات من حماس، مع التركيز على ضرورة حماية المدنيين اليهود.

وفي نفس الوقت، فعلت وسائل الإعلام البريطانية الشيء نفسه: «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها (Israel's Right to Defend Itself)»، وصحيفة التايمز (٢٠٢٣/١٠/١٠) تؤكد على حق كيان يهود في الدفاع عن نفسه بعد هجمات حماس، مع التركيز على التهديدات التي يواجهها الكيان وتبرير عمله العسكري؛ «الرد العسكري الإسرائيلي على حماس: إجراء ضروري (Israel's Military Response to Hamas: A Necessary Action)»، وصحيفة الجارديان (*The Guardian*) (٢٠٢٣/١٢/١٠) تناقش الرد العسكري من قبل يهود على حماس، وتسلط الضوء على الحاجة إلى حماية المواطنين اليهود ووقف الهجمات الصاروخية من غزة؛ وتحللت صحيفة الإندبندنت (*The Independent*) (٢٠٢٣/١٠/١٥) الاستراتيجية العسكرية اليهودية في غزة، مع التركيز على جهودها لتدمير البنية التحتية لحماس وحماية المدنيين اليهود؛ وتناقش صحيفة التلغراف (٢٠٢٣/١٠/١٨) أن حق «إسرائيل» في الدفاع عن نفسها في مواجهة هجمات حماس، مع التركيز على شرعية عملها العسكري: «الحملة العسكرية الإسرائيلية ضد حماس: شر لا بد منه (Israel's Military Campaign Against Hamas: A Necessary Evil)»، وأيضا صحيفة «الصن (*The Sun*)» (٢٠٢٣/١٠/٢٢) تناقش الحملة العسكرية اليهودية ضد حماس باعتبارها إجراءً ضروريًا لضمان الأمن القومي

«الإسرائيلي»، وإن كان ذلك مع إدراك تأثيرها على المدنيين الفلسطينيين: «العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة: رد على الإرهاب (Israel's Military Actions in Gaza: A Response to Terrorism)»، وصحيفة الديلي ميل (*The Daily Mail*) (٢٠٢٣/١٠/٢٥) تسلط الضوء على العمليات العسكرية اليهودية في غزة رداً على الإرهاب الذي تمارسه حماس، مع التركيز على الجهود الرامية إلى وقف الهجمات الصاروخية.

ويبدو أن الأخبار التي تظهر تحتوي على محتوى متشابه تقريبًا. كلها تشرع تصرفات الكيان اليهودي في الهجوم على غزة دون إعطاء أدنى فكرة عن أوضاع فلسطين والمواطنين المحتلين.

تقييد منصات التواصل الاجتماعي

لم يكتف حكام المنصات الرقمية باللعب في وسائل الإعلام التقليدية فحسب، بل قدموا الدعم أيضًا لهذا الكيان اليهودي، ففرضت مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ويوتيوب وإنستغرام قيودا صارمة على المحتوى الذي يتضمن دعما لفلسطين. فممنوع علنا رفع الدعم لفلسطين على شكل كتابات أو صور أو مقاطع فيديو. وكان التهديد هو أن يقوم مسؤولو المنصة بإزالة المحتوى على الفور تحت ذرائع مختلفة مثل «دعم الأعمال العنيفة»؛ «دعم الجماعات الإرهابية (حماس)»، «انتهاك قواعد المجتمع»، وما إلى ذلك.

وبناءً على تحليل شامل لبيانات فيسبوك، وجدت هيئة الإذاعة البريطانية BBC أن وسائل الإعلام في غزة والضفة الغربية شهدت انخفاضًا حادًا في التفاعلات مع المستخدمين الفلسطينيين منذ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣. ووجدت وكالة الأنباء عددًا من الوثائق الداخلية من إنستغرام -شركة أخرى تابعة لشركة ميتا- التي أظهرت زيادة في أنشطة الاعتدال على التعليقات لتعليقات المستخدمين الفلسطينيين بعد أكتوبر ٢٠٢٣. وقالت شركة ميتا - التي تملك فيسبوك - إن الاستنتاج القائل بأنها قمعت عمداً بعض الروايات كان «خاطئاً للغاية».

الصورة الحقيقية

إن تحيز وسائل الإعلام الغربية تجاه احتلال كيان يهود لفلسطين يظهر الطبيعة الحقيقية لوسائل الإعلام السائدة. يقول المفكر والناقد الاجتماعي الأمريكي نعوم تشومسكي إن وسائل الإعلام، على الرغم من ادعائها بالموضوعية، تتأثر دائمًا بالمصالح السياسية والاقتصادية والأيديولوجية. وفي كتابه «تصنيع الموافقة (*Manufacturing Consent*)»، يكشف كيف تعمل وسائل الإعلام كأداة في يد القوى الاقتصادية والسياسية لتشكيل الرأي العام، بدلاً من نقل المعلومات بشكل موضوعي.

في هذه الأثناء، أكد إدوارد هيرمان، الذي تعاون مع نعوم تشومسكي في كتابه «تصنيع الموافقة»، أن وسائل الإعلام ليست محايدة على الإطلاق. وبحسب قوله فإن وسائل الإعلام تتأثر بمصالح اقتصادية وسياسية كبرى، ولذا فهي تقدم أخبارا تتناسب مع أجندة معينة، وليس معلومات موضوعية تماما.

ومن المثير للاهتمام ما قاله جلين

جرينوالد (Glenn Greenwald)، الصحفي ومؤسس موقع The Intercept، حيث انتقد وسائل الإعلام التي تدعي الموضوعية، لكنها في كثير من الأحيان تعمل كأداة دعائية تدعم القوة السياسية والاقتصادية. كما سلط الضوء على كيفية قيام وسائل الإعلام الكبرى في كثير من الأحيان برقابة أو التقليل من أهمية القصص التي تتعارض مع مصالحها. لذا فإن وسائل الإعلام الغربية السائدة مليئة بالأجندات. وخلفها تكمن مصالح الدول الكبرى في تحقيق مصالحها. فوسائل الإعلام هي أداة لتشكيل المفاهيم وتوجيه وجهة نظر الجمهور.

توفر وسائل التواصل الاجتماعي

ولحسن الحظ، في خضم هذا التحيز الإعلامي، هناك وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك أن مواقع وسائل التواصل الاجتماعي أمر بالغ الأهمية في معركة الأفكار فيما يتعلق بتغطية الأخبار للصراعات مثل الحرب بين كيان يهود وحماس، حيث توفر مساحة للأفراد والجماعات والمنظمات للتعبير عن آرائهم بشكل مباشر، دون أن يكونوا مرتبطين بأجندة أو تحيز أي طرف من وسائل الإعلام السائدة.

وتعمل وسائل التواصل الاجتماعي كقوة موازنة ضد التحيز الموجود عادة في وسائل الإعلام السائدة، مما يوفر فرصة لسماع الأصوات المهمشة في السابق، على الرغم من أنها تفرض أيضًا تحديات من حيث الدقة وانتشار المعلومات غير المؤكدة.

إن وجود وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يوفر معلومات بديلة خارج وسائل الإعلام الرئيسية، وخاصة فيما يتعلق بتأثير الحرب على المدنيين الفلسطينيين، فبفضل سهولة الوصول إلى مجموعة متنوعة من مصادر المعلومات، يمكن للأفراد والجماعات من فلسطين وأولئك الذين يدعمونهم التعبير عن قصصهم دون الاعتماد على وسائل الإعلام الغربية التي غالبا ما تكون متحيزة لصالح كيان يهود.

ومن ناحية أخرى، يمكن للأخبار والصور التي يتم مشاركتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي أن تنتشر بشكل أسرع وأوسع نطاقا من وسائل الإعلام التقليدية. على سبيل المثال، يمكن للصور ومقاطع الفيديو التي تظهر العنف ضد الفلسطينيين أو هجمات حماس الصاروخية على كيان يهود أن تثير ردود فعل عالمية، وتغير تصورات الجمهور، وتزيد الضغوط على الحكومات أو وسائل الإعلام الرئيسية لتوفير تغطية أكثر توازناً، ومع وجود وسائل التواصل الاجتماعي، سوف تفكر وسائل الإعلام الرئيسية مرتين قبل نشر أخبار كاذبة.

وأصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أداة قياس، بمعنى أنها توفر فرصة للتحقق من الأخبار من وسائل الإعلام الرئيسية والرد عليها في الوقت الحقيقي. مع وجود منصات مثل إكس أو إنستغرام أو يوتيوب، يمكن للأشخاص انتقاد أو دحض الروايات التي تعتبر متحيزة بشكل مباشر. على سبيل المثال، إذا أوردت وسائل الإعلام الرئيسية تقريراً عن هجوم يهودي باعتباره «جهداً دفاعياً» دون الإشارة إلى تأثيره على المدنيين الفلسطينيين، فإن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي يمكنهم بسرعة مشاركة المعلومات أو الأدلة التي تظهر الخلل في التقارير.

وليس أقل أهمية من ذلك أن وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن تكون أداة فعالة لإجراء الحملات والاحتجاجات والمقاطعات ضد الشركات أو وسائل الإعلام التي تعتبر متحيزة، حتى ضد سياسات الدولة التي تدعم الكيانات اليهودية. على سبيل المثال، أصبحت حركة #FreePalestine شائعة جدًا على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة، مما أثر على الرأي العام وحتى سياسات الحكومة أو وسائل الإعلام. وكثيرا ما يُنظر إلى مثل هذه الأنشطة باعتبارها وسيلة لمواجهة سيطرة وسائل الإعلام الكبرى التي تميل إلى دعم كيان يهود. ويمكن أن تكون وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا أداة لحشد الجمهور للقيام بشيء ما.

الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي

سواء أدركنا ذلك أم لا، فإن وسائل التواصل الاجتماعي تجلب الكثير من الفوائد من حيث توفير معلومات بديلة، ولكنها أصبحت أيضًا حاضنة للمعلومات المضللة والدعاية، وهذه هي التأثيرات السيئة التي يجب تجنبها.

ومن المؤكد أنه بفضل قوة وسائل التواصل الاجتماعي، يستطيع المسلمون عرض الأحداث من موقعها وتقديم المنظور الصحيح، مما يقلل الاعتماد على وسائل الإعلام السائدة. من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح لدى الجميع القدرة على مشاركة آرائهم وإلهام الآخرين، حتى بدون وجود منصة إعلامية كبيرة. وهذا يسمح بظهور المزيد والمزيد من وجهات النظر المتنوعة، مما يعاكس الرواية التي تبنيها وسائل الإعلام السائدة.

ومن خلال استغلال وسائل التواصل الاجتماعي، من الممكن تشكيل شبكة تضامن دولية، تدعم النضال الفلسطيني أو تطالب بتغييرات في السياسات الخارجية للدول المختلفة تجاه فلسطين. يمكن أن تساعد هذه الشبكات في زيادة الوعي بشأن الظلم الذي يحدث والضغط على الحكومات أو الشركات لتغيير سياساتها. وبالنسبة للمسلمين، تعتبر هذه الشبكة قوة ضغط فضلاً عن كونها تشكل روابط الوحدة الإسلامية.

ومع ذلك، فإن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في «حرب الآراء» لمواجهة تحيز وسائل الإعلام الغربية، وخاصة فيما يتعلق بالصراعات مثل الصراع في فلسطين، يجب أن يتم بشكل إستراتيجي، وكان الهدف هو تقديم الحقائق الصحيحة للجمهور، وبناء الوعي، والتأثير على الرأي بشكل فعال.

تتضمن هذه الأساليب الإستراتيجية تقديم حقائق مؤكدة (صور مرئية، رسوم بيانية، بيانات إحصائية)؛ وبناء سرد متوازن ومبني على الحقائق؛ واستخدام الهاشتاجات والحركات الاجتماعية؛ ونشر المحتوى من مصادر موثوقة؛ ناقد لمصادر الأخبار السائدة؛ واستخدام منصة أكثر موثوقية؛ والتعاون مع المؤثرين والناشطين لنشره على نطاق أوسع وبسرعة أكبر. إذا لزم الأمر، استخدام منصات بديلة أقل تحكمًا مثل Telegram أو Mastodon أو مجموعات WhatsApp. ■

المحور السادس

المستقبل القريب

• تهاوي الرأسمالية واقتراب سقوطها ١٣٣

• لحظة الحقيقة إرهاصات موت الغرب وانبعاث الإسلام أمريكا ما بين صراع جيوستراتيجي مع الصين مستنزف وحرب حضارية مع الإسلام مفنية! ١٤١

• تنويه ١٥٥

• كلمةأخيرة: النصر ... يقينٌ واستحقاق ١٥٦

• غلاف أخير:الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق إزاء الوضع في بنغلاديش (الخلافة الإسلامية) ١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تهاوي الرأسمالية واقتراب سقوطها

محمد ك. صادق

إن الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم حاليا تنبئ بأنها ستؤدي قريبا إلى تغييرات كبيرة. وأحد هذه التغييرات الكبيرة هو انهيار الحضارة الغربية من حيث هي نظام عالمي قائم على المبدأ الرأسمالي. والانحدار الاقتصادي العالمي الذي يتسبب بأزمة يعتقد أنه سيعجل انهيار هذا النظام، وبخاصة أن الأزمة لا تقتصر على الجانب الاقتصادي، بل تشمل أيضا أزمات الثقة والسياسة والاجتماع.

والحضارة إنما ستبقى وتستمر في الوجود إذا كانت قادرة على حل مشكلات الحياة البشرية. ولكن إذا كان العكس هو الحقيقة، أي أن الحضارة تؤدي إلى الكثير من الأضرار والمعاناة، فإنها ستُهمل وتترك، وستنتهي في النهاية إلى الانهيار والزوال.

وكتاب*The Self-Devouring Society: Capitalism, Narcissism, and Self-Destruction* (المجتمع المدمر لذاته: الرأسمالية والانفصالية والتفكك الذاتي) الذي ألفه أنسيلم جابي (٢٠٢٢) يقدم صورة واضحة عن أضرار الرأسمالية. الكتاب يستكشف كيف تدفع الرأسمالية المعاصرة المجتمع نحو حالات تؤدي إلى تدمير الذات. يستخدم جابي أسطورة يونانية عن إريسيخثون (Erysichthon)، الذي كان ملكا جائعا حتى أكل نفسه. هذه الأسطورة تعد استعارة لوصف كيفية تحول الرأسمالية للأفراد إلى انفصاليين وتحفيز السلوكيات التي تدمر النظام الاجتماعي.

وتقدم شوشانا زوبوف (٢٠١٩) تحليلا لأضرار الرأسمالية من خلال كتابها *The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power* (عصر الرأسمالية الرقابية: المعركة من أجل مستقبل بشري على الحدود الجديدة للسلطة). يكشف الكتاب عن حقائق مختلفة حول استغلال حقوق الفرد من قبل الشركات الرأسمالية العملاقة. يتعاون الحكام والرأسماليون لجمع الأرباح الاقتصادية لصالحهم الشخصي، وليس لصالح الشعب.

الحضارة الغربية بنظام الرأسمالية وتحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية قد أوجدت الكثير من المعاناة والكوارث الإنسانية الناجمة عن النظام الذي يطبقونه. الرأسمالية العالمية أثبتت فشلها في معالجة الكثير من المشكلات الإنسانية، مما أدى ذلك إلى الأضرار المختلفة، في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخلقية والسياسية وغيرها.

الأضرار في الجانب الاقتصادي

إن السبب الرئيس لفشل الرأسمالية

العلمانية باعتبارها مبدأ هو تعارضها مع فطرة الإنسان وعقله السليم. هذا المبدأ يرى الإنسان مركزا للكون. في النهاية، النظام الاقتصادي الرأسمالي يؤدي إلى استغلال الإنسان وانفصاله، مما يؤدي إلى الاهتمام الشخصي.

الحضارة الرأسمالية أثبتت أنها تسبب الكثير من الكوارث والمعاناة البشرية. ومن المشكلات الرئيسة فيها زيادة الفجوة الاقتصادية بين الطبقة الثرية والطبقة الفقيرة. غير أن تلك الفجوة في الدخل ستؤدي حتما إلى ضغوط اجتماعية وسياسية مهددة للاستقرار الاجتماعي.

على سبيل المثال، كما هو مذكور في تقرير صادر عن المنظمة البريطانية «أكسفام» بعنوان «وقت للرعاية: العمل الرعوي غير المدفوع وأزمة عدم المساواة العالمية»، يشير إلى أن الفجوة الاقتصادية قد خطت خطوات غير متحكم فيها. حيث يمتلك ٢١٥٣ مليارديرا في العالم ثروة تتجاوز إجمالي ثروة ٤,٦ مليار شخص، بينما يمتلك ١٪ من أثرى سكان العالم أكثر من ضعف الثروة الكلية لجميع سكان الكرة الأرضية (*oxfam.org*، ٢٠٢٠).

وفقا لدراسة أجريت من قبل بنك كريدي سويس عام ٢٠٢٠، أظهرت أن ١٪ من سكان العالم الأثرى يمتلكون ما يقرب من ٤٥٪ من الإجمالي العالمي للثروة. في سياق الدول الغربية، تركز الكثير من هذه الثروة في أيدي الأثرياء والشركات الكبرى. هذه الحقائق توضح أن الرأسمالية قد فشلت في تحقيق الرخاء والعدالة الاقتصادية، بل على العكس، أدت إلى العديد من الانحرافات والفوارق التي تنتهي إلى المعاناة.

أظهر استطلاع غلّوب الذي أجري في ديسمبر ٢٠٢٣ أن ٦٨٪ من الأمريكيين يرون أن الوضع الاقتصادي يزداد سوءا، حيث يرى ٤٥٪ منهم الوضع الاقتصادي على أنه «سيئ»، ووصفه ٣٣٪ بأنه «متوسط»، بينما لم يقر إلا ١٩٪ بأن الوضع الاقتصادي «جيد».

لقد قام العديد من الباحثين المحققين بإجراء دراسات حول الفجوة الاقتصادية المتزايدة في الدول الغربية. من بينهم توماس بيكيتي (٢٠١٧)، الذي نشر نتائج دراسته في كتابه بعنوان *Capital in the Twenty-First Century* (الرأسمال في القرن الحادي والعشرين). ينتقد الكتاب الفجوة الاقتصادية المتزايدة الناتجة عن نظام الرأسمالية. يقوم بيكيتي بتحليل النمو الاقتصادي على المدى الطويل وتوزيع الثروة والآثار الاجتماعية للفجوة.

الأضرار في الجانب الاجتماعي

المبدأ الرأسمالي العلماني المبني على الليبرالية (الحرية) قد أدى إلى انتشار الأمراض الاجتماعية، وانتشار الجرائم، وتكرارها دون حلول. من بين هذه الأمراض الاجتماعية نمط الحياة الجنسية الحرة، الذي أفسد النظام الاجتماعي للمجتمع. أصدر منظمة RAIIN (org.rainn.www, ٢٠٢٣) بيانا أنه في كل ١٠٧ ثانية يتم اعتداء جنسي على شخص ما في

الولايات المتحدة الأمريكية. وتشير الإحصائيات إلى وجود ٢٩٣٠٠٠ مصاب باعتداء جنسي كل عام في تلك البلاد.

كما أن كثرة الانتحارات تعكس حالة اجتماعية مريضة. حيث كشفت الإحصاءات الصادرة عن هيئة مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية (*www.cdc.gov*) في تقريرها البحثي الصادر في ٩ فبراير ٢٠٢٣، ارتفاع عدد حالات الانتحار بين الأمريكيين في عام ٢٠٢١ إلى ٤٨,١٨٣ حالة. وتعادل هذه النسبة ١٤,٢ حالة لكل مائة ألف مواطن أمريكي. وتشير الدراسة إلى أن الأسباب الرئيسة لحدوث الانتحار في الولايات المتحدة الأمريكية تشمل تدهور العلاقات العائلية، والعمل، والمشكلات المالية، والصحة النفسية، وغيرها.

استمرت مشكلة العدمية في الولايات المتحدة الأمريكية في الارتفاع. فوفقا لتقرير التقويم السنوي للعدمية لعام ٢٠٢٣، هناك ٢٠ شخصا بدون مأوى من كل ١٠ آلاف شخص على المستوى الوطني. والولايات التي لديها أعلى معدل هي واشنطن العاصمة (٧٢ من كل ١٠ آلاف)، ونيويورك (٥٢ من كل ١٠ آلاف)، وفيرمونت (٥١ من كل ١٠ آلاف).

مستوى القلق من الجرائم والعنف في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ٢٠٢٢ كان في أعلى مستوياته مقارنة بالسنوات السابقة. فدراسة غالوب (*com.gallup.www*) الصادرة في أبريل ٢٠٢٢، أظهرت أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعلنون قلقهم من الجرائم. ووفقا لقاعدة البيانات التي تديرها مجموعة الأبحاث غير الهادفة للربح Gun Violence Archive، هناك على الأقل ١٣٠ حادثة إطلاق نار جماعي حدثت في الولايات المتحدة الأمريكية.

مستوى المشكلات الاجتماعية والجرائم المرتفع يشكل مشكلة مستمرة في نظام الرأسمالية. والقوانين المبنية على القوانين البشرية لم تقدم حلولا أساسية. والحقائق حول الأضرار هذه تظهر أن حضارة الرأسمالية مريضة بشكل خطير.

الأضرار في الجانب السياسي

الديمقراطية هي نظام سياسي رأسمالي يرتكز على مبدأ العلمانية. على المستوى العالمي، رُوّج للديمقراطية بوصفها أفضل نظام. ويقال إن الرخاء والرفاهية والمساواة والعدالة ستُحقق من خلال الديمقراطية. كما يُزعم أن النظام الديمقراطي يمكنه آليًا ضمان التوزيع الاقتصادي وتغيير السلطة بطريقة منظمة وسلمية.

ولكن الواقع يخالف هذا الزعم. في الحقيقة، الأشخاص المتحكمون في النظام الديمقراطي هم النخبة السياسية التي تدعي أنها ممثلة للشعب. غير أنهم لا يمثلون إلا حزبهم أو أصحاب رؤوس الأموال الذين يدعمونهم. والدليل على ذلك هو أن الكثير من السياسات والقوانين واللوائح التي يصنعونها تضر بالشعب. ونتيجة ذلك، يستفيد من الرخاء والرفاهية عدد قليل فقط من النخبة الحاكمة والممثلين والأحزاب وأصحاب رؤوس الأموال،

بينما يعيش أغلب الشعب في فقر. كما أن المساواة والعدالة في القانون ليست موجودة، بل القانون يصبح قاسيا على الفقير وليّنا مع الغني.

ففي الديمقراطية واضح انحياز النظام لصالح أصحاب رؤوس الأموال. فالهيمنة التي مارستها رؤوس الأموال من خلال آليات الديمقراطية أدت إلى انتشار السياسة المالية والرشوة والتحالف الفاسد والخيانة. كما أن أصحاب رؤوس الأموال والشركات لا يقتصرون على السيطرة على الاقتصاد، بل يتدخلون أيضا في السياسة والسلطة.

يسيطر أصحاب الشركات على الحكومة وسياساتها. جون بيركينز (٢٠٠٥) في كتابه *Confession of an Economic Hit Man* (اعترافات رجل الأعمال الاقتصادي) يسمي هذا النظام بـ»حكومة الشركات» corporatocracy، وهو نظام حكم يخضع لسيطرة الشركات الكبرى. نتيجة لذلك، تصبح سياسات الدول والقوانين أدوات تخدم مصالح الشركات بدلا من الشعب.

هذه الحقائق حول الأضرار التي تسببها الديمقراطية لاحظها أيضا العديد من الخبراء. ستيفن ليفيتسكي ودانيال زيبلاط (٢٠١٨) كتبا عنها في كتاب *How Democracies Die* (كيف تموت الديمقراطيات). بينما ديفيد رانسيمان (٢٠١٨) كتب عنها في كتاب *How Democracy Ends* (كيف تنتهي الديمقراطية). الكتابان يبحثان كيف يمكن للديمقراطية أن تتدهور وتموت. هم يحللون دور السلطة والفساد والاستياء الشعبي والتغيرات السياسية التي قد تؤدي إلى انهيار النظام الديمقراطي.

السلطة عند الرأسمالية

الهيمنة التي مارستها رؤوس الأموال من خلال آليات الديمقراطية أدت إلى انتشار الرشوة والتحالفات الفاسدة والخيانة. كما أن أصحاب رؤوس الأموال والشركات لا يقتصرون على السيطرة على الاقتصاد، بل يتدخلون أيضا في السياسة والسلطة فيشكلون شبكات الأوليغاركية. لذلك هم يستطيعون التأثير على سير الحكومة وسياساتها.

جيفري أ. وينترز (٢٠١١) من خلال كتابه *Oligarchy: Ancient Lessons for Global Politics* (الأوليغاركية: دروس قديمة للسياسة العالمية) يصف تفاعلات الأوليغاركية في السياسة الديمقراطية. يقدم وينترز تحليلا حول كيفية تحول الثروة إلى سلطة سياسية ثم إلى حكم أوليغاركي، أي حكم يحكم فيه السلطة السياسية من قبل عدد صغير من النخبة التي تمتلك قوة اقتصادية.

تأثيرات سيئة على العالم الإسلامي

أصبحت السياسة الديمقراطية في الواقع أداة استعمار جديدة (إمبريالية جديدة) للسيطرة على البلاد الإسلامية. يبرز ويليام بلم (٢٠١٣) في كتابه *America's Deadliest Export: Democracy* (الصادر الأمريكي القاتل: الديمقراطية) أن الديمقراطية هي أداة للسيطرة الأمريكية ولحلفائها على

العالم بأسره، بما في ذلك العالم الإسلامي. في الواقع، البلاد الإسلامية حاليا في حالة استعمار، وضعف، وتخلف، واستغلال، نتيجة للإمبريالية الجديدة.

من خلال الديمقراطية، أصبحت القوانين والتشريعات في البلاد الإسلامية لا تلتزم القواعد الشرعية. هذا يسمح للغرب بالتأثير على عملية وضع القوانين لأجل تحقيق مصالح الإمبريالية الجديدة. باستخدام وسائل الإعلام، باسم الديمقراطية، يمكن للغرب التأثير بسهولة على آراء الجمهور في اختيار القادة. يعزز الغرب اختيار قادة يقبلون أفكارهم، مثل العلمانية، والليبرالية، وحقوق الإنسان، والمساواة الجنسية، ومجتمع الميم، ونحوها. نتيجة لذلك، هذه الأفكار تؤثر على السياسات التي يتبناها القادة المنتخبون. يعني ذلك أن هيمنة الشركات ستؤثر أيضا على من سيصبح زعيما لبلد ما، وماهية سياسة ذلك البلد.

كما أن الأمم المتحدة أصبحت أداة للإمبريالية الأمريكية لتنفيذ خططها السياسية في جميع أنحاء العالم. هذا ما حدث في هجوم أمريكا على العراق وأفغانستان. والأمم المتحدة تغض نظرها عن مذابح المسلمين في العراق، وفلسطين، والروهينغيا، والهند، والايغور في الصين. في معظم الأحوال، تقتصر الأمم المتحدة على الإعراب عن القلق إزاء المذابح المختلفة دون اتخاذ إجراءات ملموسة لوقفها. على سبيل المثال، صدرت مئات القرارات المتعلقة بقضية فلسطين، لكنها لم تحل المشكلة بل تزداد معاناة أهل فلسطين هناك.

طريق التغيير في المنظور الإسلامي

قضية التغيير قد راجت كثيرا في البلاد الإسلامية، ومنها ما يسمى «الربيع العربي»، الذي انتهى به الأمر إلى نفس النتيجة، وهي مجرد استبدال الأشخاص في النظام السياسي. في حين ظلت الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع على ما هي عليه.

لم يتغير شيء، سوى تغيير الأشخاص في النظام السياسي. لذلك، من الضروري، خاصة للأمة الإسلامية، فهم قضية التغيير، حتى لا يظل المسلمون أهدافا دائمة للدعاية للتغيير.

بإنعام النظر هناك خمسة مفاتيح رئيسة تعد عوامل حاسمة لتحقيق التغيير الحقيقي نحو إقامة الحكم الإسلامي. هذه المفاتيح هي: وجود الوعي لدى الأمة على الواقع الفاسد الحالي، والوعي بالواقع الذي يراد تحقيقه، والوعي بالطريقة الصحيحة للتغيير، ووجود حزب سياسي إسلامي مبدئي جاد في العمل للتغيير، ودعم أهل النصرة.

١ .الوعي على الواقع السيئ

الأمة الإسلامية التي تمتلك الحمية والغيرة على دينها تسعى إلى التغيير لأنها أدركت سوء الواقع الحالي. في الحقيقة، البلاد الإسلامية لا تزال خاضعة للهيمنة الاستعمارية من القوى الغربية، سواء من طريق القوة العسكرية أو الهيمنة الاقتصادية والسياسية.

ومنها احتلال كيان اليهود الوحشي للأرض المباركة فلسطين.

وخضوع البلاد الإسلامية للهيمنة الاستعمارية لا يمكن فصله عن انهيار الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤. فبعد انهيار الخلافة، قُسم العالم الإسلامي الذي كان يمتد على مساحة واسعة إلى قطع صغيرة خاضعة للاستعمار. والآن، تنقسم البلاد الإسلامية إلى أكثر من ٥٠ دولة ضعيفة. لذلك، الواقع السيئ في العالم الإسلامي اليوم هو استمرار الاحتلال الذي بدأ منذ انهيار الخلافة الإسلامية.

٢.الوعي بالواقع المثالي

الوعي على الواقع الذي يسعى المسلمون لتحقيقه سيدفعهم لتحقيقه. فيجب أن يكون التغيير موجها إلى القضاء على جذور الأزمة التي تسبب الواقع السيئ. أي القضاء على هيمنة الدول الاستعمارية ومبدئها الرأسمالي على البلاد الإسلامية.

لذلك، القضية المصيرية للأمة الإسلامية حاليا هي إقامة الخلافة الإسلامية من جديد لتطبيق الشريعة الإسلامية بشكل كامل. فبدون الخلافة، يظل المسلمون في جميع أنحاء العالم خاضعين للاستعمار والظلم والاضطهاد. وبالخلافة، ستتمكن الأمة الإسلامية من توحيد قواتها في قوة واحدة. هذه الحالة ستزيل جميع أشكال الظلم والاضطهاد من قبل الدول الاستعمارية الحالية.

٣.الوعي على الطريقة الصحيحة للتغيير

التغيير الذي تقوم به الأمة الإسلامية يجب أن يعتمد على المنهج الصحيح الذي سار عليه رسول الله ﷺ. وثمة نقطتان مهمتان يجب أن تكونا مرجعا لجهود الأمة الإسلامية اليوم:

أولا؛ قام رسول الله ﷺ بتثقيف الأشخاص الذين كانوا على استعداد ليصبحوا العمود الفقري للتغيير. فالطريقة التي استخدمها ﷺ لتغيير حال المجتمع الجاهلي الفاسد كانت من خلال الدعوة. وكانت أنشطة الدعوة التي قام بها أنشطة منظمة بشكل متقن. فهو، على سبيل المثال، لم يكتف بدعوتهم إلى اعتناق الإسلام وتعليمهم القرآن. وإنما جمعهم أيضا في مجموعة أو حزب واحد (كتلة) كان يرعاه ويوجهه.

ثانيا؛ كان هدف التغيير الذي قام به رسول الله ﷺ هو تغيير الحاكم والنظام معا. وذلك واضح في دعوته ﷺ التي لم تقتصر على دعوة غير المؤمنين إلى اعتناق الإسلام. ولكنها هدفت أيضا إلى إنشاء مجتمع إسلامي، أي استبدال نظام إسلامي بالنظام الجاهلي. وقد ثبت أنه بعد الهجرة أسس مجتمعا إسلاميا ضمن الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

ومن خلال كيان الدولة تمكن رسول الله ﷺ بصفته رئيسا لها من تطبيق الأحكام الشرعية. هذه هي الطريقة التي يجب على المسلمين اعتمادها للتغيير. وهو التغيير الذي يهدف إلى بناء كيان سياسي، دولة الخلافة الإسلامية. فمن خلال إقامة الخلافة يؤسس

مجددا المجتمع الإسلامي، فهي التي تطبق القوانين الإسلامية (الشريعة) بشكل كامل شامل.

٤ .وجود حزب سياسي إسلامي يعمل لإقامة الخلافة

إن النضال لإعادة الخلافة محكوم بالعديد من العقبات والتحديات. فالدول المستعمِرة مع أعوانها ستحاول صدها. لذلك، يجب أن يجدّ المسلمون في ذلك التغيير بشكل جماعي منظم، كما قام به الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم. على أن النشاطات التي يقوم بها هذا الحزب أو الجماعة لها طبيعة سياسية، لأن إقامة الخلافة هي عمل سياسي.

من بين هذه النشاطات السياسية مصارعة أفكار الكفر في المجتمع وكشف الخطط الّتي تهدد الأمة. على هذا الحزب أن يقوم بالكفاح السياسي، أي النضال السياسي لمقاومة الاستعمار في كل مجال، سواء أكان اقتصاديا أم اجتماعيا أم سياسيا أم عسكريا أم ثقافيا أم غير ذلك.

٥ .الحصول على الدعم من أهل النصرة

إن نجاح الحزب السياسي وأعضائه في الحصول على تأييد المجتمع لقيام الدولة التي تطبق الشريعة الإسلامية بشكل شامل يُضعف شرعية السلطة الحاكمة. في ذلك الوقت، يصبح من الضروري الحصول على دعم من أهل النصرة لتسلم السلطة (تسلّم الحكم).

لقد بحث الرسول ﷺ عن دعم أهل النصرة لمدة ثلاث سنوات، حيث ذهب من قبيلة قوية إلى قبيلة قوية أخرى، ودعاهم إلى نصرته وتمكينه من السلطة وتطبيق الإسلام. فدعا الرسول ﷺ لهذه المهمة الكثير من القبائل، من بينها قبيلة كنده، وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة، وكلب، وبكر بن وائل، وهمدان، وغيرها.

دعاهم الرسول ﷺ كلهم إلى الإيمان وإعطائه النصرة له. في الوقت الحالي، أهل النصرة هم كل أصحاب القوة بما في ذلك العسكرية. وعند الحصول على دعم أهل النصرة، سيحدث تسلم السلطة مثلما حدث مع الرسول ﷺ عند إقامة الدولة الإسلامية في المدينة.

إمكانية عودة الخلافة الإسلامية

يتعارض مبدأ الإسلام مع الرأسمالية والاشتراكية في كل جوانب الحياة، بما في ذلك الاقتصاد والسياسة والاجتماع وأجهزة الدولة والقانون وغيرها. ومن المؤكد أن هذا الاختلاف سيكون له تأثير كبير على الفكر والقيم الإسلامية مقارنة بالمبادئ الأخرى.

في الوقت الحالي، يظهر الضعف في النظام الرأسمالي، حيث يُرى أنه على وشك الانهيار. ويُعتقد أن المبدأ الرأسمالي يحاول فقط تمديد فترة وجوده. ومن المتوقع أن تكون الاضطرابات السياسية العالمية سلسلة من مراحل انهيار المبدأ الرأسمالي.

يذكر بول ماسون في كتابه *PostCapitalism: A Guide to Our Future* (ما بعد الرأسمالية: دليل لمستقبلنا) (٢٠١٥)

أن الرأسمالية تتجه نحو الانهيار بسبب فشلها الاقتصادي. ويرى ماسون أن انهيار الرأسمالية سيكون تغييرًا أساسيًا في العالم سيؤدي إلى ولادة نظام جديد يسميه «الرأسمالية الجديدة».

في سياق الحرب بين الحضارات، يُعد ضعف الرأسمالية تحديًا وفرصة مناسبة لتستفيد منها الأمة الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بجهودها لإعادة المبدأ الإسلامي إلى معترك الحياة من طريق إقامة دولة الخلافة. هذا يعزز بالتأكيد الوعي المتزايد لدى الأمة الإسلامية بأهمية الخلافة الإسلامية.

وكذا من الواضح أن حالة الاستعمار والانحطاط التي تعاني منها الأمة الإسلامية حاليًا تتطلب وجود الخلافة قوةً عالمية لتحقيق التحرير. في حين أن الأنظمة المحلية في البلدان الإسلامية على علاقة وثيقة بالدول المستعمرة وتضطهد الأمة الإسلامية. هذه الحقائق المحسوسة ستزيد من رغبة الأمة الإسلامية في إعادة الخلافة قوةً عالمية وحامية للأمة في المجتمع الدولي.

العالم بحاجة إلى الخلافة

القوة الرئيسة التي تمتلكها الأمة الإسلامية الموزعة على أكثر من ٥٥ دولة هي وجود العقيدة الإسلامية الواحدة التي هي أساس المبدأ الإسلامي. هذه القوة المبدئية المدعّمة بالموارد المختلفة التي يمتلكها المسلمون، توفر فرصة كبيرة لإنشاء دولة قوية في ظل الخلافة. وقد سجل التاريخ أن دولة الخلافة كانت قادرة على أن تصبح محورية بين حضارات العالم، إذ أصبحت مركزًا للتعليم والعلوم والتكنولوجيا، ولها قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية على المستوى العالمي.

قام فراس الخطيب (٢٠١٤) في كتابه *Lost Islamic History: Reclaiming Muslim Civilisation from the Past* (التاريخ الإسلامي المفقود: إعادة استرداد الحضارة الإسلامية من الماضي)، بتقويم الحضارة الإسلامية بشكل موضوعي، حيث يرى أن الإسلام كان لمدة ١٤٠٠ سنة من التاريخ قوة دينية واجتماعية وسياسية. لقد قدم فراس الخطيب الباحث والمؤرخ في جامعة يونيفرسال سكول بريدجفيو إلينوي، بشكل تسلسلي دور الإسلام في تاريخ العالم، وخلص إلى أن الإسلام قد نجح في توحيد المجتمعات بظروف جغرافية مختلفة في قوة واحدة.

إن الموارد البشرية والطبيعية التي يمتلكها المسلمون، سواء من حيث الكمية أو الجودة، بالإضافة إلى قوة العقيدة، ستزيد من تعزيز النضال من أجل إعادة دولة الخلافة التي تتميز بالرحمة.

والحقيقة أن العمل من أجل إقامة الشريعة بشكل كامل في ظل الخلافة هو عمل من أجل التغيير لتحقيق الرحمة الحقيقية للشعوب، ولإنهاء المعاناة الناجمة عن الهيمنة الرأسمالية العالمية. وهذا يعني أن العالم بحاجة إلى الخلافة فعلا.■

بسم الله الرحمن الرحيم

لحظة الحقيقة إرهاصات موت الغرب وانبعاث الإسلام

أمريكا ما بين صراع جيوستراتيجي مع الصين مستنزف وحرب حضارية مع الإسلام مفنية!

مناجي محمد

تقديما لفهم الصراع الجيوستراتيجي الأمريكي الصيني وإستراتيجية أمريكا تجاه الصين، لا بد من معرفة الأسباب الكامنة والظروف والفرص الجيوستراتيجية وراء ظهور الصين على المسرح الدولي قوةً كبرى، ونمو قواها الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية والسياسية، حتى أصبح لها تأثيرها الخاص اليوم على الموقف الدولي والسياسة الدولية.

خرج الاستعمار الأمريكي إلى العالم عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، بعد خروج الاستعمار الأوروبي من الحرب منهكا ومثقلا بخراب الداخل الأوروبي، فخلت الساحة الاستعمارية لأمريكا فسعت وراء مآربها الاستعمارية من خلال إنشاء مؤسسات سياسية واقتصادية دولية وترتيبات ومنظمات أمنية ثنائية وإقليمية وأحلاف عسكرية، ومبادئ وتشريعات وقواعد سياسية ليبرالية تعكس أهدافها ومآربها الاستعمارية، ثم صيرتها نظاما دوليا، وأصبح هدف السياسة الخارجية الأمريكية حماية استمرار نظامها الدولي والحفاظ عليه لديمومته والحيلولة دون تقويضه، وبات شعار السياسة الخارجية الأمريكية لديمومة نظامها الدولي حفظ الأمن والسلم العالميين.

وهكذا أنشأت أمريكا مؤسسات عكست مصالحها الاستعمارية ورؤاها الخاصة، آخذة بعين الاعتبار تلك العائدة لحلفائها المقربين. وقد قادت عملية إنشاء مؤسسات منحتها تأثيرا غير متكافئ من خلال أساليب وآليات تضمن لها التحكم والسيطرة، على شاكلة حصة تمويل أكبر مقابل حصة أكبر من السلطة والتحكم، وهكذا أصبحت أمريكا هي الجهة الصانعة والمحددة للقواعد الحاكمة في نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكرست أمريكا نظامها الدولي القائم على القواعد الرأسمالية، وتم التوافق على هذه الرؤية الاستعمارية بين دول الكتلة الاستعمارية الغربية تحت القيادة الأمريكية.

ثم دخلت أمريكا في حرب باردة، تلك الصراعات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، مع خصمها الأيديولوجي الاتحاد السوفياتي لحماية نظامها الدولي وحفظه بعد أن أرست قواعده ونظمه ومؤسساته، واستمرت الحرب الباردة قرابة نصف قرن، وانتهت بانهيار الاتحاد السوفيتي ومعسكره الشرقي وتفكك دوله سنة ١٩٩١. وبعد نهاية الحرب الباردة وانهيار المنظومة الشيوعية اتخذت أمريكا خطوات لتوسيع رقعة نظامها الدولي ليشمل العالم، وتم لها بالفعل إخضاع عدد أكبر من الدول إلى مؤسسات النظام الدولي الأمريكي، مع استمرار القواعد الأساسية في صنع القرارات

خدمة لمصالحها الاستعمارية.

ثم في سكرة النصر على الاتحاد السوفيتي كان الشغل الإستراتيجي الأمريكي هو بناء الإمبراطورية والسيطرة على أدوات الهيمنة لإدارة العالم لتكون القطب المهيمن الوحيد، وما كانت تلك الأدوات إلا مصادر الطاقة والمواد الخام والموارد الطبيعية الأولية والتحكم في خريطة الطرق التجارية. ثم كانت الجغرافية الإسلامية وإسلامها الكامن المتجذر والذي استعاد حيويته الإستراتيجية بعد تجلية حقيقته الحضارية وبلورتها على يد ثلة واعية مخلصة العقبة الكأداء أمام بناء الإمبراطورية الأمريكية، وأصبح الإسلام من جديد الرقم الصعب في المعادلة الدولية والتحدي الأخطر لنظام أمريكا الدولي. وتناسلت الدراسات الغربية للظاهرة الإسلامية، فقد خصص المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية أحد موضوعاته الرئيسية في التقرير السنوي الصادر عنه سنة ١٩٨٧ لبحث تحت عنوان: «الإسلام قوة جديدة في العلاقات الدولية»، فحلل نتائج العودة المشهودة للإسلام في البلاد الإسلامية وانعكاساتها على العلاقات الدولية، وذكر التقرير أن الدول الكبرى عاجزة نظرياً عن مواجهة تيار يزداد نموا ضدها، ويعتزم التطور على حساب نفوذها، وسماه التقرير بـ»الظاهرة الإسلامية الأصولية». ثم كانت الاستراتيجية الأمريكية للتصدي للإسلام عبر إعادة الاستعمار المباشر للجغرافية الإسلامية، لإعادة رسم خرائطها وإعادة تلغيمها وتفخيخها بالنزاعات المحلية والصراعات الطائفية والمذهبية، عطفا على نهب ثرواتها. فغزت أفغانستان للنفاذ عبرها إلى منطقة أوراسيا وبلادها الإسلامية الغنية بمصادر الطاقة والمواد الأولية، وغزت العراق للتحكم في منابع النفط التي تغذي العالم بالطاقة فيه وفي جزيرة العرب والإقليم. وغزت الصومال للتحكم بأقفال الممرات المائية الإستراتيجية. وكان هدفها هو ضرب الإسلام والسيطرة على أدوات الهيمنة والتحكم التام في شريان الاقتصاد العالمي ثم في خطوط نقله وأقفال ممراته المائية الإستراتيجية، كركيزة لبناء الإمبراطورية الأمريكية وإخضاع العالم لمركز القرار الإمبراطوري الأمريكي.

فكانت حروب أمريكا في الخليج وأفغانستان والقرن الأفريقي حروبا إستراتيجية لعولمة نظامها الدولي. وسوقت إستراتيجيتها لإنشاء لنظام عالمي جديد، واستُخدم مصطلح النظام العالمي الجديد بشكل مكثف في أدبيات السياسة الخارجية الأمريكية وفي خطاب ساستها وإداراتها لترسيخه كحتمية سياسية. ثم اتخذت من الإسلام عدوها الإستراتيجي، وجعلت من محاربته إستراتيجيتها الكبرى لمنح الشرعية لنظامها الدولي الجديد تحت دعوى محاربة الإرهاب، وجعلت من الجغرافية الإسلامية ساحة لحربها واستعمارها ونهبها لتأمين أدوات الهيمنة لبناء الإمبراطورية.

شَكَّلَ هذا الظرف الدولي الاستثنائي فرصة ولحظة إستراتيجية تاريخية، فكانت الصين في غمرة انشغال أمريكا بمغامراتها العبثية لبناء إمبراطوريتها الموهومة تبني اقتصادها على نحو هادئ ومستمر، وتُطوّر بنيتها التحتية وقدراتها التصنيعية وتبني قاعدتها التكنولوجية، عبر

تطوير نظامها التعليمي وتنمية قدرات مراكز البحث والاختبار والابتكار وتقويتها. عطفا على ذلك وفي ظل هزيمة المنظومة الشيوعية وتفكك دول المعسكر الشرقي وانتهاء الحرب الباردة، ركنت أمريكا إلى تقدير إستراتيجي موغل في الخطأ، مفاده أن جمهورية الصين الشعبية الاشتراكية سيكون مصيرها كمصير دول المعسكر الاشتراكي وأن التفكك سيطال منظومة الحكم الاشتراكية الصينية، في تجاوز تام لحقيقة الصين من كون منظومتها الهجينة أقرب إلى اشتراكية الدولة الرأسمالية منها إلى اشتراكية الدولة في المنظومة الشيوعية. واستمر هذا الوضع إلى عهد إدارة أوباما التي تنبهت إلى الخطأ الإستراتيجي في التعامل مع الصين.

فأُعيدَ رسم السياسة الخارجية الأمريكية ليتحول مركز ثقلها من الجغرافية الإسلامية إلى آسيا باتجاه الصين، وكان عنوانها «التوجه نحو آسيا». عندها بدأت تظهر مؤشرات التركيز الأمريكي على الصين في سياساتها الخارجية. وتعد الورقة البحثية التي قدمتها وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١ حول السياسة الخارجية الأمريكية تجاه آسيا بداية تحول في الإستراتيجية الأمريكية، فقد دعت فيها إلى زيادة الاستثمار الدبلوماسي والاقتصادي والإستراتيجي في منطقة آسيا والمحيط الهادي. وفي الشهر نفسه أعلن الرئيس الأمريكي أوباما الإستراتيجية الأمريكية التي أطلق عليها «التحول نحو آسيا»، ودشنها بنشر ٢٥٠٠ جندي من قوات المارينز الأمريكية في أستراليا. وقد قرأت الصين في هذا المستجد محاولة أمريكية لكبح نموها الاقتصادي والسياسي ووجهت انتقادات للخطوة الأمريكية.

واستمر منذ ذلك الوقت تصاعد وتيرة الضغوط الأمريكية تجاه الصين وتعاظم الشد والجذب. ومع إدارة ترامب تفاقمت العدوانية الأمريكية وتحولت إلى حرب تجارية، وكانت لغتها السياسية هي القيود الجمركية والعقوبات، فأصبحت الساحة الاقتصادية بين أمريكا والصين ملغّمة بالإجراءات العدوانية الأمريكية، عبّر عنها بشكل جلي مستشار ترامب السابق ستيف بانون بقوله: «هذان النظامان غير متجانسين، أحدهما سيفوز والآخر سيخسر». ورأت إدارة ترامب أن الصين تشكل خطرا على أمنها القومي أكبر من ذلك الذي يشكله «الإرهاب الدولي» (الإسلام)، كما جاء على لسان وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو. ومنذ ذلك الحين والمحافل الأمريكية إضافة إلى شخصيات بارزة كالمؤرخ والتر راسل لا ينفكون عن الحديث عن «حرب باردة « مع الصين. فالإستراتيجية الأمريكية تصف الصين بأنها المنافس الذي لديه نية لإعادة تشكيل النظام الدولي، وأنها تواصل زيادة قواها الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية والتكنولوجية لتحقيق هذا الهدف، لتخرج بذلك عن المنافسة التقليدية التي تنادي بها أمريكا في سوق المصالح الاقتصادية المختلفة التي تضمن بقاء النظام الدولي الأمريكي على حاله.

ثم ظهر قصور الإستراتيجية الأمريكية في تحجيم قوة الصين واحتواء طموحها المتنامي الذي بدأ يشكل تحديا جديا للهيمنة الأمريكية

في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. بل ما أخطر أن القوة الصينية استمرت في الصعود والنمو وبوتيرة أسرع، بل توسعت عبر مبادرة طريق الحرير «الحزام والطريق»، وهو مشروع عالمي لبناء بنية تحتية تربط الصين بجنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وروسيا وأوروبا، أي لربط العالم بالسوق الصينية عبر شبكة من المواصلات. وتنامت معها بشكل مطرد قدراتها الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية والدبلوماسية.

ثم كان جواب إدارة بايدن على المسألة الصينية بعد الإخفاق والتخبط الإستراتيجي الأمريكي، أن أعادت تفعيل إستراتيجية الحرب الباردة سعيا منها لإعادة تشكيل العلاقات الدولية والقواعد الناظمة لها بما يخدم استمرار الهيمنة الأمريكية، حرب باردة جديدة بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة والصين الصاعدة بسرعة من جهة أخرى. فبدأت أمريكا في إعادة إنتاج سياسات الاحتواء السابقة حيال الاتحاد السوفييتي، بالنظر إلى الصين بوصفها مصدر تهديد يجب التعاطي معه، عبر إجهادها بأزمات ومشكلات في الداخل والخارج، وتجفيف مصادر قوتها، وشن حرب ثقافية ودعاية مضادة، والأهم هو عولمة سياسة العداء حيال الصين، أي جعل العالم يتعامل معها بوصفها مصدر تهديد للنظام الدولي الغربي واستقراره.

فتمت إعادة بناء الشراكات والتحالفات، فكانت الاتفاقية الأمنية «أوكوس» في أيلول/ سبتمبر ٢٠٢١، ثم الحوار الأمني الرباعي «رباعية كواد». والهدف من هذه التحالفات الأمنية كما تم التعبير عنه هو بقاء المحيطين الهادئ والهندي منطقة «مفتوحة حرة»، بمعنى عدم خضوعها لسيطرة الصين وتحكمها، أي الحفاظ على قواعد النظام الدولي الأمريكي كما هي، وكذلك حماية الجغرافية السياسية التي أفرزها هذا النظام.

فالإستراتيجية الأمريكية ترمي لردع الصين عن التوسع في شرق وجنوب شرق آسيا، والحفاظ على الوضع الراهن والقواعد القائمة بما فيها قانون البحار وسيادة الحدود القائمة، وإبقاء الوضع كما هو في بحر الصين الجنوبي والإصرار على حرية الملاحة في المنطقة.

ثم زاد من حدة الصراع الأمريكي الصيني العامل الروسي، فالكابوس الإستراتيجي الأمريكي هو في التحالف الإستراتيجي الصيني الروسي ومحاولته إحداث تغييرات على القواعد الدولية ومن ثم زعزعة أركان النظام الدولي الأمريكي. وتكاد تكون الرؤية الإستراتيجية الأمريكية أنه لا يمكن معالجة رغبة دولة كالصين أو حتى روسيا في تعديل النظام الدولي الأمريكي من خلال إعطائها صوتا أكبر وسلطة أوسع في وضع القواعد الدولية، لأن في ذلك خطراً على استمرار الهيمنة الأمريكية، وقد تكون إستراتيجية التصدي والمجابهة هي الرد الوحيد الذي تراه أمريكا. والإشكال هو حول طبيعة التصدي ومستواه وكلفته. فكانت الحرب الروسية الأوكرانية شقّا من الإستراتيجية الأمريكية في توظيفها للفخ الأوكراني في حربها الباردة مع الصين، سعيا منها ابتداء لاستنزاف روسيا، عبر إغراقها في المستنقع الأوكراني وتطويقها وعزلها وتحييدها، مرورا بتخريب العلاقة الصينية

الروسية، وانتهاء باحتواء الصين وتحجيمها.

إن الصراع القائم اليوم بين أمريكا والصين هو صراع مصالح، وليس صراعا مبدئيا، وإن كانت أمريكا تديره بأدوات الصراع المبدئي الذي كانت تخوضه مع الاتحاد السوفيتي. فالحرب الباردة التي اتخذتها أمريكا سلاحا إستراتيجيا لإدارة صراعها مع الصين هي بدافع استعماري وليس بدافع مبدئي. ومن المعلوم أن أخطر دوافع الصراع هو الاستعمار بجميع أشكاله، وأشرسه الاقتصادي، وهو التكالب والتطاحن على المصالح المادية. فهو مكلف ومستنزِف وعواقبه مدمرة. ومع الخراب الاقتصادي الذي تعانيه الرأسمالية الغربية وديون دولها الفلكية وعلى رأسهم أمريكا وأوراقهم المالية المسمومة وقيمة أسهمهم الزائفة، فإن كلفة التطاحن الاستعماري مع الصين هي الولوج للاستنزاف الماحق.

إذا أضيف إلى ذلك الانتكاسات والتخبط الإستراتيجي الأمريكي، وما طرأ على الساحة الدولية من أزمات حادة على مستوى المنظومة الرأسمالية، فإن هذه الأزمات وخاصة الاقتصادية منها قلصت دائرة المنافع الاستعمارية المشتركة لدول الغرب، فاحتد معها الصراع الاستعماري، ومعه شهدت العلاقات الدولية توترا ملحوظا وتنازعا أكثر من أي وقت مضى. فالعلاقات بين القوى الكبرى اليوم متنافرة ومتنازعة أقرب إلى الصراع منها إلى التحالف.

فخلال العقود الأخيرة عرف النظام الدولي الذي تقوده أمريكا هزات وارتجاجات. شقٌّ منها داخلي متعلق بتعفن المنظومة الرأسمالية وأزماتها الحادة المتتالية والمتسارعة من ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية، مع فساد وترهل قيادة أمريكا وانشقاقاتها الداخلية الحادة الثقافية والسياسية التي انعكست على الدولة وسياساتها الداخلية والخارجية، والشق الآخر خارجي ينازع أمريكا مصالحها ومرتبتها وهيمنتها ونظامها الدولي، ونعني به الصين وروسيا، وبعض دول أوروبا على استحياء، شعارها السياسي تعدد الأقطاب. لكن الأخطر في الشق الخارجي هو ذلك التهديد الوجودي الذي يمثله الإسلام فهو الأقوى تحديا ونموا في منازعة أمريكا والغرب قاطبة، من حيث فلسفة الحياة ونمط العيش وحقيقة الحضارة وقيادة العالم وسياسة البشرية وخريطة الموقف الدولي.

فالأمة الإسلامية وثلتها المؤمنة الفاعلة النشطة ونواتها الصلبة أصحاب المشروع الحضاري الإسلامي العالمي -ورائدهم حزب التحرير- هم من ينازعون أمريكا والغرب. لا ينازعونها على القيادة فحسب، بل على الوجود الحضاري للغرب ذاته. فالجغرافية الإسلامية وإسلامها الكامن والمتجذر والذي استعاد حيويته، هي العقدة الإستراتيجية الكبرى والعقبة الكأداء والتحدي الأكبر للغرب ودوله، بعد أن صار الإسلام من حيث هو البديل الحضاري، وبنواة تغييره الصلبة الثلة المؤمنة الواعية المخلصة النشطة وأمته المتأهبة والمتحفزة رقما صعبا في المعادلة الدولية السياسية، والتحدي الحضاري الوحيد للمنظومة والحضارة الغربية والنظام الدولي الغربي.

وعليه فثمة عاملان رئيسان يشكلان

تهديدا حقيقيا للنظام الدولي الأمريكي؛ عامل انقلابي جذري مميت، وهو الأقوى عزما، وهو مشروع الأمة الإسلامية الإستراتيجي وكيانها الجيوستراتيجي، أي خلافتها الثانية والزلزال الإستراتيجي الذي سوف تحدثه على مستوى الموقف الدولي والعلاقات الدولية، وعامل آخر مستنزِف يتمثّل في العلاقة مع الصين وروسيا. هذا الوضع الجيوستراتيجي جعل أمريكا تقر على مضض بأن نظامها الدولي لما بعد الحرب لا بد له من تعديل. وقد شكلت الورقة البحثية لمعهد راند لسنة ٢٠١٧ اعترافا ضمنيا بذلك، فجاءت تحت عنوان «خيارات بديلة للسياسة الأمريكية نحو نظام دولي». وكانت موجهة إلى مكتب وزير الدفاع. وقد أقرت ضمنا بمحدودية النظام الدولي القائم إن لم تقل تردّيه، ولكنها لم تأت بجديد، ولم تنشئ جديدا إستراتيجيا، بل غلب عليها الطابع الأكاديمي التنظيري، جاء فيها: «قضى منهجنا في تحديد رؤى بديلة للنظام، جمع حججا قائمة حول كيف قد تكون قواعد النظام المستقبلية أو يجب عليها أن تكون، ولقد استقينا من الدراسات الأكاديمية وتلك المتعلقة بالسياسات الموجودة حول النظام الدولي، إلى جانب التحليل التاريخي للأنظمة الدولية السابقة». وهكذا لم تخرج الدراسة بحل للمعضلة الإستراتيجية الأمريكية.

وذهب وزير خارجية أمريكا الأسبق هنري كيسنجر إلى أبعد من ذلك وصرح «أن العالم في حالة فوضى وأن الولايات المتحدة تواجه مشكلة كيفية إنشاء نظام عالمي». والحقيقة أن المعضلة الإستراتيجية الأمريكية أبعد من مشكلة الكيفية، بل تتعداها إلى إفلاس وفشل وعقم العقل الغربي عن التوليد والإنشاء الفكري، وهو اليوم غارق في اجترار ماضيه حتى يصل إلى حتفه الحتمي.

يضاف إلى ذلك إخفاقات الإستراتيجيات الأمريكية المتعاقبة مع أزمات أمريكا الاقتصادية الحادة، وديونها الفلكية الساحقة، واقتصادها المترهل، وإفلاس ميزانيتها ودولاراتها المطبوعة السامة، والفوضى السياسية الداخلية جراء انقسامها وانشطارها الحاد عموديا وأفقيا. فالمفارقة عجيبة بين أمريكا الخمسينات في مواجهة الاتحاد السوفيتي ومخزونها الاحتياطي العالمي من الذهب وأمريكا اليوم المفلسة في مواجهة الصين. فالبون شاسع بين حربها الباردة ضد الاتحاد السوفيتي وحربها المتجمدة مع الصين. والحرب الباردة مع الصين تكاد تكون جعجعة بلا طحن. علق على هذا التخبط الإستراتيجي الأمريكي الباحث في معهد الأبحاث الآسيوية كيشور محبوباني بالقول: «إن الولايات المتحدة قررت البدء في منازلة الصين من دون صوغ إستراتيجية مفصلة حول الكيفية التي ستدير بها هذه المنازلة أولا، إن هذا أمر صادم فعلا».

فالعقدة والمعضلة الصينية تجعل من الاستنساخ الإستراتيجي الأمريكي تشوها إستراتيجيا. فالحرب الباردة مع الصين تختلف كليا عن نظيرتها مع الاتحاد السوفياتي الشيوعي، فالصراع حينها كان ذا بصمة أيديولوجية

مطبوعا بعلاقات شبه منعدمة وتجارة صفرية وعلاقات اقتصادية مقطوعة، بينما الصراع الأمريكي الصيني هو من داخل المنظومة الواحدة، وطبقا لقواعدها الرأسمالية وطرائقها الاستعمارية، حتى ولو كانت الصين تعاني تشوها أيديولوجيا، لكنها حتما ليست ماركسية شيوعية، بل سوق رأسمالية يديرها حزب هجين ذو مسحة إدارية شيوعية، وذو شكل من أشكال الاشتراكية الرأسمالية، تتظهر بشركات عامة وخاصة تابعة للنخبة الحزبية المسيطرة والتي تمثل الطبقة الرأسمالية الصينية. هذا الوضع يتسم بتجارة كثيفة بين كل من أمريكا وأوروبا مع الصين، الأمر الذي يجعل القطيعة التامة وتقليص جميع التجارة مع الصين أمرا مكلفا للغاية للجانبين وحرب استنزاف للطرفين، ما يجعل الحرب التجارية محفوفة بمقامرات خطيرة تكون ارتداداتها مدمرة في ظل الأزمات الحادة للاقتصاد الرأسمالي والأمريكي تحديدا مع ديون أمريكا الفلكية.

كما أن ورقة القيود الجبائية والعقوبات الأمريكية على البضائع الصينية، وتقليص «سلاسل توريد» الصناعات الأمريكية في الصين لها انعكاساتها السلبية على الاقتصاد الأمريكي، فنظرية تحويل سلاسل التوريد الأمريكية صوب الهند تقف دونه عقبات عملية مستعصية لا يمكن تجاوزها، أقلها كلفتها الباهظة. كما أن مشروع الممر الهندي الأوروبي الذي أعلنه الرئيس الأمريكي بايدن أواخر سنة ٢٠٢٣ من حيث هو مشروع منافس لمبادرة الحزام والطريق والذي تجاوز حجمُ الاستثمارات فيها ١٠٠٠ مليار (تريليون) دولار هو مشروع مستنزِف. فسباق الممرات شبيه بسباق التسلح الذي استنزف الاتحاد السوفياتي وأنهكه. لكن دائرة الاستنزاف اليوم على أمريكا. فالصراع الأمريكي الصيني ليس عامل استنزاف لأمريكا فقط، بل لطرفي الصراع بحكم العلاقات الشديدة والتشابك على المستوى الاقتصادي والتجاري والمالي والتقني بين أمريكا والصين. بل يتعدى الاستنزاف إلى المنظومة الرأسمالية الغارقة في الأزمات والديون والمال الوهمي السام.

أما العامل الحاسم في إفناء المنظومة الغربية فلسفةً وحضارةً وأنظمة، ودولًا فهي خلافة الإسلام التي يعيش العالم إرهاصات انبعاثها. فالساحة الدولية اليوم تعرف اهتزازات ورجات كبرى، هي مقدمات لزلزال جيوستراتيجي عظيم. دائرة هذه الاهتزازات الكبرى هي الجغرافية الإسلامية، وبؤرة انفجارها العظيم هي الشام وأرضها المقدسة، فهي اليوم مكمن التحدي الوجودي الأكبر للغرب، والتهديد بعودة الإسلام للساحة الدولية والقيادة والريادة، ما يعني فناء الغرب حضارةً وكيانًا سياسيا. فلقد شكلت ثورة الشام بركانا جيوستراتيجيا، تحدى كل المكر والكيد والهمجية والوحشية التي نهجها الغرب في محاولة وأد الثورة وطمس إسلاميتها لقرابة عقد ونصف. فلقد شكل الإسلام بوتقة لصهر ثورة الشام، فتجلى المشروع الحضاري للإسلام والقضية المصيرية للمسلمين في إقامة دولة إسلامهم لاستئناف حياتهم الإسلامية واستئناف

حمل رسالتهم إلى العالم. ثم أحدث بركان ثورة الشام ما كان يخشاه الغرب من إسقاط نظام السفاح العميل تحت ضربات الثوار العقائديين، وليس طبقا لمخططاته في استبدال عميل بعميل بمكر خبيث سلس، بل انهار النظام منظومةً وسفاحًا وجيشًا وأنظمة وأجهزة ووسطا سياسيا وانتهازيين وأشياعا. والغرب اليوم يستميت في ملء هذا الفراغ الجيوستراتيجي الاستعماري الخطير بأصحاب لحى وظيفيين. ولكن بركان ثورة الشام ما زال ملتهبا، ولن يخمد إلا بحصاد الاستعمار وإقامة دولة الإسلام.

ثم في الشام وأرضها المباركة، وتحديدا من غزة هاشم، كان طوفان الأقصى، وكان بحق كتسونامي جيوستراتيجي؛ فإستراتيجيا طوفان الأقصى كان اختبارا حقيقيا لكيان يهود ولقاعدة الغرب الإستراتيجية الأولى في قلب الجغرافية الإسلامية، ويكاد يكون اختباره الحقيقي الأول. فمنذ زُرع هذا الكيان القاعدة لم يتعرض لزلزال إستراتيجي بحجم طوفان الأقصى وقوته، فقد طُبخت للكيان القاعدة حروب مصطنعة لتركيزه وفرضه كواقع، تخللتها حالات تفلّت جد نادرة، كمعركة الكرامة، ولكنها انفلاتات من داخل السياق والنسق السياسي والعسكري المفروض على المنطقة والإقليم. لكن طوفان الأقصى هو حالة إستراتيجية فريدة في فلسفتها ومادتها وإنسانها، فهي من خارج السياق والنسق. بل هو إستراتيجيا مناقض ومعادٍ للنسق والسياق الغربيين، وهو صنيعة عدو وجودي يعتبر إستراتيجيا العدو الأول والأخير للغرب، إنه صنيعة الإسلام، فهو جهاد ثلة عقدية مؤمنة، ما جعله تهديدا إستراتيجيا وجوديا. وزاد من خطورته أن القوة التي تحدت الغرب في كيانه وقاعدته هي عصابة عقدية مؤمنة، قِواها المادية أقل بكثير الكثير عددا وعُدة من كتيبة في جيش. وهذه العصابة العقدية المؤمنة أعدت ما استطاعت مع شح المستطاع وقسوة الحصار وشديد خيانة حكام الدار وتربص ألد الأعداء، ثم توكلت وعزمت وأبرمت وأنجزت وأذهلت وزلزلت الكيان القاعدة، وفضحت حقارته، وعرّت جبن عساكره وخورهم. وقد جاوزت حرب غزة كل سقوف الإجرام. وها هو خارقٌ ثباتُ أهلها وصمودُهم، واستبسال مجاهديها المنقطع النظير لقرابة خمسمائة يوم، في مواجهة حلف صليبي صهيوني بيده كل أسباب القوة المادية. وهذا الفعل الإستراتيجي العظيم أسّس إستراتيجيا للتصور المستقبلي للضربة القاتلة لإفناء الكيان القاعدة وهدم صنم الغرب.

هذان الحدثان العظيمان في تاريخ هذه الأمة أحدثا رجة جيوستراتيجية كبرى في الساحة الدولية، وشكّلا تحولا إستراتيجيا دفع أمريكا لإعادة فرز أوراقها الجيوستراتيجية وإعادة ترتيب الأولويات، بعد أن كان التفكير الإستراتيجي اتخذ منحاه في التركيز على الصين كأولوية. فمع طوفان الأقصى وحرب غزة وسقوط نظام سفاح الشام الاستعماري في قلب بلاد المسلمين، أصبحت الحرب الروسية الأوكرانية ثانوية هامشية، رغم خطورتها

وأهميتها الإستراتيجية في المسألة الصينية، وخفتَ صوت الصراع مع الصين، وعادت أمريكا والغرب إلى معادلة هنتنجتون والصراع الحضاري الدامي مع الإسلام، واستعادت حرب الغرب الصليبية مع الإسلام شراستها وكانت حرب غزة ترجمتها.

ولما كان الإسلام ومشروعه الحضاري هو العدو الأصيل للغرب وحضارته، كانت الحرب على الإسلام دائرة على مدار السنين والأيام، تختلف وتتنوع أساليبها، لكن لا تنطفئ نارها، وكان الإسلام موضوع كل الإستراتيجيات الغربية وهدفها الرئيس. يقول نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» الصادر عام ١٩٩٢، مصورا نظرة الساسة الغربيين إلى الإسلام والمسلمين: «إن الإسلام والغرب عالمان لا يلتقيان أبدا، لأن الإسلام يعادي كل من لا يؤمن به، وعلى الغرب أن يعمل دوما على مواجهته». ومع استعادة الإسلام حيويته طفت تلك العدائية الغربية إلى السطح، وانفجر معها ذلك الحقد الأسود الصليبي، وتجددت معها الإستراتيجيات الغربية في حرب الإسلام لمنع عودته، وتصدرت أمريكا المشهد. وكانت لحظة انهيار الشيوعية وسقوط معسكرها ودولتها الاتحاد السوفياتي لحظة فاصلة في الحرب على الإسلام، والإعلان السافر عن ذلك عبر تصريح سكرتير حلف شمال الأطلسي ويلي كلاس فور انهيار الاتحاد السوفياتي من أن الإسلام هو العدو الإستراتيجي للغرب بديلا من الشيوعية. وتوالت التصريحات وإعلانات الحرب الكونية ضد الإسلام، فكان تصريح الجنرال جون كالفن القائد الأعلى لقوات الحلف الأطلسي: «لقد ربحنا الحرب الباردة وها نحن نعود إلى الصراع القديم، إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام». ثم في منتدى الشؤون الأمنية الدولية المنعقد في ميونيخ عام ١٩٩١ رفع ديك تشيني وزير الحرب الأمريكي في عهد بوش الأب شعار «الإسلام العدو البديل». وفي عام ١٩٩٣ دعا رئيس مجلس النواب الأمريكي نيون جينجرتيس المجلس إلى وضع إستراتيجية كاملة لمحاربة «التوتاليتارية الإسلامية». ثم بعدها كان تصريح بوش الصغير حين إعلانه حربه الوحشية على المنطقة الإسلامية واصفا إياها بالحرب الصليبية المقدسة للقرن الحادي والعشرين.

فالإسلام هو الكابوس المفزع للغرب، وديناميته وحيويته قضّت مضاجع الإستراتيجيين الغربيين وأفنت أعمار ساسته. والفزع الأكبر من عودته هو المحرك الرئيس لما أُدخل من تعديلات على المهام الأمنية لحلف شمال الأطلسي وتوسعة جغرافية فعله وحركته، منذ قمة بروكسل عام ١٩٩٣ والتي جرى تثبيتها في قمة واشنطن عام ١٩٩٩. وكان ذلك الفزع الأكبر من عودته سببا في تناسل النظريات والرؤى الفكرية والسياسية في محاربة الإسلام، وكانت في الصدارة مدرسة المحافظين الجدد التي تغذت على أفكار المستشرق اليهودي الحاقد برنارد لويس، وتبنت نظرية القوة العسكرية والتصميم على استعمالها في رسم العلاقة مع الجغرافية الإسلامية، وكان التركيز في

المرحلة الأولى على الشرق الأوسط، أي المنطقة العربية، بوصفها مركز الثقل للإسلام العالمي بحكم حملها للسان القرآن العربي ولسان سنته وثقافته، ما يمثل التهديد الوجودي لأمريكا والغرب. فكانت حروب إدارة بوش الأب وإدارة بوش الصغير ترجمة لرؤية المحافظين الجدد، فطُبعت هذه المرحلة بشعارات الشرق الأوسط الكبير ونشر الديمقراطية والحرية. ثم مع بوش الصغير وحروبه الوحشية والإستراتيجيات الدامية في غزو المنطقة الإسلامية ظهرت مصطلحات محاربة الإرهاب والتطرف العنيف. وبعد أن اصطدمت بجدار النضالية الإسلامية والكفاح العقائدي لأبناء المسلمين برزت مصطلحات حرب الأفكار ومحاربة التطرف. ثم كانت المرحلة الثانية مع إدارة أوباما بعد فشل إستراتيجية القوة المتوحشة للمحافظين الجدد، فكانت إستراتيجية القوة الناعمة للديمقراطيين في إدارة أوباما وإستراتيجية القفازات لإخفاء دموية الوحش الأمريكي، فكانت خطابات الرئيس الأمريكي أوباما المخادِعة في القاهرة وأنقرة للتبشير بنهج جديد في العلاقة مع المنطقة الإسلامية. وبأسلوب ناعم لإدارة الحرب على الإسلام أعلن أوباما في أيار/مايو ٢٠١٤ تقديم بلاده خمسة مليارات دولار لإنشاء صندوق لمكافحة الإرهاب ودعم مواجهة التطرف حول العالم. وعرض في خطابه الذي ألقاه في قاعدة «ويست بوينت» العسكرية خطط سياسته الخارجية، وشدد على ضرورة تفعيل أدوات أخرى، منها الاقتصادية وفرض العزلة والعقوبات واللجوء إلى القانون الدولي. لكن سرعان ما اكتشف محدودية إستراتيجية القفازات، فعادت الوحشية الدامية وعسكرية الضربات بالطائرات المسيرة التي غطت سماء المنطقة وحولت أرضها إلى أهداف عشوائية للوحش الأمريكي. فكانت انتفاضات الربيع العربي في المنطقة العربية للبلاد الإسلامية الرد الصاعق على الإدارة الأمريكية والدليل الفاضح لفشل إستراتيجية الديمقراطيين والبرهان الساطع على دينامية الإسلام وكفاحية عقيدته ونضالية أمته.

ثم كانت المرحلة الثالثة مع إدارة ترامب الذي أعلنها صريحا فصيحا حربا على الإسلام، ورفع الأستار عن حرب الغرب الصليبية ضد الإسلام، والتي كانت كل من إدارة بوش وأوباما حريصتين على التعمية عليها بمصطلحات ضبابية كمحاربة الإرهاب ومكافحة التطرف العنيف. أما إدارة ترامب فحرصت على تسمية الأمور بأسمائها، وكشف الخبيئة التي كان أفصح عنها الجنرال الأمريكي ويسلي كلارك بالقول: «إن حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب كانت حربا على الإسلام». وكانت خطابات ستيفن بانون ومايكل فلين وغيرهم من ساسة إدارة ترامب ذات نفس صليبي حاقد جلي وواضح. فمستشار الأمن القومي لترامب وصف الإسلام بأنه سرطان. أما ترامب فقد انتقد أوباما لعدم استخدامه عبارة «الإرهاب الإسلامي المتطرف». فكانت الشام وثورتها المباركة هي الرد العملي والترجمان الساطع لطود الإسلام

العظيم في كفاحه ونضاله والذي تحطمت عليه إستراتيجيات أمريكا المتعاقبة. ولحقت إدارة ترامب في فشلها الإستراتيجي بالإدارات السابقة. ثم كانت إدارة بايدن وانسحابها المخزي من أفغانستان وإعادة اجترار سياسة أوباما في توكيل المنطقة لكبار مجرميها من الحكام العملاء الخونة مع رفع سقف إجرامهم، عبر إعادة تعويم كبير السفاحين في دمشق الشام، في رسالة من أمريكا والغرب بأن الحفاظ على الوضع الاستعماري الراهن ثمنه الوحشي الدامي لا سقف له. وكل ذلك الإجرام الأسود كان مصحوبا بحرب فكرية صليبية، استعاد فيها الغرب كل أدوات استشراقه الصليبي، ونفض معها الغبار عن ملفات مستشرقيه الصليبيين الحاقدين ليجتر هرطقاتهم وسفاسف آرائهم.

أما حرب الأفكار البائسة فقد تحولت إلى شعوذة فكرية وتفحش ثقافي. فمعضلة الغرب الحضارية في إفلاسه الفكري وفشله الحضاري الفاضح الصارخ في مواجهة منظومة فكرية مكتملة الصنعة تامة البناء فريدة التصميم، جعلته يخبط خبط عشواء في مواجهة تحدي عظمة الإسلام وتفوقه الفكري، ما ألجأه إلى الشعوذة الفكرية؛ «إسلام راند الديمقراطي الحداثي» و»شرك الديانة الإبراهيمية لمعهد بلير»، والتفحش الثقافي في تصدير كل الفواحش والقبائح (الجندر، الشذوذ الجنسي، سيداو...) في محاولة بائسة يائسة لحرف المسلمين عن إسلامهم الحق وإغراقهم في مستنقع حياته المتفحشة. لكن المناعة العقائدية لهذه الأمة العزيزة والمعتزة بإسلامها أرهقته، فنضالية هذه الأمة وكفاحيتها ضد سيداو والشذوذ الجنسي بلغ صداه حتى بلاد الغرب.

أما عن جوهر الحرب الصليبية الغربية في شقها الأمني والأيديولوجي فكان في القضاء على الفكرة الإسلامية في الحكم، وعلى وحدة الأمة الإسلامية، وعلى حمل الإسلام إلى العالم وما يصطلح على تسميته بالإسلام السياسي. فهذه القضايا الإستراتيجية الكبرى الثلاث هي صلب الصراع الحضاري القائم، لكن أمريكا والغرب صُدموا بتجذر الفكرة الإسلامية وصلابتها الفريدة، وصدمتهم تزداد وطأة وهم يرون الوتيرة المتسارعة لنمو الفكرة الإسلامية ونضج الرأي العام على الحكم بالإسلام والوحدة على أساسه، وتطلع أبناء المسلمين لأمجاد خلافتهم ولمّ شعثهم وتوحيد كلمتهم وحمل دعوة الإسلام العظيم إلى العالم لإخراجه من ظلمات جاهلية الحضارة الغربية وفحمة فلسفتها وعدمية حياتها.

فلقد انتهت الإستراتيجيات الأمنية والعسكرية والثقافية الأمريكية إلى فشل ذريع في كسر عزيمة هذه الأمة وثنيها عن مشروع إسلامها الحضاري العظيم، بل لقد أدت إلى عكس أهدافه؛ بأن اشتد عود هذه الأمة وصمودها وإصرارها، وانكشف لها أعداء الخارج والداخل، وتقوت عزيمتها في التحرر من قيود الغرب، وعظمت ثقتها بإسلامها العظيم. بل بدأت الأمة في خوض معاركها العقدية من أجل قضاياها المصيرية، ترجمتها ثورة الشام

وجلال ندائها «هي لله هي لله» و«لن نركع إلا لله»، وسمو وعي أهلها السياسي على مكر عدوهم الأصيل الكافر المستعمر، وهتافهم المدوي «أمريكا، ألم يشبع حقدك من دمائنا؟!»، وتحت ضربات الثائرين العقائديين انهار نظام السفاح في سابقة ثورية، وانهار معها نظام وظيفي للاستعمار، وترك فراغا إستراتيجيا أصبح معه المشروع الإسلامي والاستعمار وجها لوجه.

كما كان طوفان الأقصى وحرب غزة معركة عقائدية، ومن تلك الخوارق التي تصنعها عقيدة الإسلام في النفس البشرية وصيرورة تاريخ البشر. فكانت مبادرة المجاهدين وعزمهم وجرأتهم وتحديهم في طلب عدوهم واقتحام أسواره ودك تحصيناته والنكاية قتلا وأسرا بضباطه وجنوده وقطعان مستعمريه، وهم قلة القلة ليس لهم من عتاد وعدة وموارد الجيوش معشار العشر، ثم بعد هذا خارق ثباتهم وصمودهم واستبسالهم المنقطع النظير لقرابة ٥٠٠ يوم في مواجهة حلف صليبي صهيوني بيده كل أسباب القوة المادية، وهم لا يفتُرون ولا يجزعون ولا ينكسرون، بل يجددون ويبدعون، رغما عن الهمجية والوحشية الصليبية الصهيونية المنقطعة النظير. بل وزاد من عظمة المعركة الصاعقة الحضارية ما أحدثته حرب غزة داخل المنظومة الغربية نفسها، فقد كانت انتفاضة معاقل اللاهوت العلماني «الجامعات» زلزالا حضاريا مدويا هز أركان المنظومة الغربية وأسسها في عقر دارها!

فهذه القوة العقائدية للأمة الإسلامية قضّت مضاجع الغرب، وأفزعت ساسته، وأيقظت كل كوابيس دوائر فكره وسياسته وعسكريته. ثم إن هذه القوة العقائدية في الأمة الإسلامية تتوسع وتتمدد وتتجذر، وكل خشية الغرب وفزعه من تركزها. والشام اليوم تحيا إرهاصات خلافتها، فبلاد الشام كل الشام مع أرضها المباركة تغلي من شدة حرارتها، بل قد بلغت مستواها الحرج، ما يفسر هذه الوحشية والهمجية والإبادة المنقطعة النظير، سواء في مواجهة ثورة الشام المباركة وعظيم إنجازها أو في التصدي لمجاهدي الأرض المباركة وغزة عزها.

وهذا الفشل المدوي في الحرب الحضارية ضد الإسلام بات حديث المفكرين والساسة والإستراتيجيين في أمريكا والغرب، فهذا الخبير الإستراتيجي الأمريكي أندريو إس.جليمور الذي عمل طوال ٣٢ عاما في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، في تقرير نشرته مجلة ناشونال أنتربست الأمريكية يقول: «الإستراتيجيات التي اتبعتها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط طوال العقدين الماضيين قد أسفرت عن أوجه فشل كثيرة». أما الكاتب البريطاني ديفيد هيرست فيرصد الأخطاء الإستراتيجية الأمريكية لرؤساء أمريكا المتعاقبين في المنطقة الإسلامية، فيقول في تصريح له سنة ٢٠٢١: «أي خطأ إستراتيجي أمريكي ترتكبه الولايات المتحدة سيكون خطأها الأخير، بل وخطأ أوروبا الغربية الأخير أيضا». ولقد كان الانسحاب المهين من أفغانستان كاشفا فاضحا لفشل الإستراتيجية، حتى إن تعليل موقع الخارجية الأمريكية

لانسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان كان مثيرا للاهتمام، جاء فيه: «إن خطر الخلافة قد تشعب وتوزع في بلدان إسلامية كثيرة من آسيا وأفريقيا» (موقع وزارة الخارجية الأمريكية، ٢٠٢١/٠٨/١٦)، بمعنى أن الجغرافية الإسلامية باتت كلها تهديدا نشطا للمنظومة الغربية واستعمارها. بل إن الفكرة الإسلامية بوصف عالميتها تجاوزت حدود الجغرافية الإسلامية إلى الغرب وباقي العالم. والحركة الفكرية في الغرب خير شاهد، بل حتى الحركة السياسية، على الرغم من كون الفكرة الإسلامية اليوم منفصلة عن طريقتها الشرعية الفاعلة ومقطوعة من أدواتها العملية التنفيذية، ورغم ذلك يُرى أثرها في اعتناق جموع أبناء الغرب للإسلام والنقاش الفكري حول الإسلام في الأوساط الأكاديمية، والجدال السياسي في الأوساط السياسية ومراكز الحكم والقرار، فحملة الانتخابات الرئاسية الفرنسية الأخيرة كان موضوعها الرئيسي «الانفصالية الإسلامية».

فقوة الفكرة الإسلامية وصلابة تجذرها في الداخل الإسلامي وتمددها وتوسعها في الخارج، ألجأت الغرب لدخول عرين الأسد وفرضت عليه اقتحام دائرة الفكر والثقافة الإسلامية، فالنقاش اليوم هو داخل دائرة الإسلام، أما المنظومة العلمانية الغربية فباتت متجاوَزة، والصراع اليوم هو بين إسلام رب العالمين وشعوذة الغرب الفكرية وهرطقات إسلام راند وشرك الديانة الإبراهيمية.

فإفلاس الغرب الفكري وفشله الحضاري ترجمه القمع والإكراه والإرهاب الفكري الممارس على المسلمين عبر ترسانة من القوانين العلمانية الجائرة في بلاد الغرب وحواضره الاستعمارية في المنطقة الإسلامية، ثم التوحش الدامي قتلا وتعذيبا وتنكيلا وتشريدا وسجنا لأبناء المسلمين، كل هذا الإجرام الأسود الغربي يجابه بصمود أسطوري وكفاح عقائدي فريد من الأمة الإسلامية بقيادة ثلتها المؤمنة الواعية المخلصة النشطة.

هذا هو حصاد ثلاثة عقود من الإستراتيجية الأمريكية الغاشمة لمواجهة الإسلام تحت كذبة محاربة الإرهاب والتطرف حينا ومحاربة الإسلام صراحة مع إدارة ترامب، من تسعينات القرن الماضي إلى يومنا هذا. والمحصلة غليان بركان الجغرافية الإسلامية الحارق وتحفز أمة الإسلام وتحينها ساعة الصفر للتحرر من الغرب ومنظومته واستعماره وأذنابه من حكام العمالة والخيانة والعار، وقد أوشكت اللحظة على تمام كل أشراطها لتحقيق بشارة النبي ﷺ في إقامة خلافة الإسلام الراشدة الثانية والحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولم شعث أمته واستئناف حياتها الإسلامية واستئصال عفن الحياة العلمانية الغربية التي فرضت عليها قرنا من الزمن، وتحقيق وحدتها واستجماع قوتها واستثمار طاقاتها وتركيز حركتها وجهودها لاستعادة قيادتها وريادتها للعالم، وانتزاع القرار الجيوستراتيجي ثم حمل نور الإسلام وهدايته ورشده وفضيلته إلى العالم لإنهاء المسألة الغربية واجتثات حضارة الغرب الشاذة الملعونة وتطهير

العالم من دنسها وسقيم فلسفتها وخبيثها وظلم أنظمتها وجورها.

هذه أهم إرهاصات التحولات الكبرى التي بدأت تظهر ارتجاجاتها على النظام الدولي الأمريكي وتقض مضجع السياسيين والقادة الأمريكيين. ومصدرها في الدرجة الأولى الجغرافية الإسلامية وبديلها الحضاري الإسلامي الجذري الانقلابي والعالمي والذي بات قاب قوسين أو أدنى من انبعاث نور خلافته. فالإسلام وبديله الحضاري الجذري الانقلابي وخلافته الراشدة الثانية هو التحدي الوجودي الوحيد لمنظومة الغرب وحضارته ونظامه الدولي. فالمعادلة الإستراتيجية اليوم والمقطوع بها يقينا أن الإسلام بما هو بديل حضاري لقيادة العالم يتقدم بخطوات ثابتة راسخة متنامية، ليستعيد من جديد قيادته وريادته الأصيلة والفريدة والراقية، ويعيد رسم خرائط الموقف الدولي وهيكل العلاقات الدولية، ويضع قواعد السياسة الدولية من جديد على أسس عدل الإسلام ورحمته، بعد تحرير أمته وانعتاقها من قيود الغرب. وهي مسألة وقت، تليها القضية الإستراتيجية الكبرى في نسف النظام الدولي الغربي برمته وإنهاء المسألة الغربية وتحرير العالم بالإسلام منها إلى الأبد.

والقضية الإستراتيجية في الجغرافية الإسلامية اليوم متوقفة على انتصار واحد فقط لتتهاوى كل أحجار البناء الاستعماري. فإقامة دولة الإسلام نواة دولة الخلافة وتركز الحكم الإسلامي في أي نقطة من الجغرافية الإسلامية هو بمثابة مركز لبؤرة الزلزال الجيوستراتيجي الذي سيطال كل الجغرافية الإسلامية وينسف معها الاستعمار الغربي ومنظومته وأنظمته ومؤسساته في الداخل الإسلامي لتطال بعدها الخارج والعالم أجمع، وقد لاحت بشائر دولة الإسلام خلافته الثانية الراشدة على منهاج النبوة في الأفق.

ويكأن الحالة الأمريكية الصينية والصراع القائم المستنزِف اليوم وتعفن المنظومة الغربية الرأسمالية المهيمنة وإفلاسها الحضاري وانحطاطها القيمي وتأهب الأمة الإسلامية وكفاحيتها العقدية المنقطعة النظير وغليان الشام المبارك وقيادة ثلتها المؤمنة الواعية المخلصة النشطة صاحبة التصور والمشروع الحضاري الإسلامي والرؤية الإستراتيجية لتغيير الوضع الاستعماري والموقف الدولي، ورائدها حزب التحرير، ويكأن أشراط الخلافة الراشدة الثانية قد اكتملت وفجر نور الإسلام العظيم وبديله الحضاري العالمي لاح في الأفق ونصر القوي المتين لعباده المتقين على الأبواب. وقد آن لهذه الأمة الإسلامية أن تنبعث حقيقتها العظمى مرة ثانية، خلافة راشدة على منهاج النبوة لتستأنف حياتها الإسلامية وتحمل دعوتها للإسلام إلى العالم لتحريره من ظلمات جاهلية الغرب، وهي لا بد كائنة بإذن الله فهي وعد من لا يخلف وعده سبحانه وبشرى الصادق الأمين ﷺ، ويكأن ساعتها قد أزفت. **«ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ».**■

لحظة

الموقع الرسمي لمجلة الوعي
http://www.al-waie.org

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك
https://www.facebook.com/alwaie

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على تلغرام
https://telegram.me/alwaie١

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على التويتر
https://twitter.com/alwaiemagazine

القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام
https://www.instagram.com/alwaiemagazine/

تنويه

إن مجلة الوعي وإذا تصدر عددها الخاص لهذه السنة (٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤) تود أن تتقدم بجزيل الشكر لكل كتّابها الذين ساهموا في إنتاج هذا العدد، وتعتذر ممن لم تنشر مقالته نظرا لعدم قدرة العدد على استيعابها، ولكنها ستنشرها في الأعداد اللاحقة إن شاء الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جاء عند ابْنِ إسْحاقَ عن يوم بدر: فَحُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ...».

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

ثم أخذ النبي ﷺ يُنظم صفوف جيش المسلمين ويرتبها، قال ابْنُ إسْحَاقَ: وحدثني حِبَّانُ بْنُ وَاسِعِ بْنِ حِبَّانَ بْنِ وَاسِعٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ، أن رسول الله ﷺ عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسُوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ مُستَنتِلٌ مِنَ الصَّفِّ، فَطَعَنَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فِي بَطْنِهِ بِالْقَدَحِ، وَقَالَ: «اسْتَوِ يَا سَوادُ بنُ غَزِيَّةَ». وَاستَعمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى المُـــشَاةِ وَهُم فِي السَّاقَةِ: قَيسَ بنَ أَبي صَعصَعَةَ عَمرو بنَ زَيدِ بنِ عَوفِ بنِ مَبذولٍ، وَأَمرَهُ حِينَ فَصَلَ مِنَ السُّقيا أَن يَعُدَّ المسلِمينَ، فَوقَفَ لَهُم عِندَ بِئرِ أَبي عَنبَةَ، فَعَدَّهُم ثُمَّ أَخبَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ عَينَينِ لَهُ إِلى المُشرِكينَ يَأْتِيانِهِ بِخَبَرِ عَدُوِّهِ، وَهُما: بَسبَسُ بنُ عَمرو، وَعَدِيُّ بنُ أَبي الزَّغباءِ، وَهُمَا مِن جُهَينَةَ حَليفَانِ للأَنصارِ. فَانتَهَيَا إِلى مَاءِ بَدرٍ، فَعَلِما الخَبَرَ، وَرَجَعا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

بعد هذا الإعداد والأخذ بالأسباب على أتم وجهه، جعل رسول الله ﷺ يهتف بربه ويلح عليه ويسأله وعده فيقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، وما زال يهتف بربه مادّا يديه مستقبِل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ردائه، فقال: «يا نبي الله كفاك تناشد ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك».

ونحن إذ نستشرف المستقبل المبشر بقرب عودة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وكلنا ثقة ويقين بنصر الله القادم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فإننا نجمع إلى هذا اليقين العمل والجد والاجتهاد والمثابرة، حتى نطمئن إلى استحقاقنا للنصر، امتثالا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾. فهذه دعوة لكل مخلص غيور على دينه وأمته أن يضم يده وجهده إلى أيدي العاملين المخلصين لاستئناف الحياة الإسلامية.

الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق إزاء الوضع في بنغلاديش (الخلافة الإسلامية)

أعربت تولسي غابارد، رئيسة الاستخبارات الأمريكية، عن قلقها العميق إزاء الوضع في بنغلاديش، وذلك في حديثها لقناة NDTV World متحدثةً عن اضطهاد الأقليات الدينية. وأكدت أن إدارة ترامب ملتزمةٌ بهزيمة «الإرهاب الإسلامي» عالميًا.

وأضافت أن الحكومة الجديدة برئاسة دونالد ترامب بدأت محادثات مع الحكومة المؤقتة في بنغلاديش. وقالت، متحدثةً عن تصاعد التطرف الإسلامي والعناصر الإرهابية في بنغلاديش: «بدأت المحادثات للتو بين حكومة الرئيس ترامب الجديدة وحكومة بنغلاديش، لكن هذا لا يزال محل اهتمام رئيسي».

في كلمتها، تحدثت عن أيديولوجية «الخلافة الإسلامية» وكيف تسعى العناصر المتطرفة والجماعات الإرهابية عالميًا إلى تحقيق هذه النتيجة. وقالت: «إن تهديد الإرهابيين الإسلاميين والجهود العالمية لمختلف الجماعات الإرهابية تتجه نحو نفس الأيديولوجية والهدف - وهو الحكم بخلافة إسلامية». وأضافت: «من الواضح أن هذا يؤثر على أتباع أي دين آخر، غير الذي يعتبرونه مقبولًا لديهم، وقد اختاروا تنفيذه بالإرهاب وبأساليب ووسائل عنيفة للغاية».

وأضافت غابارد أن دونالد ترامب عازم على تحديد مثل هذه الأيديولوجية وهزيمتها وإنهاء صعود ما يسميه «الإرهاب الإسلامي المتطرف». وقالت: «يظل الرئيس ترامب ملتزمًا بتحديد الأيديولوجية التي تحرك الإرهاب الإسلامي، والعمل على هزيمة هذه الأيديولوجية وقدرتها على ممارسة هذا الإرهاب على الناس».

الوعي: لقد أصبحت الحرب الأمريكية على الإسلام أكثر وضوحًا اليوم من أي وقت مضى، وهي لم تعد حربًا في وجه الارهاب المسلح كما يزعمون، بل هي حرب صليبية، وقد قالها قبل ترامب بوش الابن، فهم يعلنون أن الحرب هي على الإسلام نفسه! فماذا أنتم فاعلون يا أبناء أمة محمد؟!